شخصية الإمام الخميني قدس سره

في كلام قائد الثورة الإسلامية

الإمام الخامنئي دام ظله

تعريب: محمد رضا ـ ميرزاجان(أبو أمين)

١٤٢٥ هـ ق ٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

هل من أحد لا يعرف إمامنا الأغر وهل من أحد يعرفه كما ينبغي ويجدر به؟!

(وهو «روح الله» الذي صمّم جاهداً بعصاه ويده البيضاء الموسوية وبيانه وفرقانه المصطفوي على نجاة وتخليص المظلومين والمحرومين وقد هزّ عروش فراعنة الزمان وأنار قلوب المستضعفين بنور الأمل والتفاؤل.

ـ وهو الذي منح الإنسان كرامة والمؤمن عزّة والمسلم قوّة وشوكة وبعث في الحياة المادية الميّتة الروح والمعنوية ومنح عالم الإسلام الحركة والحيوية وقدّم للمناضلين والمجاهدين في سبيل الله الشرف والشهادة.

ـ وهو قد باشر بتحطيم الأوثان والأصنام وأزال الأفكار الملوّثة والملطّخة بالشرك والكفر والانحراف.

ـ وهو الذي فهّم الجميع بأن المضي في مسار الإنسان الكامل والعيش على غرار الشخصية العلوية والسير نحو مشارف العصمة الإلهية، ليس بالأمر العصيّ والمستبعد.

ـ وهو الذي أَعلن للشعوب بـأنّ الإسـتقواء وتحطـيم قيـود العبوديـة والتصدي للسلطويين والمستكبرين الحاكمين، أمر ممكن وعملي.

لقد شاهد أهل البصيرة والرؤية الثاقبة لمعانَ قربه مـن الحـق عـزوعلا على وجهه النيّر وتذوّقوا طعم البرّ الإلهي الذي ظلّ يهطل عليه في حياته ومماته، فاستجاب الله دعائه حين كان يقول: (إلهي لم يزل برّك عليّ أيام حياتي، فلا تقطع برّك عني في مماتي)، فلقد أوجد ثورة أُخرى بارتحالـه ورحيله واستقطب عشرة ملايين من القلوب الوالهـة والنفـوس الحزينـة، يحومون حول جثمانه الشريف وقد جعل مئات الملايين من القلوب فـي جميع أرجاء العالم في مآتم وعزاء وكما كان يهزّ العروش الفرعونية فـي حياته، فقد أقضّ مضاجع الأعداء وسلب النوم والأوهام الباطلـة بمماتـه من عيونهم.

والعالم سيشهد من الآن فصاعداً، إزدهار مشروع الخميني الكبير بشكل متزايد، فالغرسة التي شتلها بيده المباركة والبذرة التي نثرهـا، هـي تلـك الكلمة الطيبة التي أصبح: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء٢٤ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[1].

(١) إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٥.

أجل: هل هناك أحد لا يعرف إمامنا العزيز؟ وهل هناك شخص أحد يعرفه حق معرفته؟ فألفاظي وكلماتي لا تطيق أن تستوعب تلك الحقيقة الفاخرة والدرة النفسية والنادرة الفريدة)*.

لمّا كان سماحة الإمام قدس سره يتطرق في حديثه إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، والأئمة الأطهار عليهم السلام، كان يخرج هؤلاء من مدار نعته وتوصيفه ويقطع الطريق على التقرير والتحرير، لكنه مع هذا كله كان يسلّط الضوء على تلك الشخصيات العملاقة في مجال الهداية الإلهية بعباراته الموجزة، على ظهر هذا العالم الخاسيُ الخاسر والغاطس في الظلمات المادية، فكان عطر الديانة والولاية يبعث النشوة في قلوب البشر المتيمة، ويجذبهم نحو الدين الإلهي الخالص وأئمة الهدى الطاهرين عليهم السلام.

واليوم نرى تلميذه المخلص والسائر على نهجه والصديق له، يتحدث عن مصمم الثورة الإسلامية ومراد الأمة، بنفس الطريقة ونفس الكلمات التي كان يتحدث بها الإمام الراحل رحمه الله عن الأنبياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام، فهو يعتبر القلم والبيان غير قادرين على التعريف بالجوهر الوجودي لسماحة الإمام رحمه الله، لكنه يعرض تقييماً مقتضباً ودقيقاً ينفذ إلى أعماق

* قائد الثورة الإسلامية المعظم(حفظه الله)؛ نقلاً عن كتاب (حديث الولاية) ج١، ص ٢٨٢و ٢٨٣.

شخصية الإمام الراحل العظيم رحمه الله ويقوم بتوصيف تلك الروح الملكوتية بشكل يبعث العشق والوله حتى في قلوب عشّاق الإمام رحمه الله ومحبيه.

على أي حال فإنّ هذه الإفادات التي تهدف إلى التعريف بشخصية ومنهج وبركات الإمام رحمه الله العظيم والصادرة من قلم وبيان قائد الثورة الإسلامية الحكيم، وقد وجدناها خير زاد للشعب الإيراني الكبير والمقاوم والسائر على درب الولاية لنقدّمه إلى أبناء الوطن وجميع المسلمين والأحرار في العالم، فلتكن ذاكرة خالدة دائماً وليكن لوائه خفّاقاً وخلفه الصالح ـ قائد الثورة الإسلامية المعظم ـ صامداً ثابتاً وأنصاره الأشاوس مصرّون على نهجه ومقاومون على السبيل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الفصل الأول

الشخصية الممتازة والراقية لسماحة

الإمام الخميني قدس سره ومواصفاته الفذّة

الشخصية المثالية والفريدة الساطعة للإمام الخميني رحمه الله

مما لا شك فيه أنّ مواصفات الإمام رحمه الله كانت متميزة، ممتازة ومنقطعة النظير، وكلما أمعنا النظر في أبعاد وجوانب شخصيته، أدركنا هذا التمايز والإمتياز بشكل أفضل وأعمق.[1]

في الحقيقة، لا يمكن الحديث عن شخصية سماحة الإمام رحمه الله، إذ أنّنا لا يمكننا أن نتكلم حول أبعاد هذه الشخصية العزيزة وتذكار الأئمة عليهم السلام ونعلم ـ فيما لو تكلّمنا ـ بأنّ ذلك سيكون قاصراً وناقصاً، فنحن بحاجة إلى زمان طويل، حتى تتسنى الفرصة للألسنة الفصيحة أن تحيط بعظمة هذه الشخصية النادرة، ولهذا لا أُريد أن أتكلّم بصدد تلك الشخصية، لأني أصغر من أن أتمكّن من دراسة أبعاد شخصية هذا الرجل الكبير.[2]

---

(١) نقلاً عن كتاب (حديث الولاية)، ج١، ص ٤.

(٢) نفس المصدر، ص ٣١٣.

أنا لست قادراً على أن أصف الخصال الإنسانية السامية لهذا الرجل العظيم الذي سطع كالشمس في تاريخ إيران، لقد كنتُ مع الإمام ﵀ لسنين طويلة، فمن سنة ١٣٣٧هـ.ش (الموافق لسنة ١٩٥٨م) تعرّفتُ عليه. كنتُ أذهب استماع محاضراته، ولقد رأيت السلوك الدقيق والمنهجيّ لهذا الرجل في المراحل المختلفة للحياة وكذلك في الأزمات التي كانت تحصل، فهذا الإنسان النادر من نوعه لم يكن ـ أساساً ـ من شاكلة الناس في زماننا، الواقع هو أنني لا أتمكن أن أصف الخصال والمواصفات لهذا الرجل العظيم.[١]

يجدر بشخصية فريدة وعزيزة وعظيمة مثل الإمام الأغر﵀ أن تجعل أمثل الناس وأذكى البشر وأطهر القلوب وأزكى الأنفس إلى أن تطفح بشعور التعظيم والتجليل والثناء والتكريم.

هناك فرق كبير بين شخصية توقّر وتُحترم لأجل المنصب والمسؤولية الظاهرية لها وبين الشخصية العظيمة وذات الوجود العميق والفضائل العديدة التي تتحلى بها، لتدفع الناس إلى التجليل والتبجيل والتوقير والتكريم. أجل، شخصية الإمام كانت من هذا النوع.[٢]

---

(١) نفس المصدر، ص ٣٠.

(٢) نفس المصدر، ص ٢٩.

لقد لمعت شخصية الإمام حتى لأعدائه الذين حاولوا مستميتين ـ خلال العشر سنوات من حياته، بعد انتصار الثورة الإسلامية، عن طريق إعلامهم السامّ وإجراءاتهم الخبيثة ـ أن يشوّهوا وجه الإمام النيّر ويغيّروا صورة هذا الوليّ الصالح لله ويُطفئوا نور الأمل الذي بدأ يسطع في قلوب المسلمين والمستضعفين في العالم؛ فاليوم قد تغيّرت لهجة الجميع في توصيفهم ونعتهم للإمام رحمه الله، إذ أصبح وصفاً مُقِرّاً بعظمة هذا الإنسان العظيم وهذه الشخصية الكبيرة.[1]

لا يمكن مقارنة الإمام رحمه الله مع أي قائد من قادة العالم، بل يمكن مقارنته فقط بالأنبياء والأولياء والمعصومين عليهم السلام، حيث أنّه تلميذهم والسائر على نهجهم ومن هذا المنطلق لا يمكن قياسه بالقادة السياسيين في العالم، لأننا نعرف القادة السياسيين على وجه الأرض وقد درسنا تاريخ كفاحهم وسيرة شعوبهم بدقة.

في الحقيقة أننا نأسف على أن نطلق على هؤلاء اسم القائد أو الزعيم، ثم نأتي إلى الإمام رحمه الله ونسميه بنفس التسمية، فإذا سمّينا هؤلاء بالقادة والزعماء، فينبغي أن نختار للإمام عنواناً آخر، جديراً ولائقاً بالأنبياء، والواقع أنّ رسم معالم هذه الشخصية العزيزة على الله عزوجل والعزيزة على عباد الله الصالحين، أمر عسير جداً.[2]

---

(١) نفس المصدر، ص ٢١.

(٢) نفس المصدر، ص ٢١ و ٢٢.

كانت شخصية الإمام﵀، شخصية مثالية وهذه المثالية تمكنت من أن تظهر وتلمع بجميع أبعادها وجوانبها بشكل بارز وممتاز، فلما يكون الإنسان مثالياً وطيباً، لهذا تراه يؤثر في المحيط الذي محيط به، فيجعل من منزله وأصدقاءه ووطنه وعالمه محيطاً مناسباً ومطلوباً. كان الإمام ﵀ كالسراج الذي ينير كل مكان، لأنه كان نيّراً بالذات، حتى الأعداء أيضاً كانوا يتفقون على زهده وورعه وإبائه وعدم اهتمامه بالدنيا والصدق في مزاعمه وادّعاءاته.[1]

فإنّ كل واحد من تلك المواصفات والخصائص التي يتحلى بها الإمام﵀، كانت قادرة أن تجعل من شخص عادي، إنساناً عظيماً. فالإرادة والحزم والعلم والشجاعة والصدق والصراحة والتقوى والورع كانت من أبرز خصال الإمام﵀، وإذا ما تجلّت واحدة من هذه الخصال في شخصية فرد عادي، لتحوّل ـ لا محالة ـ إلى إنسان كبير.[2]

---

(١) نفس المصدر، ج٣، ص ٢٠٤.

(٢) نفس المصدر، ج١، ص ٥١.

اجتماع الصفات الممتازة والخصوصيات السامية

الحق والإنصاف يدفعنا إلى أن نعترف بأنّ الشخصية العظيمة لقائدنا الكبير وإمامنا العزيز ـ بعد الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام ـ لا تقاس بأي شخصية أخرى، إذ أنّه كان وديعة إلهية وأمانة ربّانية في أيدينا وحجة الله علينا ومظهراً ورمزاً لعظمة الله عزوجل. لمّا ينظر الإنسان إليه، كان يصدّق شموخ كبار الدين، فنحن لا نقدر أن نتصور تلك الهيبة والعظمة التي كان يتمثل بها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين؛ الإمام علي بن أبي طالب وسيد الشهداء؛ الإمام الحسين بن علي والإمام جعفر بن محمد الصادق وباقي الأولياء عليهم السلام، بالشكل الصحيح؛ لأنّ أذهاننا أصغر وأقل حجماً من أن تتمكن لاستيعاب وتصوّر هذه العظمة لشخصية هؤلاء الرجال العظام؛ لكننا لمّا نرى بأنّ الشخصية الشامخة والعظيمة كشخصية الإمام الأغر ومع تلك الأبعاد والمواصفات المختلفة؛ كالإيمان القوي والعقل الكامل والحكمة الوقّادة والذكاء والصبر والحلم والوقار والصدق والصفاء والزهد وعدم الاهتمام بزخارف الدنيا والتقوى والورع ومخافة الله عزوجل والعبودية الخالصة لله، فمثل هذه الشخصية تعتبر بعيدة المنال، إذا كانت هذه الشخصية الفذّة، تتصاغر وتتواضع أمام تلك الشموس الزاهرة والأقمار المنيرة في سماء الولاية ولكي تظهر عجزها وتواضعها وحقارتها فلا تعتبر نفسها إلاّ ذرة صغيرة أمام تلك الوجوه النيّرة، ومن هنا

يدرك الإنسان، مدى العظمة والسموّ لدى الأنبياء والأئمة المعصومين، سلام الله عليهم.

كان القائد الكبير والعزيز وإمامنا الفقيد العظيم وجهاً ساطعاً في العالم والواقع أنّنا لم نشاهد شخصية تماثله؛ لا في الأزمنة الماضية ولا في هذا الزمان ومن بين مجموعة الوجوه المعروفة في العالم ـ بعد الأنبياء والأولياء عليهم السلام ـ لم نعثر على شخصية قوية كهذه الشخصية، تعادل هذا المجد والشموخ وهذه الخصوصيات الإيجابية، الشاملة على الأبعاد الواسعة والجامعة لجميع الأطراف.

أنا بالذات لي اعتقاد راسخ بأن هذا الرجل الكبير لو كان يمتلك ـ وبالفعل كان يمتلكها ـ جميع تلك الخصوصيات الإيجابية: كالعلم والحزم والذكاء والشجاعة والإرادة، والى جانب ذلك لو كان يفتقد الإخلاص والإتصال بالله عزوجل والتنزّه من الشرك ـ بمعنى التجنب من أهوائه وأهواء الآخرين ـ لما نال هذه التوفيقات، لأنّ هذا النجاح الباهر وهذه التوفيقات العظيمة قد تحققت في زمن كانت البوادر كلها تشير إلى عزل الدين عن الحياة واندثاره وتراجعه من جهة وسيادة الأفكار الإلحادية والأخلاق والأساليب المادية وسيطرة الرغبات والشهوات الشيطانية والدنيوية من جهة أخرى.

لتبيين وتوضيح شخصية إمامنا الكبير، ذلك الإنسان السامي والمسلم المتقي، من الأفضل أن نلجأ إلى القرآن الكريم وعن طريق الآيات الهادية والراشدة في مجال وصف العباد الصالحين ونتقصّى المصداقيات والمطابقات القرآنية هناك:

فهو ﵀ ـ كما قلنا ـ بجهاده وهجرته التي تجعل المؤمنين في مدار ولاية الله عزوجل حاز على مصداقية هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾[1]، وبإقباله على الأخطار وسلوكه الفدائي والاستشهادي في سبيل الله، أصبح من ضمن الذين امتدحهم الباري عزوعلا في القرآن قائلاً:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ﴾[2]، وهو بنهضته التاريخية في سبيل الله وسعيه المرير والمنقطع النظير لإقامة القسط والعدل وإنقاذ المستضعفين من الظلم والتعسف والتمييز والتفرقة، قد لبّى رسالة القرآن الكريم بكل عزّ وفخر: ﴿كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ﴾[3]، و﴿كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾[4]، وأصبح رمزاً كاملاً للغضب والاستياء والبراءة من المشركين والكفار والمعاندين من جهة

(١) الأنفال: ٧٢.

(٢) البقرة: ٢٠٧.

(٣) المائدة: ٨.

(٤) النساء: ١٣٥.

والتعاطف والمودة مع المسلمين في كل أرجاء العالم من جهة أخرى: ﴿أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾[1]، وبمناجاته وتهجّده وتضرعه الخالص لله عزوجل أصبح من عِداد: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[2]، فهو الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والمجاهد في سبيل الله، وهو بقطعه علاقاته بأي صلة لا تتلائم مع علاقته القلبية للباري تعالى والفناء في الحق عزوعلا، أضحى مظهراً لهذه الآية: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3].

وهو بعمره الشريف وبحياته المباركة التي انقضت أيامها وساعاتها ولحظاتها بالمراقبة والمحاسبة؛ قد جسّد وحقّق المئات من الآيات القرآنية التي جاءت في توصيف المخلصين والمتقين والصالحين، أنّه لم يطبّق القرآن في محيط حياة المجتمع وعند تأسيس المجتمع الإسلامي فحسب، بل قد طبّق وحقّق الإسلام في حياته الشخصية أيضاً.[4]

---

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) الإسراء: ٧٩.

(٣) المجادلة: ٢٢.

(٤) نقلاً عن كتاب (حديث الولاية)، ج١، ص ٢٨٢، و ٢٨٣.

دعائه وبكائه في منتصف الليالي

إننا الآن ـ وبعد رحيل هذا القائد الفقيد والعزيز؛ سماحة الإمام الخميني قدس سره ـ نمتلك كنزاً وخزانة قيّمة جداً من نماذج القيادة الحكيمة والمنقطعة النظير لذلك الرجل العظيم في التاريخ وتلك السمات الفريدة من نوعها في عصرنا الحاضر. كان الإمام الخميني، صاحب الشخصية الرائعة التي لا يمكن تصور نظيره بين الشخصيات العظيمة والقادة في العالم والتاريخ باستثناء الأنبياء والأولياء المعصومين عليهم السلام أو أنّه من العسير أن نجد جميع هذه الأبعاد والخصوصيات مجتمعة في شخصية واحدة.

لقد مزج هذا العزيز، قوة الإيمان بالعمل الصالح والإرادة الصلبة بالعزم الراسخ والشجاعة الأخلاقية بالحزم والحكمة وصراحة اللهجة والبيان بالصدق والوقار والخلوص المعنوي والروحاني بالذكاء والكياسة والتقوى والورع بالسرعة والصرامة والهيبة والصلابة في القيادة بالرقة والعطف وبصورة عامة فهو كان يمتلك جميع هذه الخصال النفيسة والنادرة التي لم تجتمع في إنسان كبير منذ قرون وقد اجتمعت كلها مع بعض في شخصيته الكريمة. فالحق إنّ شخصية ذلك العزيز كانت شخصية فريدة، نادرة وبعيدة المنال ومنزلته كانت منزلة إنسانية رفيعة

المستوى وبعيدة كل البعد عن التصوّر والإدراك العادي، كانت شخصية على غرار الأساطير، كان قائداً وأباً ومعلماً ومحبوباً عند الشعب الإيراني وأملاً مضيئاً لجميع المستضعفين وخاصة المسلمين في العالم.

فهو العبد الصالح والخاضع لله عزوجل والعابد المتعبد الباكي في منتصف الليالي وقد كان روح العصر الكبير لنا وكان نموذجاً ونبراساً كاملاً للإنسان المسلم ورمزاً بارزاً ومتميزاً للقيادة الإسلامية.[1]

الأمير والحاكم على أهوائه ورغباته

كانت للإمام رحمه الله خصال متنوعة: عقليّة راقية وتواضع شعبي وكياسة عميقة ويقظة واعية وحزم قاطع ورأفة رحيمة وضبط النفس والتقوى والورع. لم يكن بإمكانك أن تشخص النظر إليه، ثم تتفوه بكلام ملفق وخارج عن الحقيقة والواقع في محضره. كانت له إرادة فولاذية وعزم راسخ، حيث لم يمنعه شيء من المضي إلى الأمام وفي نفس الوقت كان رحيماً رقيق القلب، إلى درجة أنّه كان يغرق تماماً في مناجاته ونجواه مع الله عزوجل وكذلك عند مواجهته لبعض المنعطفات من حياة الناس التي كانت تثير العواطف والرحمة في القلب؛ فالدوافع النفسية والجواذب

(١) نفس المصدر، ص ١٢ و ١٣.

المادية والأهواء الشهوانية لم يكن بمقدورها أن تتطاول على تلك القمة الشامخة وذلك الوجود المشحون بالتقوى والورع، لقد كان أميراً وحاكماً على أهوائه ورغباته ولم تكَن الأهواء والرغبات مستولية عليه. كان صبوراً مقاوماً ولم تتجرأ أصعب وأشدّ الحوادث في محيط وجوده وبحر شخصيته أن تُحدث أقل إعصار أو إهتياج.[1]

الجامع للخصائص المتميزة

عليكم أن تلاحظوا هذه النقطة بأنّ الطريق الذي كان يسلكه الإمام رحمه الله والمسؤولية الشاقّة والثقيلة التي كان يتحملها، لم تكن تتحقق بالعقل الاعتيادي والمعرفة الجسمانية والطاقة السياسية وحدها، بل كان رحمه الله يتمتع بالإخلاص والوفاء والصفاء الباطني واتصاله بالله تعالى وهذا ما مهد له السبيل لتحقيق كل هذه الإنجازات والتوفيقات، ولو أنّ المواصفات البشرية لسماحة الإمام رحمه الله كانت في مستوى أرفع من الأشخاص العاديين؛ لكن لا ينبغي التصوّر بأن هذه الثورة الإسلامية قد انتصرت واستمرت عن طريق الحكمة والعقلانية والخصائص العادِية والبشرية للإمام رحمه الله فقط.[2]

---

(١) نفس المصدر، ص ٢٩.

(٢) نفس المصدر، ص ٢٣.

اللبيب، الحازم، الحكيم، العارف بأمور الناس، صاحب الرؤية الثاقبة، الحليم، الصابر، الوقور والمتطلع إلى المستقبل

قلّما يمكن العثور على مثل هذه الخصائص البشرية في أشخاص عاديين، وإذا وجدت خصيصة واحدة من تلك الخصائص في شخص ما، فسيعتبر هذا الشخص، إنساناً كبيراً، فكيف لو اجتمعت جميع هذه المواصفات الممتازة، مرة واحدة، في شخص واحد.

كان الإمام ﵀ يتصف بالعقل والحزم والحكمة والمعرفة بالناس والبصيرة والحلم والوقار والتطلّع إلى المستقبل وكل واحدة من هذه الصفات بإمكانها أن ترفع الفرد وتجعله في مكانة رفيعة ومنزلة عزيزة، ثم تجلب له احترام الجميع. كان الوقار والصبر والحلم في شخصية الإمام﵀ بشكل يدعوه إلى التزام الصمت في اجتماع يحضره مئة شخص وهم يتحدثون بكلام لا يقبله الإمام﵀ وما دام لم يشعر بالضرورة في الكلام، لم ينبس ببنت شفة، في حين لو قيل في حضور أشخاص عاديين كلاماً يخالف ذلك الجمع، عندها تفور في روحه ثورة عارمة ويهمّ فوراً للجواب.

لقد شاهدتم ولاحظتم كيف أشار الإمام﵀ في وصيته إلى قضايا لم يتطرق إليها من قبل، ففي زمن بني صدر[1] ـ مثلاً لمّا التقيت بالإمام﵀

(١) أبو الحسن بني صدر؛ أول رئيس جمهورية، قد خلعه المجلس من منصبه لعدم كفاءته السياسية وخيانته الواضحة للوطن، ثم هروبه إلى فرنسا واتحاده مع المنافقين «مجاهدين خلق»

في حينها، قال لي: (إنّ ما ينقله بني صدر عني، كلها مخالفة للواقع والحقيقة)!

إذاً كلُّ ما كان يقال له لم يستفزه أو يدفعه إلى الغضب والاستياء ولم يتعبأ للرّد السريع. فلو كانت صفات الوقار والصبر والحلم والتحكم بالنفس ورحابة الصدر، تتواجد في أي شخص من الأشخاص، لجعلت منه إنساناً عظيماً، وفي ذات الوقت، لابد أن نشير إلى أنّ الإمام ﷺ لو كان يفتقد تلك العوامل الرئيسية الروحية والمعنوية كالإتصال بالله عزوجل والعمل من أجل رضا الله والتقوى والقيام بالواجب الديني، لما انتصرت الثورة الإسلامية ولما أنتم عشقتم الإمام ﷺ هكذا ولما كان يتمكن أن يوجد هذا الإعصار الهائل في العالم ولما كان بمقدوره أن يقف كالجبل الراسخ الصامد أمام تلك التهديدات والتحدّيات للأعداء.

صلته بالله وإخلاصه وتهذيبه للنفس

إنّ عمله الهائل والعظيم هذا، يعود إلى اتصاله بالله عزوجل وتهذيبه لنفسه، فالإمام ﷺ كان إنساناً مهذّباً وأعداءه في الداخل والخارج كانوا يعترفون له بهذا الخصيصة ويقرّون بأنّه شخص مؤمن، إلى درجة أن

وتورطه في تفجيرات مقر حزب «جمهوري إسلامي» ومكتب رئيس الوزراء واستشهاد الدكتور بهشتي ومحمد علي رجائي ومحمد جواد باهنر والعشرات من كبار الحكومة ونواب المجلس.

الرهينة الأمريكية الذي ظلّ معتقلاً في إيران لمدة استغرقت ٤٤٤ يوماً ومن الطبيعي أن يُلقي بجميع اللّوم في كل هذه الحوادث على الإمام رحمه الله، يجري مقابلة مع وسائل الإعلام الأجنبية بعد الإفراج عنه وبعد رحيل الإمام رحمه الله يقول فيها: (أنا لم أكن كبعض الناس الذين قد فرحوا لرحيل الإمام، فقد كان يحمل قيماً أخلاقية خاصة به ولا أحد كان يضاهيه).[1]

حياة وممات هذا الرجل كانت لله عزوجل:﴿سَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾[2]، إذ أنّ نهضته وإبعاده عن الوطن وعودته إلى إيران وحياته المباركة، ورحيله من الدنيا، كانت لله وفي سبيل الله تعالى.[3]

الشيء الوحيد الذي جعل الإمام رحمه الله قادراً على هداية وإدارة وقيادة الشعب الإيراني وثورته الجبّارة، هو أنّه كان متصلاً بالله، متوجهاً إليه ومتوكلاً عليه، فهو بالفعل كان (عبداً صالحاً) لله عزوجل وأنا شخصياً لا أجد تعبيراً أفضل من هذا لسماحة الإمام رحمه الله.[4]

كان نجاح وتوفيق هذا القائد العظيم وذلك الإمام الفذّ والشخصية المنقطعة النظير يكمن في هذه المسألة من أنّه تمكّن أن يحرك هذا البحر

---

(١) نفس المصدر، ص ٢٣.

(٢) مريم: ١٥.

(٣) نفس المصدر(حديث الولاية) ص ٥٢.

(٤) نفس المصدر، ص ٢٥.

الموّاج العظيم وأن يجعل الملايين من الناس تحت مظلّة الله عزوجل وأن يقرّ الإسلام، طريقاً للحياة ويعزّ الإسلام الذي قد تعبأت جميع القوى في العالم ضده ويقوم بإحياء مجدد للمعنويات والقضايا الروحية والقيم الأخلاقية المطرودة من المجتمع.

ولأنّ الإمام رحمه الله كان رجلاً ربّانياً ولا يعمل لمصالحه الشخصية، فالله أيضاً قد هدى عبده الصالح ومنح قلبه وعقله، صفاءً ونوراً حتى يستضيء بهما للعثور على سبيله السويّ وإعطاء الشجاعة والشهامة حتى يصمد أمام عالم مليء بالأعداء وقد استأنس قلبه حتى لا يتزلزل ولا يستوحش من إعراض الناس في أيام الغربة والوحدة.

فكان إمامنا ـ في بعض فتراته ـ كنوح وإبراهيم عليهما السلام، في حالة الغربة والوحدة والقِلّة؛ لكنّه لم يخف من الوحدة والتهديد واعتبر الله أكبر من جميع المخلوقات. إخواني وأخواتي الأعزاء! أنتم عباد الله المؤمنين، قد نهضتم وثُرتم وأطلقتم الشعارات وصمّمتم على التواجد في جبهات القتال من أجل الامتثال لأوامر الله عزوجل، اعلموا أنّ السرّ الرئيسي والرمز الأساسي في مواصلة الانتصار، هو أن تسيروا تبعاً للأهداف الإلهية، متوكلين على الله عزوعلا.[1]

(١) نفس المصدر، ص ١٤٢و ١٤٣.

وحسب اعتقادي إنّ من أهم أسرار نجاح وتوفيق الإمام رحمه الله الحاسم والمصيري، هو الإخلاص لله والتوجه إليه والاتصال به، فلقد جسّد معنى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ في أعماله وسلوكيّاته وأن يرتبط ويتصل بمصدر القدرة الإلهية الدائمة، فعندما يتصل هذا الإنسان الصغير والضعيف وصاحب الاستيعاب المحدود بالمحيط الذي لا نهاية له، فسوف لن تكون هناك قوة أو قدرة يمكنها التفوق والغلبة عليه.[1]

التقدم والتطور والكمال الدائم في شخصيته العملاقة

خلال هذه المدة وطوال هذه السنين، كنتُ أفكّر دائماً وما كان يخطر على بالي، هو أنّ القسم الأعظم من الإنتصارات التي قد حققناه، كانت نابعة من روحية الإمام رحمه الله بالذات؛ أي أنّه كان حقاً يمتلك نفسية ممتازة ومهذبة، قد عمل على صفاءها عن طريق ممارسته للرياضة الروحية والقيام بصيقلتها، ثم إن جميع الذين كانوا يعرفونه من السابق، يشدّدون على هذه النقاط أيضاً ـ لكننا كنّا نشعر بأنّه وخلال مرحلة هذه الثورة المباركة لم يتوقف في ذات نفسه وروحه النامية، بل ظلّ ينمو ويتقدّم ويتطوّر ويتكامل، كما كان ذلك يحصل لأولياء الله والذات الشريفة للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومين عليهم السلام.

(١) نفس المصدر،ج١، ص ٥٧.

مما لا شك فيه أن لحظات بعثة الرسول ﷺ لم تكن كلحظات احتضاره ورحيله، لأنّه قد نال خلال ٢٣ سنة، بعد بعثته وحتى في مماته ووفاته الكثير من النماء والرقي، حيث أنّها تكون مدهشة جداً بالنسبة لنا ـ كأشخاص لعاديين ـ لكن المؤمن يكون هكذا، لأنه يمارس النماء والارتقاء لحظة بلحظة، وإمامنا العزيز رحمه الله كان كذلك تماماً ونحن كنّا نلاحظ ذلك ونشعر به في بعض المواقف الخاصة، فمثلاً كان لا يلتقي بأحد خلال شهر رمضان المبارك، بل كان يخلو إلى نفسه في معظم أوقاته، ثم لمّا كنّا نلتقي به بعد انقضاء شهر رمضان، كنّا نشعر بشكل محسوس، بأنه قد امتلأ نوراً أكثر ومعنوية أعمق، ولهذا أُجزمُ من أنّ الكثير من النجاح والتوفيق الذي حصلت عليه الثورة الإسلامية، كان مصدره تلك البؤرة الفوّارة الساطعة وذلك المركز الوهّاج المنير.[1]

تضرّعه واستغاثته وبكائه وتوسلاته

أنا بالذات أُؤمن بهذا الموضوع فيما لو كان إمامنا الكبير والفذّ ـ حيث أني لم أجد بين الناس وفي هذا الزمان، من يعادله حقاً وبعد أئمة الهدى والأولياء عليهم السلام، قد لا نعثر على أحد يشاكله ـ فلو كان الإمام رحمه الله بعيداً عن هذه المفاهيم ولم يستأنس بالمناجاة والدعاء ولم يكن من أهل التضرّع

(١) نفس المصدر، ج٢، ٢٣٧.

والاستغفار والبكاء والتوسلات، لكان من المستبعد جداً أن يمنحه الله تعالى كل هذه التوفيقات، فنجاح هذا الرجل العظيم مرهون بهذا الارتباط بالله عزوجل وانفتاح قلبه على عالم الملكوت والإستغاثة والمناجاة والدعاء، وكنّا نلاحظ ارتقاءه، واعتلاءه في كل لحظة كانت تمر على هذا الرجل الروحي والربّاني، فكان يلاحظ بأنّه يزداد نوراً على نوره وإن الله عزوجل كان يهديه إلى سبيله السويّ هذا وإنّ الذي سلكناه نحن خلال الإحدى عشر عاماً بعد إمامنا الراحل رحمه الله لم يكن طريقاً قطعناه بشكل اعتيادي وطبيعي، من غير الهداية والحماية والمساعدة الإلهية، فلقد اخترقنا منعطفات عجيبة وتركنا وراءنا أوضاعاً متأرجحة ومتأزمة وذلك بفضل قيادة الإمام الراحل رحمه الله، إلاّ أن كانت تدعمنا الهداية الإلهية.

عقيدة الإمام رحمه الله بالذات أيضاً كانت موافقة لهذا الموضوع، حيث أنّني قد سمعت ذلك منه وهو يقول: (فأنا منذ بداية الثورة كنتُ أشعر بأنّ هناك يد هادية تدعمنا وتدفعنا إلى الأمام وتفتح أمامنا الطرق المسدودة). أجل هذه هي الحقيقة بذاتها، لأن الله عزوجل يمنح هذه الهداية إزاء تلك الجهود والإخلاص والصفاء والنورانية.

فلا تمنح الهداية الإلهية إلى الأشخاص الغافلين ومن هنا نرى المعصوم عليه السلام يقول في المناجاة الشعبانية: (وأنِر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك) مفاتيح الجنان /مناجاة الشعبانية، فهذه النورانية في أبصار القلوب

واتضاح الحقائق للقلوب الواعية والعيون الباصرة للمؤمنين، لا تأتي بصورة عفوية ومجانية ولا تتحقق من دون سعي وجهاد وارتباط واتصال بالله عزوجل.[1]

عبوديته وإخلاصه واستعانته بالله

النقطة المهمة والرئيسية الأولى، هي لو أنّ عنصر العبودية والإخلاص لم تتواجد في تلك المجموعة الثمينة التي تشكلّت منها شخصية الإمام رحمه الله الروحية، لما نال هذا النجاح والتوفيق.

إذاً فإنّ الإنجازات التي تحقّقت، هي أكبر وأضخم من أن تكون نتيجة الإجراءات التي قامت بها هذه الشخصية العظيمة وبمجموع هذه الخصائص، من دون أن يكون لها ارتباط واتصال بالله عزوجل.

إذا تمكّن سماحة الإمام رحمه الله أن يقود هذه الحركة الهائلة في العالم، لأنّه كان مرتبطاً بالله عزوجل في هذا الطريق، فهو لم يلاحظ ولم يعبأ بأي شيء آخر سوى لله. واليوم وبعد أن رحل الإمام رحمه الله عنّا توالت الاعترافات وكلمات الثناء والتمجيد من قبل الجميع في العالم وذلك لأنّه تمكّن من تحريك وتسيير بحراً هائلاً من الجماهير، فلم يتحقق هذا العمل في ظل

(١) نفس المصدر، ج٣، ص ٢٨٧و ٢٨٨.

الإرادة الحاسمة والذكاء والشجاعة والنظرة الثاقبة والرؤية المستقبلية فحسب. لأنّ هذه الخصال وحدها لم تكن قادرة على إيجاد هذا الإعصار الجبّار، بل إنّ العنصر الرئيسي لهذا الحدث العظيم، هو الاتصال بالله عزوجل والاستعانة به، حيث جعل إسم الإمام﵀ وإنجازه الكبير خالداً في التاريخ.[1]

وفاءه وتوكله وحسن ظنّه بالله

النقطة المهمة الثانية هي أنّ الإمام﵀، كانت له خصائص فردية ممتازة كثيرة، لكن توفيقاته ونجاحاته كانت في مستوى أعلى من أن تستند إلى هذه المواصفات الفردية لهذا الإنسان الشامخ ـ ولو كان هذا المستوى رفيعاً وعالياً ـ حيث أنّ شجاعة وعلم وعقل وتدبير الإمام﵀ ورؤيته المستقبلية، كانت ممتازة ومتميّزة للغاية، إذ لا شك في هذه الخصال أبداً؛ لكن التوفيقات التي حصل عليها هذا العزيز، هي أرفع بكثير من أن يكون منشأها الشجاعة والعقل والتدبير والرؤية المستقبلية القوية والثاقبة لإنسان عادي.

إنّ هذه التوفيقات تصدر من محل آخر وبالدرجة الأولى تنبعث من إخلاصه: (مخلصين له الدين)، أنّه كان مخلصاً لله عزوجل، وكان لا يقوم

(١) نفس المصدر، ج١، ص ٥١.

بعمل إلا من أجل الله وفي سبيله ولهذا فلو اصطف العالم كله أمامه ثم طلبوا منه شيئاً لم يكن فيه رضى الله تعالى، لم يقدم عليه بتاتاً.

وفي المرحلة الثانية، كان الإمام ﵀ متكأً على الله ويحسن الظنّ بالله ومن وجهة نظره لم يكن هناك فعل مارق من قدرة الله تعالى، فالأفعال الضخمة والحركات الجبّارة واقتلاع الجبال الراسخة والرواسي الثابتة كانت بالنسبة له سهلة ميسورة؛ لأنّه كان يعتقد باتكائه على الله وسيساعده الله ولأنّه كان متوكّلاً على الله، لذلك كان ينظر إليه بحسن الظن.

في اليوم الذي بدأ فيه الإمام ﵀ النهضة، لم يكن الذين آمنوا بنهضته بالعدد الكثير، فعندما أطلق الإمام﵀ شعار إسقاط النظام الشاهنشاهي الفاسد وقلب الحكم الملكي، كان عدد الذين باتوا يفكرون من الممكن قلب الحكم الملكي في إيران وإسقاطه، ضئيلاً جداً، وحينما أعلن الإمام ﵀ عن السياسة(اللاشرقية واللاغربية)، كان عدد الذين ظلّوا يؤمنون بإنشاء حكومة من غير أن تكون مستندة إلى الشرق أو الغرب، ويمكن الحفاظ عليها وإدارتها، نادراً جداً، وفي الوقت الذي كان يقول فيه سماحة الإمام﵀: (ليس بمقدور أمريكا أن تقوم بأي غلطة). كان عدد الذين آمنوا بهذه الفكرة بأن أمريكا ليس بمقدورها أن تتجرّأ للقيام بأي غلطة إزاء الإمام﵀ وأُمّته، قليل جداً.

وقد قام بجميع هذه الأعمال العملاقة لأنه كان متوكّلاً على الله وكان يعلم بأنّه قادر على القيام بها. بطبيعة الحال لم يكن إنجاز العمل، هو الهدف بالنسبة له، لأنّه كان يقول: (إنّي أقوم بواجبي)، كان يعتبر تنفيذ الواجب والقيام بالمسؤولية هو النصر والفوز، وحسب رؤية الإمام﵀ لم يكن النصر أن يقوم بعمل يودّ القيام به شخصياً، بل إنّ الإنتصار ـ حسب رؤيته ـ هو أن يقوم الإنسان بأعماله حسب وظائفه وتكاليفه الشرعية، فبهذه الروحية وهذا الشعور والدافع، كان يتقدّم في أعماله ويواصل أهدافه.[1]

معرفة الأصدقاء والأعداء

كانت للإمام﵀ خصلتان أُخريان أيضاً، ولم يحصل عليها إلاّ عن طريق هذه النورانيّة الإلهيّة وهي: معرفة العدو والصديق، فإنّه لم يخطأ في التعرّف على الأعداء والأصدقاء، فقد عرف الأعداء منذ البداية وكشف النقاب عن وجوههم، ثم وقف أمامهم حتى النهاية وهكذا فقد عرف الأصدقاء وأعلن عن وجوههم، حيث تمتّع من صداقتهم إلى النهاية.[2]

---

(١) نفس المصدر، ج١، ص ٢٩٨ و ٢٩٩.

(٢) نفس المصدر، ص ٢٩٩.

حساسيّته للثناء على الأئمّة الأطهار عليهم السلام

كانت لإمامنا العزيز ـ ذلك الإنسان العظيم في عصرنا الحاضر حساسيّة عالية جداً بالنسبة لمدح وسرد الثناء على الأئمّة الطاهرين عليهم السلام، فنحن قد طالعنا من قبل، سيرة الرجال الكبار في الكتب وقد شاهدنا البعض منهم عن كثب، لكن هذا الشخص، يُعتبر إنساناً آخر، حيث أنّه كان يمتاز عن جميع الأشخاص الكبار الذين قد عرفناهم الآن بامتياز كبير وفرق شاسع، حيث أنّه ظلّ يواكب ـ في امتيازاته هذه ـ أولياء الله، أجل هكذا كان الإمام رحمه الله، لا مثل الشخصيات المعروفة التي كانت موجودة في عالمنا اليوم وفي الماضي وكانت مشهورة بأنها شخصيات كبيرة، في حين أن إمامنا العزيز كان يمتاز عن أولئك كثيراً، الحق أنّه كان شخصية جليلة جداً وبالنسبة إلى الدعاء وامتداح الأئمّة المعصومين عليهم السلام وحياتهم وارتباطه العاطفي معهم والمحبة وتعزيز هذا الاتصال كانت له حساسيّة كبيرة جداً، فشخص في هذا المستوى والمقام يبدي اهتمامه إلى هذا الحدّ بالموضوع، يشير إلى الحجم العظيم والأهمية الكبيرة للمسألة.[1]

(١) نفس المصدر، ج٣، ص ١٦٤.

القيام بالواجب والإرادة الصلبة

شخصية الإمام رحمه الله ترتبط إلى حد كبير بأهمية وعظمة قضيته وتطلّعاته، فهو بعزمه القوي وإرادته الصلبة قد قام باختيار أهداف هائلة جداً، والتأمّل في هذه الأهداف من منظور أشخاص عاديين، كان أمراً صعباً ومعقّداً، لأنّهم كانوا يتصوّرون بأنّ تلك الأهداف بعيدة المنال ولا يمكن الوصول إليها، في حين أنّ العزم القوي والإيمان والتوكّل والمثابرة التي لا تعرف الكلل والملل والمواهب الجمّة والقدرات المذهلة العجيبة التي توطّنت في ضمير هذا الرجل العظيم، بدأت تتفاعل وتتعامل مع بعضها البعض وتتقدّم نحو الأهداف المرسومة وعلى حين غرة، شاهد الجميع بأن تلك الأهداف والتطلّعات قد تحقّقت بالفعل.

الركيزة الأساسية في أعماله وإقداماته، هو أنّه كان يذوب في الإرادة الإلهية والتكليف الشرعي، فلم يكن يعبأ بشيء غير القيام بالواجب، لقد كان حقاً مصداقاً للإيمان والعمل الصالح، فإيمانه كان يشبه استحكام الجبال وعمله الصالح كان ملازماً لسعيه الدائم الذي يكاد لا يُصدّق، حيث أنّه كان في مواصلة عمله صبوراً وساعياً، إلى درجة أنّه كان يبعث على الحيرة والعجب ومن هذا المنطلق نرى بأنّه قد نال أهدافه الكبيرة وإمكانية الوصول إلى القمّة وكسب الذروة بات أمراً حتميّاً.[1]

---

(١) نفس المصدر، ج١، ص ٤.

كان يكرّر هذا الكلام دوماً بأنّنا لم نقم بالأعمال حتى نصل إلى (النتيجة)؛ بل إنّنا في حال القيام بمهمّة(التكليف)، فلو فرضنا، بعد عودة الإمام﵀ من باريس، لم يحصل كل الذي قد حصل الآن، بل على العكس، كانوا يقتلون الناس ويعدمون أصحاب وأنصار الإمام﵀ ثم ينفوا الإمام كما فعلوا في السابق، في تلك الحالة أيضاً، لم يشعر الإمام﵀ بالفشل والإحباط، بل كان يعتقد بأنّه منتصر، فمن يعمل من أجل أداء التكليف والقيام بالواجب، لم يكن انتصاره بأن ينال غايته مباشرة، بل سيشعر بالانتصار متى ما تمكّن أن يقوم بواجبه، وفي هذا المجال يقول الشاعر الإيراني:

النص الفارسي:

به راه باديه رفتن به از نشستن باطل

كه گر مراد نجويم به قدر وسع بكوشم

الترجمة العربية:

الذهاب إلى الصحراء أفضل من أن أقعد ببطالة

فيما لو لم أتمكّن من العثور على ما أُريد، فسأسعى بقدر طاقتي

كان البعض يقول في حادثة (مدرسة الفيضية)، ثم في موضوع (الخامس عشر من خرداد) بأنّ لا فائدة في مثل هذه الأعمال، فأنتم تضيّعون وقتكم وتنفقون طاقاتكم هباءً، لأن جلاوزة الشاه هم عدة إضعافكم! ثم لمّا أبعدوا الإمام رحمه الله في عام ١٣٤هـ.ش(١٩٦٤م)، ترسّخت هذه الفكرة أكثر لدى بعض الأفراد، فكانوا يقولون: ليس في مساعي الإمام رحمه الله وزحماته أي فائدة، فليس بإمكانه أن يحصل على نتيجة إيجابية!! وفي الحقيقة إذا أراد الإنسان أن يقيّم الأمور بالعقل والمنطق الاعتيادي، عندها يصل إلى نفس النتيجة، في حين أنّ الشيء الذي كان يدفع الإمام رحمه الله لئلا يفقد أمله ـ على الرغم من وجود كل هذه العراقيل ـ ويواصل حركته، هو أداء التكليف الإلهي، فكان يؤمن بأنّ يداً غيبية تقوم بهداية وحماية هذه الثورة وليس من واجبنا أن نتقصى نتيجة العمل.[1]

كانت قضية القيام بالواجب في كلمات الإمام رحمه الله ومن وجهة نظر هذا الرجل الحكيم الذي لم يكن من عداد رجال الدين العلماء والمتخصصين في أمور الفقه والأصول والحكمة والفلسفة فحسب؛ بل كان من ناحية صفاته الشخصية ومن الجانب الروحي، إنساناً متعالياً في أفكاره ورفيعاً في عقائده، كان أداء التكليف عنده أمراً مهماً للغاية، فنحن قد رأينا الكثير من الأشخاص الكبار وطالعنا السيرة الذاتية لبعض هؤلاء في الكتب وقد اختلطنا بأنواع الشخصيات الروحية من علماء الدين والأساتذة كثيراً، لكنّ

(١) نفس المصدر، ص ٢٤.

الإمام رحمه الله كان إنساناً مثالياً ورجلاً فذّاً استثنائيّاً ولم يكن كغيره من الذين لبسوا نفس الزي وواصلوا نفس الأهداف، فالحق أنّه كان إنساناً راقياً ممتازاً.

كان سماحته يقول دائماً بأننا نعمل من أجل القيام بواجبنا، حتى أنّنا لم نسع ولم نجهد من أجل كسب النصر. بطبيعة الحال نحن نحبّ الإنتصار، فلا أحد يكره النصر والفوز ولا أحد يترك عمل من أجل النصر، لكنّ الهدف النهائي شيء يفوق النصر وهو اكتساب رضا الله عزوجل وأداء التكليف والقيام بالواجب.[1]

جمال الروح والعزم الراسخ

الهوية الفنية للإمام رحمه الله قد ظهرت للجميع بعد رحيله، ولم يكن يعرف الكثير من الناس بأنّ الإمام كان يهتم بالشعر وهو شاعر أيضاً، خاصة وأنّ أشعاره تحمل هذه المضامين العرفانية اللطيفة وقلبه المتيّم المحروق الذي يخفق في صدر عارف عاشق وواله، يحمل روحاً عرفانية تطلق أقوى الصرخات ضد الإستكبار العالمي، أي أنّه يحمل تلك الرقة القلبية في صدره، إلى جانب تلك الإرادة القوية في ساعده وبهذا يتمكن أن يقوم بأعمال هائلة في عصرنا.

---

(١) نفس المصدر، ج٣، ص ٢٧٩.

وهذا مهم للغاية، إذ أنّ تلك الروح اللطيفة، خلال هذه السنين الطويلة من الكفاح والتي كانت مصحوبة بأنواع كثيرة من المصاعب والمشاكل، أن تتواكب مع قوة الإرادة والمقاومة في درب الجهاد وفي نفس الوقت لا تنحرف إلى اليسار أو اليمين قيد شعرة وحسب اعتقادي، أنّ الإمام ﷺ يشكّل نموذجاً متكاملاً ورمزاً سامياً لجميعنا، ولنا ولكم أيضاً كفنانين ملتزمين ومؤمنين، فهو يعتبر نبراساً وقدوة لكل القطاعات في المجتمع وفي المجالات المختلفة، ولا بد أن نسير على خطاه ونتعلّم منه الكثير.[1]

التواضع حيال الناس

لقد حالف الشعب الإيراني الحظّ، إذ منحهم الله تعالى هذه الدّرة الثمينة وذخيرته العزيزة، إذ أنّ الله يذخّر درره الغالية للأيام الحساسة في تاريخ البشر ونحن قد كنّا لائقين وجديرين بهذه المنحة، لأنّ الله عزوجل جعل بيننا تلك الدرر الفريدة والجوهرة الثمينة. فهناك الكثير من الذين كانوا يرون الإمام ﷺ، لكنهم لم يعرفوه، بل كانوا يشبّهونه بالأفراد العاديين، في حين أنّ الله قد هيأ له الظروف لظهور واندلاع منجم وجوده الزاهر والناصع، في ظلّ العبودية الخالصة لله عزوجل.

فهو لم يعتبر لنفسه عنواناً أو متاعاً يتمتّع به لنفسه، فتلك اليد الصلبة التي تمكّنت أن تغيّر جميع سياسات العالم بقوتها وتحوّلها من مكان لآخر

---

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٣١٦.

وذلك اللسان الناطق الذي انفجرت كلماته كالقنبلة المدّوية في العالم، قد أثّرت في الناس أيما تأثير وتلك الإرادة الهائلة التي بدت الجبال الضخمة أمامه صغيرة متصاغرة؛ فهذا الإنسان المارد الكبير، متى ما كان يذكر عنده سيرة الناس واسم الشعب، كان يشعر بتواضع وبتصاغر أكثر من ذي قبل وكان يطأطأ رأسه أمام مشاعر وإيمان وشجاعة وعظمة وتضحية الناس وكان يردّد متواضعاً: (الشعب أحسن وأفضل منّا).

أجل فالشخصيات الكبيرة الفذّة هكذا دائماً، فإنّهم يرون الأشياء التي لم يراها الآخرون أو أنّهم لم يسعوا لرؤيتها.

في بعض الأحيان، كانت تبدو بعض الأعمال والأفعال الاعتيادية ـ حسب رؤية الناس العاديين ـ في حين أنّ الإمام الكبير والروح المتعالية والجبل الشامخ كان يرتجف منها ويهتزّ لها.

جاء عدد من أطفال المدارس إلى صلاة الجمعة في طهران أيام الحرب المفروضة، حاملين معهم حصّالة نقودهم، ليكسروها هناك ويقدّمونها هدية إلى جبهات القتال، غداة ذاك اليوم التقيتُ بسماحة الإمام رحمه الله، فقال لي وقد اغرورقت عيناه من الدمع، هذه العيون التي طالما نظرت إلى جمال وجلال الباري عزوجل، قال: (هل رأيت ما فعل هؤلاء الأطفال؟) حيث أنّ هذا العمل كان عظيماً وهائلاً ـ حسب اعتقاده ـ

ولهذا فقد تأثّر الإمام رحمه الله بهذه المبادرة المقدّسة من قبل هؤلاء الأطفال الأبرياء.

فهو كان يفهم الأمور جيداً ويشخّص المسائل بشكل دقيق، فلقد كان في مستوى أرفع ومكانة أعلى من جميع الذين قد رأيتهم أو قد سمعت عن أوصافهم ـ عدا الأنبياء والأولياء والأئمة عليهم السلام ـ فالشخصيات الفاخرة التي قد طالعنا سيرتها ودرسنا ترجمتها في التاريخ القديم والمعاصر، ليست بذلك المستوى من ناحية الرفعة والعظمة حتى يمكن مقارنتها مع شخصية الإمام والقائد الكبير رحمه الله، لكنّه كان يقول ويعترف أمام الناس(إنّي أشعر بالحقارة أمامكم).[1]

الإتّكاء على الشعب الإيراني والشعوب الإسلامية

كان سماحة الإمام رحمه الله يرتكز ويتّكأ على الشعب الإيراني المسلم والشعوب الإسلامية، ففي إحدى الزيارات التي كان من المقرر أن أُسافر إلى خارج البلاد[2]، التقيتُ بإمامنا العزيز، وفي تلك الآونة كانت مشكلة خاصة في البلاد، فقلت له: بالنسبة لهذا الموضوع، هناك كلام كثير في العالم يقال ضدّنا(كان قصدي ـ بطبيعة الحال ـ هو تقديم تقرير حول

(١) نفس المصدر، ج١، ص ١٥٩.

(٢) أيام كنت رئيساً للجمهورية آنذاك.

الموضوع، لكنّي لم أكن متخوّفاً أو مرعوباً من تلك الحركات الغوغائية في العالم، ثم شرحت الموضوع لسماحته).

فرأيته مطّلعاً على جميع الأخبار في العالم عن كثب وبشكل مباشر وفي أغلب الأحيان كان يحصل على الأخبار العالمية قبل الآخرين إبتسم سماحة الإمام رحمه الله، إبتسامة رضا، ثم قال في جوابي: (أجل، إنّي على علم بالموضوع، ولكن الشعوب جميعها معنا)، الحقيقة أنّ الموضوع كان كما قال الإمام رحمه الله، ففي تلك الزيارة، كان تواجد الشعوب إلى جانبنا ظاهراً وبارزاً إلى حدّ أن أدهشنا الموضوع جميعاً. إذاً فالإمام رحمه الله كان يعرف أصدقائه وكان يعرف أعداءه جيداً، فكان يتمتّع بصداقة أصدقائه ويثق بهم ويتّكل عليهم، وأكبر أصدقاءه هم أنتم أيها الشعب الإيراني الوفي وقد كان يعرفكم جيداً.[1]

حكمة الإمام قدس سره وعرفانه

حسب تصوّري، أنّ العين التي بإمكانها أن ترى تلك التفاعلات والتأثيرات مسبقاً، هي التي تسمى في المصطلح الإسلامي والقرآني بالحكمة: (وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب)، فإلى حد ما فهمته أنا، الحكمة هي النظرة الثاقبة التي بإمكانها أن ترى الحقائق والوقائع من وراء

(١) نفس المصدر (حديث الولاية) ج١، ص ٣٠٠.

غطاءها المادي وحجابها الدنيوي، مع أنّي كنتُ لسنين طويلة ـ قبل انتصار الثورة الإسلامية ـ في خدمة إمامنا الكبير والعزيز وكنت أكنّ له الحب والإخلاص وأعرفه جيداً، لكنّي لم ألتفتُ إلى هذه النقطة إلاّ بعد الثورة وهي أنّ إمامنا رحمه الله كان رجلاً حكيماً، ولا أقصد هنا بالحكيم. بالمعنى المصطلح ـ أي الفيلسوف ـ بل المقصود من الحكمة هو معناها الحقيقي القرآني، حيث أنّ الله عزوجل يقول في القرآن الكريم بأنّه قد أرسل الأنبياء لهذا الحكمة، بإمكانكم أن تنظروا إلى بعض الفهارس القرآنية كالمعجم المفهرس ولا بد أن تستأنسوا بهذه الأشياء فهي معلومات جيدة جداً، ابحثوا عن كلمة (الحكمة) في المعجم، ثم انظروا إلى جميع الآيات التي جاءت كلمة (الحكمة) فيها، وإن لم يكن بمقدوركم أن تتعرفوا على معنى الآيات، فبإمكانكم أن تراجعوا الترجمة الفارسية حتى تعرفوا معنى الحكمة في القرآن.

حسب تصوّري أنّ الإمام رحمه الله كان رجلاً حكيماً، أي أنّه كان يرى التفاعلات الروحية الباطنية الخفية ـ كحركة المياه التي تجري تحت الأرض وتحتاج إلى علم خاص ـ فإذا ما لامست مثلاً يد الإنسان الماء ـ ولو كان الشخص ضريراً ـ فإنّه يدرك وجود الماء ويسمع صوت خريره أيضاً؛ لكنه لا يتمكّن أن يستشعر وجود الماء تحت الأرض، فهذا معنى الحكمة، وأنا كنت ألاحظ بأنّ هذا الإنسان الفذّ المتميّز في زماننا والذي

لا يمكن مقارنته مع الآخرين أبداً، وكأنّه يشاهد الحركة الخفية للأحداث ويرى ما وراء الستار، لا أُريد أن أزعم هنا بأنّ الإمام كان يعلم الغيب، لا، فلا يعرف الغيب إلاّ من أذن له الرحمن وأطلعه الله عزوجل، والإمام رحمه الله أيضاً لم يزعم هذا الموضوع ومن ثم لم نزعم نحن أيضاً بشيء من هذا في حقه، إذ أنّ النظرة الحكيمة تختلف عن هذه المواضيع، أي أنّ الحكيم يرى بعض الأشياء ويدركها بإحساس معنوي وحسّ روحي خفيّ.

كل هذه الحوادث التي رأيتموها أثناء الثورة الإسلامية، ثم تطرق إليها سماحة الإمام رحمه الله بشكل أو بآخر وقد تحقّقت أقواله وتنبؤاته بصددها، تعتبر من هذا الصنف من الرؤية الباطنية للأمور، فلا ينبغي أن تتصوّروا بأنّ سماحته كان يجري محاسبات مادية وسياسية، لا، إذ أنّ سماحته لم يكن أهل مثل هذه المحاسبات، بطبيعة الحال، كان الإمام رحمه الله يحمل عقلية سياسية ناضجة جداً وكان يعرف ويفهم الحقائق السياسية، إلاّ أنّه لم يدخل في مثل هذه المحاسبات التي تجري عادة لدى البعض، وهذا هو الشيء الذي يسمى بالغيب أو ملكوت العالم وهو وجودكم الذي لابد أن تؤمنوا به وطريق الوصول إليه هو التقوى أيضاً.

فإذا ما رأيتم الشعب الإيراني النبيل وقائداً كبيراً يقوده كسماحة الإمام رحمه الله يقفون ويتصدّون أمام الحشر الواسع لجميع أحزاب الكفر

والنفاق، من جميع أطيافه الشرقية إلى الغربية ومن الإسلام الأمريكي النزعة إلى الإسلام الإشتراكي الرغبة ومن النفاق والرجعية إلى الإستهتار والشهوانية: (إذ أنّ بعض الشهوانيين كانوا يعارضون الجمهورية الإسلامية لأنّهم يرغبون إلى عودة تلك الحالات الإستهتارية بشكل جارف! ولهذا فلم يواكبوا هذا النظام، بل حتى أنّهم كانوا يكافحوه)، إنّما كان ذلك نتيجة التقوى التي ألهَمَ الشعب الإيراني الحكمة والبصيرة.[1]

رؤية الإمام قدس سره نافذة تخرق الجدران والحُجُب

أثناء فترة الثورة الإسلامية، وقبل انتصارها، إذا ما كان الناس يواجهون بعض الصعوبات والشدائد، فعليهم أن يتذكّروا بأن المحافظة على الإيمان، يشبه إلى حد بعيد، حمل قطعة حديدية ساخنة محميّة في اليد أي أنّ الأمر فيه صعوبات ومعاناة حقيقية؛ فإذا ما سلّمنا بأنّ هناك مصاعب ومشاكل، إذاً فالإعتراض والوقوف بوجه الذين أوجدوا هذه المشاكل والمصاعب أمر وارد أيضاً، في حين لو خضعنا واستسلمنا لتلك الصعوبات، عندها سينشأ اعتراض آخر ضدّنا في إطار هذا الإستسلام والتخاذل، وهذا شيء متّفق عليه.

أيام رئاسة بني صدر، لما وصلنا إلى طريق مسدود معه وقد أصابنا اليأس حول الكلام الذي كنّا نذكره حول بني صدر، ذهبنا للإلتقاء

(١) نفس المصدر، ج٥، ص ١٧٥.

بالإمام ﷺ في هذا الشأن وكنّا نذهب على انفراد في بعض الأحيان وبشكل جماعي في أوقات أخرى، مرة كانت التقارير بصورة شفوية ومرة أخرى عن طريق رسالة وخطاب مكتوب، وأنا بالذات ذهبت مرة إلى زيارة الإمام ﷺ وقلتُ له بصراحة بأنّي قد توصّلتُ إلى هذه النتيجة بأنّنا لا نتمكّن من التعامل والتعاون مع بني صدر، ولابد أن أتّبع نفس الطريقة التي كنتُ أتّبعها قبل الثورة، حيث أنّنا كنّا نذكر بعض الكلام قبل انتصار الثورة، وإذا ما تأمل الشخص في ذلك الكلام، كان يتخذ موقفاً ضد ذلك النظام أو الشخص، ومن هذا المنطلق بالذات قلتُ له أنا مُجبر الآن بأن أذكر بعض الأشياء وإذا ما فكّر الشخص في هذه الأشياء، سيتخذ ضد بني صدر مواقف محددة! هنا نظر إليّ الإمام ﷺ وتبسّم ولم ينبس بكلمة.

في تلك الأيام، كنتُ أذهب أحياناً إلى زيارة سماحة الإمام ﷺ بقلب حزين وبال مشغول، وعندما أعود من عند الإمام، كنت أقول للأصدقاء بأنّ الإمام قد تلاطف معي وربت على كتفي وعن طريق عطفه ولطفه ونظرته الحنونة كان يملأ قلبي فرحاً وابتهاجاً، لكنّه في هذه المرة يبدو أنّه قد تركنا لوحدنا في الغرفة وبعد مغادرة بيت الإمام ﷺ، كان يقول في خطاباته: (السيد رئيس الجمهورية)، السيد بني صدر! أي أنّه كان يمارس نفس الكلمات ونفس التعامل الذي كنّا قد رأيناه منه في اللقاءات الشخصية! لأنّه كان يرى من المصلحة أن يتصرف بهذه الصورة ولأنّه كان رجلاً حكيماً حقاً، بكل ما في هذه الكلمة من معاني، أي أنّه كان يرى ما

وراء الجدران والحُجُب، حيث لم يكن بمقدورنا أن نرى نحن تلك المشاهد والمناظر، فكان يرى أشياء أكثر تفصيلاً من تلك التي كانت ولا زالت تحدث على مستوى رؤيتنا الظاهرية.

فنحن عندما كنّا نرى أنفسنا في مثل تلك الظروف، فماذا كان علينا أن نفعل؟ لم يكن من الصحيح أن نهمل الموضوع، إذ كان البعض يشعر بالفشل والإحباط تماماً، أجل فهذا لا يمكن تسميته إلاّ بفقدان الأمل واليأس المطبق، لكن الإنسان لا ينبغي أن يشعر باليأس في خضم الحوادث ومجريات الأمور، بل عليه أن يصمد ويقاوم، فالعدو يحاول أن يفرض علينا اليأس والفشل ويدعونا إلى ترك الساحة وفي نفس الوقت، يستغل جميع أنواع الآليات، فإذا ما شعرنا نحن بالفشل، وتركنا الساحة، فسوف ندعم العدو بعلم مسبق منّا.[1]

التوكّل والقيام بالتكليف الإلهي

في اليوم الذي خاطب سماحة الإمام رحمه الله الشعب وشرع بالكفاح، لم يكن بين العلماء والرجال المرموقين والشخصيات الممتازة والأفراد اللائقين آنذاك شخص يتصوّر بأنّ الشعب سيستجيب لصاحب هذه الدعوة والصرخة وسيواصل حركته خلف الإمام رحمه الله، في حين أنّ

(١) نفس المصدر، ج٨، ص ٢٤٠ و ٢٤١.

الإمام رحمه الله كان يؤمن بالشعب وكان على ثقة بأنّهم سيحضروا في الساحة ويستجيبوا للنداء وفي نفس الوقت كان يقول الإمام رحمه الله ـ وهو الذي قد امتلأت نفسه بالشجاعة والكرم، جرّاء توكّله بالله عزوجل ـ وكان يؤكد: بأنّي سأقوم بواجبي والناس أحرار في أن يلتحقوا بالمسيرة أم يتخلّفوا عنها وهذه نقطة مهمة، حيث أنّ الله عزوجل أيضاً لديه قاعدة تقول: (من كان لله، كان الله له)[1] و (من أصلح فيما بينه وبين الله، أصلح الله بينه وبين الناس)[2].

فنحن نرى بأنّ الكثير من السجناء الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية وفي أماكن أخرى نائية في الدول الإفريقية وفي تونس ومراكش وتحت وطأة الكبت والتعسّف، يطلقون الهتافات باسمه، فمن الذي قام بهذا العمل؟

هل كان هناك إعلام من جانبنا؟ هل تتمكن أجهزة الإعلام أن تدّعي ذلك؟

فأنا كنت رئيساً للجمهورية لمدة ثماني سنوات تقريباً وأعرف ما يجري في إيران، ليس إمكان أحد أن يدّعي بأني قد أذعتُ اسم الإمام رحمه الله

---

(١) بحار الأنوار، ج٨٥، ص٣١٩.

(٢) نفس المصدر، ج٦٨، ص ٣٦٦.

في هذا المكان أو ذاك، بل إنّ إسم الإمام قد سال وانحدر ـ بشكل عفويّ وطبيعي ـ كالماء السائل والمنهمر على أرض مستوية ومستعدة لجذبه وامتصاصه من قبل ذائقيه وشاربيه.

لقد كانت لي زيارة رسمية ـ أيام رئاسة الجمهورية ـ إلى إحدى البلدان الإفريقية، وما أن نزلتُ من سلّم الطائرة، لاحظتُ بأنّ رئيس الجمهورية هناك وقد استولى عليه الخوف والرعب لأنّ الحالة كانت واضحة وظاهرة على ملامحه تماماً، جلسنا سوية في سيارة المراسيم الرسمية والتشريفات لنذهب إلى مكان الضيافة. في السيارة لاحظت بأنّ هذا الشخص قد انكمش بعيداً عني ـ من دون قصد مسبق طبعاً ـ وكان لا يتجرّأ على النظر إليّ! لهذا حاولتُ جاهداً وابتسمتُ وضحكتُ ورويداً رويداً فتحت باب الحديث معه بالملاطفة والمرونة في الكلام، فاستملته وشجّعته على الكلام، وعندما عدت إلى طهران، ذهبت لزيارة الإمام رحمه الله وقلت له: بأنّي قد لاحظت هناك، أنّ هؤلاء كانوا يرون قبساً من نوركم فينا.

لم يكن رئيس جمهورية لتلك الدولة الإفريقية خاضعاً أمامي أنا بالذات ـ لأنّي لم أكن أنا في هذا المستوى ـ بل كان خاضعاً ومتواضعاً أمام شخصية الإمام رحمه الله، ذاك الإمام الذي كان رمزاً بارزاً للثورة الإسلامية،

وهذا الشخص ـ الذي لا أُريد أن أذكر اسمه ـ لم يتمالك نفسه، وحيث كان رئيساً قوياً ومعروفاً ولائقاً ولم يكن من الشخصيات الصغيرة والحقيرة، لكنّه كان يرى سماحة الإمام رحمه الله ويشم رائحته، عن طريق الوفد الإيراني الذي كان يزور تلك الدولة آنذاك.[1]

نهضة الإمام قدس سره في سبيل الله

قبل سنوات متمادية، كنت قد شاهدت العبارات التي كتبها الإمام رحمه الله آنذاك في دفتر الزيارات والذكريات المتعلّقة بالمرحوم(وزيري) في مدينة يزد، أخذني المرحوم إلى منزله وبعد ذكر التفاصيل والجزئيات حول هذا المكتوب والملفوف الذي قد وضعه في خزانته خبأها في زاوية من منزله، جاء بالمكتوب وفتح لي الدفتر وأراني كتابة الإمام رحمه الله التي كتبها خلال العشرينات (أي الأربعينات في التاريخ الميلادي) وكان قد كتب فيها(قيام لله) وبصورة مركّزة، كان الحديث في ذلك الملفوف وفي تلك الكتابة يدور حول (القيام لله).

ومن هنا نرى الأفكار المتنامية الواسعة والنظرات الحكيمة والدقيقة لسماحة الإمام رحمه الله تتمحور حول قضية (القيام لله)، حيث أنّ الشعب قد

(١) نقلاً عن كتاب (حديث الولاية) ج٤، ص ٧١ و ٧٢.

تخلّص توّاً في حينها من الإستبداد والإستيلاء البهلوي الأول(رضا شاه)، فكان يكلّل الأعمال التي كان من المقرر أن يقوم بها هو أو الآخرين بعبارة (القيام لله) وذلك لإحساسه بالمسؤولية، فكان يطابق المسؤولية الملقاة على عاتق الأفراد بهذه العبارة، فقد كتب الإمام رحمه الله صفحة أو صفحتين ولم تكن تلك الكتابة حركة إنفعالية وارتجالية قام بها سماحة الإمام رحمه الله، بل قد تبيّن ـ فيما بعد ـ بأنّ الموضوع قد كانت له سابقة راسخة وعلى امتداد جميع مراحل حياته؛﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾[1]، ونحمد الله تعالى، حيث لم يبق شيء من مجمل حياة وسيرة الإمام رحمه الله قد ظلّ خفياً علينا جميعاً وعلى الشعب الإيراني، فالكل شاهدوا ولاحظوا كيف أنّ حركاته وأقواله وصمته كان لله وكلّما كان يقوم به، كان يستهدف فيه (القيام لله)، وهذا التهديف وهذه النيّة النزيهة الشريفة، هي التي أدّت إلى حدوث تلك (المعجزة) على يده ـ ومما لا شك فيه أنّها كانت في مرتبة ثانية بعد الأنبياء والأئمة عليهم السلام ـ حيث حصل ذلك الحدث والتطور العالمي الهائل الذي نشأ إثر الثورة الإسلامية، فقد كان الحدث معجزة حقاً وتحقّقت بيد الإمام رحمه الله والإمام أيضاً بدوره قد تمكّن من صنع ذلك عن طريق الإتكاء على نظرية (أن تقوموا لله).[2]

---

(١) سبأ: ٤٦.

(٢) نقلاً عن كتاب (حديث الولاية) ج٣، ص ١٩٢ و ١٩٣.

الإمام قدس سره سنداً قوياً للمسؤولين

في الفترة الطويلة التي كنتُ فيها مسؤولاً؛ منذ الأيام الأولى من انتصار الثورة الإسلامية، كنت أتذكّر مراراً وتكراراً كلام الإمام علي، أمير المؤمنين عليه السلام حين قال: (إذا اشتدّ بنا الحرق، التجأنا برسول الله) نهج البلاغة /الكلمات القصار، أي أنّنا لمّا كنّا نخوض الحروب الطاحنة مع العدو إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما أن كاد يشتد الوطيس وهجوم الأعداء كان يحاصرنا من كل صوب وحدب، وفي ذروة الخطر والحرج، كنّا نلتجأ برسول الله، فعندما كنتُ أتذكّر هذه العبارة الشريفة للإمام علي عليه السلام، كنت أرى أنّها صادقة ومتطابقة علينا أيضاً.

كثيراً ما كان يحدث بأنّ كنّا نجتمع مع الأخوة المسؤولين، لحلّ بعض القضايا العالقة، فكنّا نتبادل الآراء والأفكار، ثم في النهاية كنّا نضع المشكلة الطارئة في محيط مجموعته ونطرحها على الإمام رحمه الله، فكان يحل لنا المشكلة وينهي الأزمة برأيه الصائب وإرادته القوية وإيمانه وتوكّله المنقطع النظير على الله عزوجل، فالله شاهد على ما أقول، بأنّي لم أر في حياتي هذه التي قضيتها قط، شخصاً ولم يطرق سمعي خبراً عن أحد في هذا المستوى من التوكّل وحسن الظنّ بالله، فهو الذي كان يبادر بحل المشكلة والأزمة الحاصلة لنا، واليوم قد افتقدنا هذا الأب الكريم للعائلة

وذاك السند القوي والشخص اللبيب والرؤوف الذي كنّا نذهب إليه في ملماتنا ومصائبنا.[1]

إخلاصه والقيام بواجبه في مسار الثورة الإسلامية

لقد بدأنا كفاحنا من أجل الإسلام ولم تكن نوايانا مرتكزة على طلب السلطة والإستيلاء على مراكز القوة والحكومة، ولهذا سألتُ من إمامنا العزيز(أعلى الله كلمته)، في أكثر من مرة: متى فكّرتم في إنشاء وتأسيس حكومة إسلامية وهل كنتم مصمّمين على ذلك مسبقاً؟ (طرحتُ هذا السؤال عليه، لأنّ الإمام رحمه الله كان قد بدأ محاضراته بصدد(ولاية الفقيه) في عام ١٣٤٨ هـ.ش(١٩٦٩م) في النجف الأشرف وأشرطة هذه المحاضرات كانت تصل إلى إيران بعد عام من تسجيلها)، أجاب سماحته: (لا أتذكّر، متى خطر على بالي أن أطرح موضوع الحكومة، على وجه التحديد، لكني كنتُ أفكّر في الموضوع منذ البداية وأتدارسُ المسألة لأرى ما هو واجبي وتكليفي الشرعي، حتى أقوم بتأديته والعمل به وكلّما حصل في هذا المجال، لم يحصل إلاّ بمشيئة الباري عزوجل).

سماحة الإمام الأغر قدس سره، قد بادر بتأسيس الحكومة الإسلامية في إيران وإرساء قواعدها بإيمانه وجهاده وإخلاصه وعمله الصالح، ثم أنّ الله

---

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٥.

عزوجل أيضاً قد أنزل عليه نصره وبركاته، لأنّ ربّ العالمين هو أصدق القائلين: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[1] و(من كان لله، كان الله له)[2] و﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾[3]، فهذه الآيات والروايات تشير إلى بيان هذه الحقائق والوقائع.

ظهر الجهاد والكفاح والإخلاص في بلدنا وبين أفراد شعبنا والله عزوجل أيضاً قد بارك فينا وكلّل جهودنا بالنصر، حيث حكم الإسلام البلاد وأصبح القرآن عزيزاً والمسلمون أمسوا أصحاب اعتزاز روحي ومعنوي واعتبروا الإقبال على الإسلام والتعلق به، فخراً لهم ولم يخجلوا لكونهم من أهل الإسلام.[4]

القوة والصلابة أمام الأعداء والرأفة والرحمة أمام الأصدقاء

والدة أحد الأُسراء في الحرب المفروضة ـ لا أدري هل كان ذلك في مدينة تبريز أو في مكان آخر ـ قالت لي هذه الأم: إنّ ولدي كان أسيراً، واليوم أخبروني بأنه قد استشهد، ولهذا اطلب منك أن تذهب إلى الإمام وتقول له بأنّي لستُ منزعجة ولا قلقة ولا حزينة، فليكن إبني فداءً لك،

---

(١) العنكبوت: ٩٦.

(٢) بحار الأنوار، ج٨٥، ص ٣١٩.

(٣) الحج: ٤٠.

(٤) بحار الأنوار، ج١، ص ٢٦٠.

فهذه الأمّ كانت في حالة عجيبة جداً، إذ أنّها كانت تشقّ الزحام بين الناس وتتقدّم نحوي؛ لهذا قلتُ للإخوة دعوها تأتي، حتى نرى ما تقول، جاءت وقالت لي هذا الكلام ولقد تأثّرتُ في حينها من هذه الرسالة كثيراً، لما رجعتُ إلى طهران وذهبت لزيارة الإمام رحمه الله، نسيتُ أن أسرد الموضوع على الإمام، لكنّي تذكّرت الأمر بعد أن خرجتُ من البيت، فقلت لأحد الإخوة الذين كانوا يعملون هناك: رجاءً أخبروا سماحة الإمام بأن بقيت جملة واحدة نسيتُ أن أذكرها، فتقدّم سماحته نحو باب فناء الدار الداخلية، وأنا أيضاً توجّهتُ إلى نفس المكان، ولمّا ذكرتُ له كلام تلك الأمّ، تغيّرت حالة وجهه بشكل عجيب وقد رقّ قلبه بشدة، ثم أجهش بالبكاء، إلى درجة أنّي قد تندّمت من كلامي. وهذا شيء عجيب جداً وملفت للغاية، حيث أنّنا قدّمنا الكثير من الشهداء، ولم يكن ذلك هزلاً أو مزاحاً! قدّمنا إثنين وسبعين شهيداً من بواسل وشجعان الثورة الإسلامية، الذين ضحّوا بأنفسهم من أجل هذه الثورة، لكنّ الإمام وقف حيالها كالجبل الراسخ وكأن لم يحدث شيئاً على الإطلاق؛ في حين أنّه الآن أمام قضية تعبويّ أسير قد استشهد، تفيض دموعه من عينيه وتتبدّل حالات وجهه أسفاً وألماً وتأثّراً، فما معنى ذلك؟

أنا بالذات لا أفهم هذا! فالإنسان لا يسعه أن يصف هذه الشخصية وهذه الهوية أبداً.[1]

(١) نقلاً عن كتاب (حديث الولاية) ج٤، ص ١٩٧.

رقيق القلب أمام التضحيات

الحالات الروحية والمعنوية للشعب وعوائل الشهداء وإخلاص المقاتلين في جبهات الحرب المفروضة، كانت تبعث على الاهتياج والإنفعال في نفسية الإمام رحمه الله، فإني قد لاحظتُ بكاء الإمام رحمه الله لمرات ـ في غير أيام العزاء وذكر مصائب الحسين عليه السلام ـ ففي كل مرة كنّا ننقل له عن تضحيات أفراد الشعب، كان يُصاب بالهيجان والإنقلاب الروحي، فمثلاً لما شرحنا له قضية كسر حصّالات نقود الأطفال التي جاؤوا بها إلى مكان صلاة الجمعة في طهران لإهدائها إلى جبهات الحرب وقد تكدّست القطع النقدية فوق بعض لتشكّل جبلاً من النقود.

حيث شاهد سماحة الإمام رحمه الله هذا المشهد من على شاشة التلفاز وهو راقد في المستشفى، فتأثّر كثيراً ورقّ قلبه الكبير وقال لي ـ حيث كنت آنذاك هناك: (هل رأيت ما فعله هؤلاء الأطفال؟)، ففي تلك اللحظة شاهدته وقد اغرورقت عيناه من الدمع وهو يذرف الدموع متأثّراً.[1]

---

(١) نفس المصدر، ج١، ص ٢٥.

الحقيقة أنّ هذه المرحلة، التي استغرقت عشر سنوات[1] تقريباً، في تاريخ ثورتنا الإسلامية، تشكّل مرحلة عجيبة، رائعة وغير قابلة للتكرار، لا أدري كيف خلّفنا وراءنا هذه المرحلة وهل شعرنا بلحظاتها الشريفة، بكل وجودنا، إذ أنّ تلك المرحلة والفترة استغرقت عشر سنوات وعدة أشهر ـ أي ما يعادل نفس المدة من قيادة وزعامة رسول الله ﷺ في المدينة، وكم كانت الحوادث متناظرة في كلتا الفترتين، أهالي يثرب، ذهبوا لاستقبال النبي ﷺ وقد دخلوا في الإسلام توّاً، فقد وقفوا في مكان محدّد، ثم أخذوا يمدّون بأعناقهم وقد حدّوا من أبصارهم حتى يروا متى يدخل المحبوب والحبيب عليهم في المدينة، في إيران أيضاً حدث مثل هذا عندما دخل الإمام رحمه الله في ذلك اليوم التاريخي الخالد البلاد واستقلّ السيارة وسارت به في شوارع المدينة، والناس؛ رجالاً ونساءً، كانوا يقطعون المسافات الطويلة ويخترقون الحواجز والموانع الكثيرة ليوصلوا أنفسهم إلى سيارة الإمام علّهم يحظوا برؤية قائدهم الأغر.

ويوم رحيل النبي ﷺ، كانت الضوضاء والجلبة تعمّ المدينة ونظير هذه الحادثة تكررت في بلادنا، حيث كان الإخلاص والحب والوفاء من

(١) المقصود حضور سماحة الإمام في إيران، من زمن وروده في ١٢ / ١١ /١٣٥٧ هـ ش حتى رحيله في ١٤ /٣/١٣٦٨هـ ش، (٩/٧/١٩٨٩م).

قبل عامة الشعب،أكثر في زماننا هذا، قياساً بزمن النبي ﷺ، مع الأخذ بعين الاعتبار ظروف تلك المرحلة وهذه الفترة التي نعايشها نحن الآن، إذ أنّ أفراد الشعب الإيراني قد أبدوا إخلاصاً وحباً أكثر وأقوى لسماحة الإمام، في حين أن القضايا الروحية والمسائل المعنوية والقيم الأخلاقية كانت قد آلت إلى الأفول والانمحاء وبالمقابل كانت القيم المادية والرغبات والجسدية كانت تتصدر الأمور آنذاك، لكن إمامنا العزيز رحمه الله قد قام بإحياء الدوافع الروحية والقيم المعنوية.[1]

الإلتزام بالمناجاة مع ربّه

لم يهمل الإمام رحمه الله الذكر والصلاة والدعاء حتى في آخر لحظات حياته الشريفة، حيث نقل لنا، (السيد أحمد /نجل الإمام): في آخر يوم من حياة الإمام رحمه الله، قبل الظهر، كان يصلّي دائماً وهو راقد على السرير، وبعد مدة سأل رحمه الله هل دخلنا الظهر؟ قلتُ: نعم، عندها بدأ الإمام رحمه الله بإقامة صلاة الظهر والعصر والنوافل المتعلقة بهاتين الصلاتين وما أن انتهى من الصلاة والنوافل، بدأ يردّد الأذكار حتى كان غُمي عليه وهو يبتهل إلى الله ويقول: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر). لا بد أن تكون أعمال وتصرفات

(١) نفس المصدر، ص ٢١.

الإمام رحمه الله درساً ومنهجاً في حياتنا ولأنّنا نحب الإمام ونعشقه، فلا بد أن ندقّق في أعماله وروحياته ونستلهم منه الدروس في حياتنا.[1]

خصائص سماحة الإمام الخميني قدس سره

إنّ هذا اليوم، هو يوم يتعلق بإمامنا الكبير رحمه الله وكلامنا سيدور حول خصائص هذا الرجل العزيز والفذّ، هذا الإنسان الذي كان ذكرى وتذكاراً للأنبياء والأولياء عليهم السلام في زماننا، وأنا أقول لجميع الإخوة والأخوات المصلّين بأنّ من خصائص الإمام رحمه الله هو رعاية التقوى، إجعلوا التقوى ـ جميعكم ـ تعليماً شاخصاً في حياتكم وكما انفتحت أبواب الرحمة الإلهية على ذلك الرجل العظيم رحمه الله، نرجو أن تبقى مفتوحة علينا أيضاً، إذ أنّ رعاية التقوى ستمنح الفرد والمجتمع الملتزم، الرحمة والهداية الإلهية، لأنّ أول وآخر التعليمات الإلهية التي جاء بها الأنبياء والأوصياء هي التقوى ليس إلاّ.

في الخطبة الأولى ـ من الصلاة ـ أودّ أن أنقل إليكم ـ أيها الأعزاء، خاصة أنتم الشباب ـ ما شعرتُ به وشاهدته ولمسته كأحد تلامذة وأنصار هذا الرجل العظيم والإنسان الكبير، من خلال تلك الفترات الطويلة الماضية.

---

(١) نفس المصدر، ص ٢٧.

لقد تكلّمنا كثيراً حول شخصية الإمام﵀، الكل قد تحدّث عنه؛ من الأصدقاء والأعداء ومن الإيرانيين وغير الإيرانيين وكذلك المسلمين وغير المسلمين، لقد قاموا جميع هؤلاء بتجليل وتكريم هذا الرجل العظيم، ولا تعليق لي على هذا، لأنّ عظمته وجلالته وشأنه مسلَّمة ومقبولة من قبل الجميع؛ لكنّ هذه الأوصاف والخصائص وذكرها أمر عام وإجمالي، في حين ـ وحسب اعتقادي وتصوّري ـ أنّ الجيل الناشئ والشباب اليافع اليوم والذي يقطع شوطاً كبيراً في طريق الفخر والعزّة، بل قوة ونشاط؛ يقطع نفس الطريق الذي فتحه وأنشأه لنا هذا الرجل الكبير، فهؤلاء الشباب يرغبون في الاطلاع على شخصية الإمام﵀ بشكل أوسع، لهذا فأنا سأذكر ما توصّلت إليه في هذا الصدد، أي ما تعرّفت عليه وشاهدته خلال هذه المدة وقد اجتمعت في ذاكرتي نتيجة معرفتي بالنسبة للإمام﵀ وما رأيته بشكل مباشر منه، خلال ثلاثة عقود تقريباً، حيث استغرقت هذه الفترة من أيام شبابي حتى رحيل هذا الرجل العظيم، ولا بد من الإشارة هنا بأنّ الإمام خلال هذه الفترة، كان في حالة نفي وإبعاد لمدة امتدت إلى ١٤ سنة وحسب الظاهر، كنّا بعيدين عنه ، لكنّنا ـ في الواقع ـ كنّا نعيش ونعايش أفكار الإمام في أذهاننا ونسير على درب الإمام في منهجنا ولم ننفصل عنه أبداً، ويمكن القول بأنّنا كنّا معه أيضاً خلال تلك الفترة.

دعوني أذكر لكم نقطة ـ أيها الأعزاء الكرام ـ صحيح أنّ تلامذة الإمام والمقرّبين إليه، كانوا يحبّونه ويعشقونه، أيّما محبة وعشق، لكن الذي قيل عن الإمام رحمه الله للآن لم يكن مصدره الحبّ والعشق، بل إنّ المحبّة والعشق تنشأ من تلك المواصفات التي كانت جارية وسارية في شخصية الإمام الرائعة.

النقطة الثانية هي أنّ شخصية الإمام قدس سره كانت ذات أبعاد مختلفة، حيث لم يكن لديه أي تأكيد وإصرار أو تعجيل في أن يُظهر سلوكياته الجمالية الباهرة والمواطن الزاهرة في وجوده لأحد ما، بل متى ما أملى عليه الواجب الشرعي وفرضت عليه التزاماته الإسلامية أن يقوم بحركة أو فعل أو قول ما، ظهرت منه إحدى خصاله الكريمة البارزة، وانكشفت للعيان.

سأبدأ من سنة ١٣٣٧هـ.ش (١٩٥٨م)؛ أي نفس السنة التي ذهبت فيها إلى مدينة قم المقدّسة وكانت هي المرة الأولى التي رأيت فيها سماحة الإمام قدس سره، بطبيعة الحال قد سمعتُ قبل ذلك عنه ـ عندما كنتُ في مدينة مشهد المقدّسة ـ بأنّ هناك، في قم، مدرّس كبير وأستاذ جليل المنزلة وبارز الشخصية، تمكّن من استقطاب قلوب الشباب من طلاّب العلوم الدينية إذ أنّهم، عندما يصلون إلى قم، يفتشون عن أستاذ يختارونه لمسايرة دراستهم معه، لأنّ اختيار الأستاذ في الحوزات العلمية لم يكن

أمرا إجبارياً، بل كل واحد من الطلاّب بإمكانه أن يقوم باختيار أُستاذه حسب إعجابه وذوقه، والأستاذ الذي لفت أنظار الشباب والمشتاقين إلى كسب العلم في أوّل وهلة دخلوا فيها المدينة، هو هذا الرجل الذي كان يسمّى آنذاك بين طلاّبه باسم (حاج آقا روح الله)، إذ أنّ مجموعة من الطلبة الشباب الأفاضل والمثابرين والمشحونين بالشوق والحماس قد اجتمعوا في محاضرات سماحة الإمام قدس سره، فأنا أيضاً دخلت مدينة قم في مثل هذه الظروف والأوضاع.

أُستاذ حاذق في الفقه الإسلامي ومعلم كبير في الأخلاق

لقد كان سماحة الإمام الخميني قدس سره، رمزاً للتجديد العلمي والحذاقة في الفقه والأصول. كان لي أستاذ كبير آخر قبل سماحة الإمام رحمه الله في مشهد ـ أي المرحوم آية الله العظمى الميلاني ـ حيث كان من الفقهاء البارزين آنذاك، وفي مدينة قم أيضاً كان هناك أساتذة كبار ومرموقين ـ خلال نفس الفترة ـ مثل آية الله العظمى البروجردي، الذي كان رئيساً للحوزة العلمية في قم أيضاً وكان أستاذاً لسماحة الإمام رحمه الله وكان هناك أساتذة بارزون أيضاً، لكن المحاضرات التي كانت تجذب وتشدّ قلوب الشباب المشتاق والمثابر المستعد والموهوب، هي محاضرات درس الفقه والأصول لسماحة الإمام قدس سره، ثم شيئاً فشيئاً سمعنا من القدماء بأنّ هذا

الرجل إلى جانب إشرافه الواسع على الفقه والأصول، يعتبر فيلسوفاً عظيماً أيضاً، حيث أنّ محاضراته الفلسفية في قم كانت تعتبر الأولى من نوعها، لكنّه الآن يفضّل أن يدرّس الفقه، وإضافة إلى هذا كلّه سمعنا بأنّه معلّم كبير في الأخلاق وكان الكثير من طلاّب الحوزة العلمية يحضرون في محاضراته الأخلاقية، حيث كان يهتم ويعتني بترسيخ الفضائل الأخلاقية بين الشباب كثيراً، وأمّا نحن فكنّا نلاحظ تلك السمات الأخلاقية السامية من خلال تلقينا الدرس منه عن كثب وعلى امتداد السنوات الطويلة.

والى هنا كانت شخصية هذا الرجل العظيم ـ تلك الشخصية التي كانت مشحونة، من الداخل، بخصال فذّة وفريدة، لم يعرف عنها أحد شيئاً ـ تمثّلت شخصيته لأكثر الناس آنذاك كأُستاذ بارع وعالم، يجذب ويربّي الطلاّب ويقوم بتهذيب وتزكية أخلاقهم.

في عام ١٣٤٠هـ.ش(١٩٦١م) توفّي المرجع الديني المرحوم آية الله العظمى البروجردي، في تلك الآونة، ظهرت أسماء مراجع كبيرة أخرى وكان أنصار هذا أو ذاك يطرحون أسماء هؤلاء المراجع العظام، في مثل هذا الظرف بالذات تبيّن أنّ هذا الرجل ـ سماحة الإمام الخميني رحمه الله ـ لم تكن محاضراته مجرد أقوال كان يلقيها في جلسات الدرس للآخرين

فقط، بل كان هو شخصياً أوّل من التزم وعمل بتلك الفضائل والخصال الحميدة، في مجال تهذيب النفس؛ ومن هنا شاهد وأدرك وأيّد الجميع بأنّ هذا الرجل مُعرض عن الشهرة والمنصب وإظهار النفس والرئاسة ـ ولو كانت هذه الرئاسة، رئاسة روحانية ومعنوية ومرجعية دينية وهو لا يسعى لامتلاك المنصب والمنزلة والشخصية المتفوقة بأي شكل من الأشكال، بل حتى الآخرين، إن قاموا بمحاولات في هذا المجال، كان سماحته يمنعهم من ذلك ما استطاع.

ذكاء حادّ ورؤية ثاقبة

بعد مرور سنة ونصف تقريباً من رحيل آية الله العظمى البروجردي، بدأت بوادر وطلائع النهضة الإسلامية في إيران، ففي النصف الثاني من عام ١٣٤١هـ.ش(١٩٦٢م)، ظهر بُعد آخر من أبعاد هذه الشخصية الفذّة وهو الذكاء الحادّ والرؤية الثاقبة والتدقيق المتفوّق في بعض الموضوعات التي لم يلتفت إليها الكثير من الناس من جهة والحميّة الدينية من جهة أخرى، لقد سمع الكثير من أفراد الشعب قرار مجلس الوزراء ـ آنذاك ـ حول إلغاء شروط الإسلام والتحليف بالقرآن الكريم للنوّاب المنتخبين في مجلس الشورى الوطني في تلك الفترة ؛ إذ لم يلتفت كثير من الناس إلى الأهمية البالغة لهذا الموضوع، في حين أنّ الموضوع كان مهمّاً حقاً،

والدليل على ذلك أنّ النظام لم يتجرأ على طرح تلك المقرّرات والترتيبات الجديدة بصدد (اللجان في الايالات والولايات) وقضية شرط الإسلام للنوّاب في المجلس، أثناء عمل المجلس النيابي ـ ولو أنّ المجلس ـ آنذاك ـ كان مجلساً وصاية ومحسوبية، حيث أنّ النظام الملكي البائد هو الذي قام بتأسيسه ولم يدخل في هذا المجلس نائب إلاّ من المرشحين من قبل النظام، في الواقع لم تكن هناك أي انتخابات شعبية جماهيرية، بل كان تنصيباً من جانب الدول والحكومة الشاهنشاهية، مع هذا لم يتجاسر النظام على هذه الفعلة في تلك الظروف، بل خافوا من أن تنعكس آثارها السلبية والخطيرة في المجتمع ولهذا صبروا حتى يغيب المجلس عن الساحة ـ إذ أنّهم قد قاموا بحل المجلس أولاً ـ، فلم يكن هناك مجلس في الساحة وعلى هذا الأساس قاموا بالمصادقة على هذه القرارات وراء الأبواب المغلقة وهذا يشير إلى أنّ وراء هذا الموضوع نوايا كثيرة مبيّتة ضد الإسلام والمسلمين في إيران، فلم يدرك خطورة هذه القضية أحد، لكن سماحة الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ أدرك ذلك وكشف المخطط وتصدى له، ثم أنّ حميّته الدينية ودفاعه المرير عن كيان الإسلام هو الذي دفعه إلى أن يكون رائداً في هذا الميدان وفيبتدأ كفاحاً متميّزاً حيال هذه الزاوية الصغيرة والبؤرة الضئيلة القائمة ضد الإسلام وقد أعَلن هذا الكفاح بالفعل.

وفي هذا المجال بالذات، هناك نقطة مهمة وحساسة ألا وهي: أنّ سماحة الإمام الكبير، حتى في ميدان الكفاح وساحة المواجهة مع النظام الملكي الفاسد، لم يرغب في أن يتصدر هو النضال، لقد ذكر لنا الإمام قدس سره بأنّه قال لأحد المراجع المعروفين في تلك الفترة وقد كان من زملاءه أثناء دراسته في الحوزة، قال له في بداية انبثاق النهضة، وهم متواجدين في بيت المرحوم آية الله العظمى الحائري: تصدّر أنت الحركة ونحن من وراءك، كان الإمام رحمه الله يقصد أن يتم القيام بالواجب وتؤدى الفريضة التي على عاتقه، فالصدارة والريادة ليست مهمة.

بطبيعة الحال أنّ الآخرين لم يتمتّعوا بالقدرة والجرأة التي تخوّلهم للدخول في مثل هذه الساحة الخطرة ثم أنّهم لم يصلوا إلى المستوى الذي كان فيه الإمام رحمه الله، حيث أنّ الإمام رحمه الله وقد أخذ على عاتقه قيادة وإدارة هذه الحركة بشكل طبيعي، فبدأ هذا الكفاح واعتمد على الشعب والى حد ذلك اليوم، لم يتنبّأ أحد من كبار الحوزات العلمية والمراجع الدينية بأنّ هذه الحركة الدينية ـ وفي ظل تلك الظروف العصيبة من الكبت والإضطهاد ـ سيكون بإمكانها أن تجلب دعم الشعب، في حين أنّ الإمام رحمه الله قال يومها: لقد بدأتُ بهذا الحركة بدعم من قبل الشعب وسأدعوا الناس إلى الصحراء؛ خارج مدينة قم. أنّه كان يعلم جيداً، إذا ما قام بدعوة الناس من جميع أرجاء إيران. فإنّهم سيشكّلون اجتماعاً ضخماً

يصعب على الدولة والحكومة في ذلك الوقت الوقوف أمامه ويستحيل على النظام الفاسد آنذاك أن يعالج الأزمة ويحلّ المشكلة.

الصلابة القيادية والشجاعة السياسية

قد ظهر هنا بُعد جديد من أبعاد شخصية هذا الرجل العظيم وهو بُعد الصلابة واللياقة القيادية وكذلك الشجاعة السياسية والتعرّف على جزئيات وتفاصيل أعمال العدو والوعي واليقظة إزاء أهداف العدو، أجل لقد اتضح هذا البُعد من شخصيته على أرض الواقع، حيث حانت السنة الثانية من الكفاح، أي سنة ١٣٤٢هـ.ش(١٩٦٣م)، تلك السنة التي كانت مليئة بالتضيقات والضغوط المتزايدة والمجازر الوحشية، ففي تلك الفترة، ظهر الإمام رحمه الله كشمس في سماء آمال الشعب الإيراني وفي موقف رجل فدائي وبركان ثائر، كشخص قد توفّرت فيه جميع المشاعر الضرورية ليصبح رجلاً عالمياً ومناضلاً وطنياً وشخصية إسلامية؛ تتمتّع بالشجاعة والبسالة اللازمة وبإمكانه أن يعبأ الشعب بشكل شامل وكامل ولديه الصراحة والشفافية في الكلام.

منذ بداية عام ١٣٤٢هـ.ش(١٩٦٣م) حيث داهمت القوات الخاصة المدرسة الفيضية وهاجمت الحوزة العلمية أيضاً وكذلك في الخامس

عشر من شهر خرداد[1] من نفس السنة، ظهرت الصورة الواضحة لعظمة الإمام رحمه الله وشخصيته الفذّة، فشعر الشعب الإيراني على حين غرة بأنّه يمتلك قوة هائلة تدعمه وملجأ حصيناً يلتجأ إليه وقمة شامخة بإمكانه أن يصوّب نظره إلهياً ويهتم بها، فلقد خرج الإمام قدس سره إلى الساحة بهذه الصورة وعن طريق هذه المواصفات.

بعد هذه الأحداث الخطيرة، جاء دور الإعتقالات والسجون والنفي والضغوط المتزايدة، ولم يكن سماحة الإمام في تلك الآونة شاباً في العمر، حيث أنّ الزجّ في السجون والمتاعب التي تنشأ عادة جرّاء ذلك لم تكن صعبة وشاقة كثيراً بالنسبة لنا، إذ كنّا شباب آنذاك، لكن سماحة الإمام رحمه الله كان في تلك الفترة ـ أي في عام النهضة ـ ابن الثالثة والستين! ففي مثل هذا العمر، تمكّن هذا الرجل عن طريق غليان مشاعره أن يدفع شعباً بأكمله إلى الحركة والحماس والثورة، والجدير بالذكر إنّ تحمّل السجن والنفي لشخص في مثل هذا العمر، لم يكن بالأمر اليسير والهيّن، لكن ظاهرة الفداء والتضحية واقتحام الأخطار وتحمّل الأهوال قد انكشفت في مثل هذه الظروف ولهذا ظهر بُعد جديد من أبعاد شخصيته

(١) ١٥خرداد: في سنة ١٣٤٢ ش، ١٣٨٣هـ ، [١٩٦٣م]، قام أزلام الشاه باعتقال الإمام (قدس سره) وعدد من العلماء مما أدى لقيام ثورة شعبية عارمة قادها العلماء في العديد من المدن الإيرانية، فاستشهد الآلاف من المواطنين.

الرائعة؛ أي لا شيء كان بإمكانه أن يعرقل طريق هذا الرجل ويحول دون وصوله إلى أهدافه السامية وطموحاته العظيمة وواجباته الشرعية، فهذه الأحداث في عام ٤٢ و١٣٤٣هـ.ش قد أدّت إلى إبعاد الإمام في البداية إلى تركيا وفي النهاية إلى العراق.

التصميم الفكري واجتذاب قلوب الشعب

أثناء نفي وإبعاد الإمام قدس سره إلى النجف الأشرف، ظهرت أبعاد جديدة لشخصية هذا الرجل المنقطع النظير والفذّ حقاً، في زماننا، أشياء لا نرى حتى البعض منها، متوفرة في حياة الشخصيات البارزة.

أولاً أنّه قد قام بتصميم وتخطيط مشروع فكري وعلى حد قول رجال السياسة، وقف موقف النظري الذي خطّط لتشكيل حكومة ومشروع النظام وقام برسم المعالم لبناء وتنظيم المؤسسة المدنية، خاصة وأنّه تصميم لم يسبق له مثيل ولم يكن بإزائه أي سابقة موجودة أمام الإنسان، إذ أنّ النظام الإسلامي وبناءه الشامخ كان يحتاج إلى الإلتفاف والإلتفات حول المتطلبات الجديدة في العالم الجديد والمواضيع الحديثة المطروحة فيه وسيكون تركيبه يتشكل من جميع هذه المسائل والموضوعات.

ثانياً إنّ هذا الرجل ـ ولو أنّه لم يكن في إيران ـ لكنّه كان ـ بكل معنى الكلمة ـ يقوم بتوجيه وقيادة قضايا الكفاح الإسلامي والنهضة الإسلامية ـ من بعيد ـ طوال ١٤ سنة.

فمن خلال السنوات وخاصة الأعوام الأخيرة ـ أي من عام ٤٩ حتى ١٣٥٥هـ.ش (١٩٧٠ـ ١٩٧٦م)، تفاقم الكبت والتعذيب وازداد الضغط والإبعاد، فظهرت التنظيمات والأحزاب السياسية المختلفة السرية والتكتلات المناضلة السياسية منها وغير السياسية والكل كان يتعرض للسحق والإبادة أو الإستحالة والتجويف، ولو أنّ بعض هذه التكتلات كانت تتمتّع بدعم سياسي وعالمي وكانت تنتمي إلى المعسكر الشرقي والغربي ـ خاصة المعسكر الشرقي ـ وكانت تأخذ تعليماتها وتستلم مساعداتها بها من هناك، في حين أنّ نهضة سماحة الإمام﵀ لم تستند إلى تنظيم حزبي، إذ أنّ الإمام كان لا يمتلك أي تنظيم حزبي في داخل إيران، بل كل ما كان لديه، هو عدد من تلامذته وأصدقائه ومعارفه الذين يوالون أفكاره، إضافة إلى القاعدة العريضة من أبناء الشعب، ولهذا لمّا كان الإمام﵀ يصدر بياناته ورسائله، لم يوجّهها إلى ذلك العدد من أصدقائه ومعارفه، بل كان مخاطبه جماهير الشعب، فكان يتحدّث مع الشعب والجماهير ويقوم بإرشادهم وهدايتهم وتمكّن خلال أكثر من ١٤ سنة ـ ومن بعيد ـ أن يعمّق أولاً قابليات الفكر الإسلامي في أذهانهم وثانياً أن يقوم بتوسيع مساحة النهضة الإسلامية إلى سطح المجتمع، ثم يباشر بتنبيه وتوعية قلوب الشباب وأذهانهم وتقوية إيمانهم حتى تتهيّأ الظروف الموآتية لقيام الثورة العظيمة.

هناك الكثير من المناضلين قد قاموا بأعمال عملاقة وضخمة وخالصة ومشحونة بالتضحيات، لكنّها إن لم تتّصل بمركزية الإمام رحمه الله ولم تتمحور حوله، كانت في تيه وضياع ولم تواجه سوى الفشل والإحباط إثر تلك المساعي الحثيثة، فتتقطع أنفاس كل هؤلاء لكن الذي كان يواصل ويثابر ويجاهد دون كلل أو ملل ويمنح الآخرين أيضاً نشاطاً وفعالية وحيوية، هو سماحة الإمام الخميني قدس سره.

ثم أنّه قد قام بعد ذلك بتوجيه وهداية حركة ثورية حقيقية ونهضة شعبية عارمة، خلال ١٤ سنة والسير بها من جميع العقبات والعراقيل المختلفة، إلى درجة أنّ الأفكار والنظريات غير الإسلامية أو المضادة للإسلام، إنعزلت عن الساحة الإجتماعية ولجأت إلى الهامش؛ وبالمقابل أثبت الفكر الإسلامي ـ يوماً بعد يوم إلى الساحة ـ عن عقلانيته واستحكامه وقدرته الفائقة على دحر باقي الأفكار والنظريات، وقد ظهر وثبت هذا الفكر في جميع القضايا المهمّة؛ حيث كان حضور الإمام الخميني قدس سره وزعامته محسوساً في كل ذلك، ففي عام ١٣٤٧ هـ.ش (١٩٦٩م) طرح وبلور سماحة الإمام رحمه الله فكرة(ولاية الفقيه) في النجف الأشرف ـ مركز الفقه الإسلامي ـ بالإستناد على إرجاعات فقهية مهمّة وخلفيات إسلامية قوية.

بطبيعة الحال، إنّ قضية(ولاية الفقيه) هي من الأركان القطعية والأمور المسلّمة في فقه الشيعة، ولو أنّ بعض الناس، من الذين لا علم له بدقائق الأمور وحقائق الفقه الجعفري للشيعة، يقولون بأنّ سماحة الإمام﵀ هو الذي أبدع واكتشف موضوع (ولاية الفقيه) ـ وهو أمر مرفوض من قبل باقي العلماء ـ إذ أنّ الذي يفهم مصطلحات الفقهاء، يعلم بأنّ قضية (ولاية الفقيه)، تندرج ضمن المواضيع الواضحة والأمور الناصعة في فقه الشيعة والعمل الذي قام به الإمام﵀ هو أنّه قد تمكّن من كتابة وتدوين هذه الفكرة والعمل على تجذيرها وتقويتها ودعمها بالأدلة الدامغة وأن تتمتّع بكيفية راقية إزاء الآفاق الجديدة والمترامية الأطراف الموجودة في العالم اليوم وكذلك القضايا السياسية المعاصرة والمدارس الجديدة، ثم يقوم بإخراج الموضوع بشكل مفهوم ومقبول لدى أصحاب العقائد والنظريات السياسية المعاصرة والمدارس السياسية الرائجة آنذاك.

إخواني الأعزاء! خلال هذه الفترة التي استغرقت ١٤ سنة ـ خاصة السنوات الأخيرة منها ـ لم يشعر المناضلون الإسلاميون بالغربة والوحدة، بل كانوا يشعرون دائماً بأنّ سماحة الإمام﵀ على صلة وارتباط دائم معهم. وفي حادث وفاة نجله(السيد مصطفى)، ظهر بُعد آخر من أبعاد هذه الشخصية العظيمة إذ أنّ الكثير من الشخصيات تعتبر كبيرة وشجاعة وعالمة، لكن الذين قد تغلغلت هذه المزايا العظيمة في أعماق عواطفهم

وزوايا قلوبهم، ليسوا بالعدد الكثير، تصوّروا رجلاً كهلاً في سن الثمانين تقريباً ـ في ذلك الوقت ـ وخاصة أن نجله كان ذا شخصية بارزة ويعدّ من الأفاضل والعلماء المتميّزين وكان أملاً للمستقبل، فالجملة التي نُقلت من هذا الوالد الكريم والتي قد سمعناها جميعاً هي أنّ: (وفاة مصطفى كانت من الألطاف الإلهية الخفية). فقد اعتبر الإمام رحمه الله هذا الإفتقاد رحمة إلهية ومحبة خفية من جانب الباري عزوجل؛ وهكذا فسّر الموضوع بأنّ الله قد منّ وترحّم عليه بشكل خفي!

أُنظروا كم هي العظمة ورحابة الصدر في هذا الإنسان الشامخ! فقد تحمّل هذا الرجل العظيم كل هذه المصائب والمصاعب والشدائد والأهوال أثناء صيرورة الثورة الإسلامية، فظلّ صامداً أمامها كالجبل الراسخ، والسبب يعود إلى تلك العظمة الروحية والإستيعاب النفسي الكبير الذي يرفع به إلى هذا المستوى، حيث يتعامل مع هذه الكارثة المؤلمة بهذه الصورة.

ثم بعد ذلك بدأت قضية إبعاده من العراق وهجرته إلى الكويت، ثم إلى فرنسا، حيث أنّه قال ـ في وقتها ـ إن لم يسمحوا لي أن أقيم في بلد محدّد، سأرحل من مطار إلى مطار وأبعث برسالتي ونـدائي إلى العالم كله.

في هذه الظروف العصيبة والأوقات الحرجة ظهرت وبرزت تلك العظمة والشجاعة ورحابة الصدر والمقاومة المنقطعة النظير والكفاءة والجدارة القيادية الإلهية والزعامة المماثلة لزعامة الرسول الأعظم ﷺ، فهذه المواقف تعتبر بُعداً جديداً من أبعاد شخصية الإمام الفذّة حيث استمرت من خلال مجيئه إلى إيران والتصدي لتلك القضايا والأحداث ثم في النهاية تأسيس نظام الجمهورية الإسلامية.

تركيبة قيادية مواكبة للزهد والعرفان في شخصية الأمام رحمه الله

ظهرت جوانب أخرى من أبعاد شخصية الإمام الخميني قدس سره بعد انتصار الثورة الإسلامية وأتصوّر أنّها كانت أعظم وأكبر من تلك التي كنّا قد شاهدناها فيه من قبل، فخلال هذه الفترة برز في شخصية الإمام قدس سره ـ هذه الشخصية البارزة والمتميّزة ـ بُعدان آخران من تلك الشخصية القاهرة، أحدهما كقائد وزعيم في فترة الحكومة وتشكيل الدولة والآخر في شخصية الزاهد والعارف.

فالتركيبة القيادية من جهة وخصال الزهد والعرفان من جهة ثانية، لا تتوفّر عادة إلاّ في وجود الأنبياء عليهم السلام، كسيدنا داوود وسليمان عليهما السلام، ولم تظهر إلاّ في شخصية نبيّنا محمد ﷺ. فهذه حقائق قد أدركها الشعب الإيراني طوال هذه السنين المتمادية ونحن أيضاً قد لاحظنا وشاهدنا

جميع الحقائق عن كثب، فهذه هي التربية الإسلامية والقرآنية حيث أنّ سماحة الإمام﵀ كان يدعوا الجميع إلى هذه التربية دائماً، فكان يريد النظام الإسلامي لتربية هكذا أفراد، كما أنّه كان هذا بالذات، رمزاً بارزاً ونبراساً واضحاً ومظهراً كاملاً لهذه التربية.

ترى الإمام﵀ في شخصية الحاكم والقائد والزعيم، رجلاً يقظاً ذكياً شجاعاً مدبّراً وصاحب مبادرات رائعة وكان قلبه الكبير كالبحر العظيم، إذ لا تؤثّر فيه الأمواج العاتية وهي أمام شموخه الشاهق، شيء تافه وصغير ولم تكن هناك حادثة عارمة تتمكّن من هزيمته، أو أن تجبره على الخضوع والخشوع والإستسلام أمام تلك الحادثة، فقد كان الإمام﵀ أكبر من جميع تلك الأحداث الهائلة والصعبة والمرّة التي حدثت خلال تلك الفترة والتي استغرقت عقداً كاملاً من زعامته وقيادته الحكيمة ـ وقد كانت كثيرة جداً ـ فما كان بمقدور أي حدث من هذه الأحداث أن تكسر عزيمة هذا الرجل العظيم، كالحرب المفروضة والهجوم الأمريكي على إيران في صحراء (طبس) ومؤامرات الإنقلاب العسكري وتلك الإغتيالات الشاذّة والغريبة والحظر الإقتصادي وتلك الدسائس الموحشة التي كان يقوم بها الأعداء بأشكال مختلفة، فكل هذه القضايا لم تتمكّن من فرض الوهن والعجز على شخصيته العملاقة.

والشيء الوحيد الذي كان يقوّيه ويسانده ويجعله صامداً مقاوماً وأكبر من كل ما يحدث على أرض الواقع. هو أنّه كان يثق حقاً بالـشعب، يثـق بآرائهم ثقة تامة، كان يثق بعقائدهم وآرائهم، وكان يحبّهم ويحترمهم مـن صميم فؤاده، ويعشقهم أيما عشق!

إجتماع الخصال الحميدة في شخصيته

إنّ ما يجعل من القادة المختلفين في العالم، شخـصيات متميـزة، هـي الصفات البارزة التي يتّصفون بها والى الحد الذي توصّلتُ إليه أنا بالذات عن طريق دراستي وتفكيري بالموضوع، هو أنّ الإمامﷺ كان يجمع كـل تلك الصفات والمواصفات، حيث أنّه كان عـاقلاً لبيبـاً وصـاحب رؤيـة مستقبلية صائبة وفي نفس الوقت كان حذراً في قراراته ومواقفـه، يعـرف الأعداء جيداً ويثق بالأصدقاء كثيراً والضربات التي يوجهها للعدو كانـت قاصمة وقاضية، فقد اجتمعت جميع الأوصاف التي لا بد أن تجتمـع فـي شخص ما حتى يتمكّن أن يكون في مستوى تلك المسؤولية والمهام، في مثل هذا الموقف الحسّاس والخطير، ليكـسب رضـا الله عزوجـل ويُقنـع ضميره أيضاً.

ثقته بالشعب واعتماده عليهم

كان الإمامرحمه الله يثق بالناس، فلمّا انتصرت الثورة الإسلامية، كان بإمكان الإمامرحمه الله أن يعلن مسبقاً وبصراحة بأنّ نظام الحكم في إيران هو (الجمهورية الإسلامية) ولا يلجأ إلى السؤال من الشعب في هذا الصدد؛ وإن فعل ذلك لما اعترض عليه أحد، لكنّه لم يرض بهذا الأسلوب، بل أجرى الإستفتاء العام بشأن أصل شكلية النظام وكيفيته وطلب من الشعب أن يدلوا بأصواتهم وقد صوّت الشعب لصالح (الجمهورية الإسلامية) بـ(نعم)، فترسّخت عندها قواعد النظام.

وبالنسبة للدستور أيضاً كان بإمكان الإمامرحمه الله أن يقترح دستوراً ثم يطلب من أفراد الشعب الإيراني أن يصوّتوا لصالحه، في حين أنّ الشعب أيضاً كان يلبّي طلب الإمام بأغلبية ساحقة ـ لا محالة ـ وكان بإمكانه أيضاً أن يوظّف جماعة من جانبه ويطلب منهم تدوين وكتابة الدستور، إذ لم يكن هناك شخص يعارض أو يخالف ذلك، في حين أنّه لم يبادر بهذه الأعمال، بل قام بإجراء إنتخابات مجلس الخبراء وكان يشدّد على إجراءه في أقرب فرصة ممكنة، في حين أنّ الذين كانوا يأخذون بزمام الأمور في الثورات التي تحدث في العالم، ويصبحوا من قادة الثورة ـ والجدير بالذكر بأنّ الكثير من تلك التغييرات هي انقلاب وليست ثورة جماهيرية

كما يزعمون ـ فهؤلاء القادة يقرّرون لأنفسهم فرصة تمتد إلى سنة أو سنتين ويبرّرون الموضوع بأنّ الظروف الإجتماعية يجب أن تتهيّأ ولا بد من الصبر والإنتظار خلال هذه الفترة الإنتقالية، ثم يلاحظ بأنّ أغلبية هؤلاء القادة يقومون بتمديد مجدّد لهذه الفترة! لكن سماحة الإمام رحمه الله بعد شهرين فقط من انتصار الثورة الإسلامية في إيران، أجرى أول إنتخابات نزيهة وشاملة في استفتاء عام حول النظام في إيران ثم حوالي شهرين بعد هذه الإنتخابات الأولى، أجرى إنتخابات أخرى لخبراء الدستور، وبعد أشهر قليلة كذلك، أجريت إنتخابات رئاسة الجمهورية، ثم بعد أشهر معدودة كانت إنتخابات مجلس الشورى الإسلامي، ففي عام واحد وهو عام ١٣٥٨هـ.ش(١٩٧٩م)، أجرى الإمام رحمه الله الكثير من الإستفتاءات العامة والإنتخابات الشاملة لأخذ آراء الشعب في قضايا مختلفة:

١ـ تعيين نوع النظام الحاكم

٢ـ خبراء تدوين الدستور.

٣ـ الدستور العام الذي سيحكم البلاد.

٤ـ إنتخاب رئيس للجمهورية.

٥ـ الإنتخابات التشريعية للبرلمان.

كان الإمام ﵀ يثق بآراء الناس بكل معنى الكلمة، أي أنّ الذي يطالب به الشعب ويركّز عليه في عمليات الإقتراع، هو الصائب والصحيح، وفي نفس الوقت لم يترك إدارة الأمور بيد المخادعين عن السياسيين، لأنّ أبناء الشعب يختلفون عن هؤلاء المراوغين ويمتازون عن الذين يدّعون السياسة ويزعمون الإنحياز إلى الشعب والدفاع عنه، أجل سماحة الإمام﵀ كان يثق بالشعب، لكنّه كان لا يثق بالكثير من هذه التنظيمات والأحزاب والمدّعين والمخادعين في السياسة والمراوغين في الأحزاب وما شاكلهم، لهذا لم يكن يعبأ بهؤلاء وكان لا يسمح لهم بأن يتصدّروا الأمور في المجتمع ويقوموا بتصعيد مطالباتهم أو أن يتحدثوا باسم الشعب وأن يقرّروا باسمه، في حين أنّه كان يحترم آراء الشعب بشدّة.

ثم فُرضت الحرب على إيران، فظهر سماحة الإمام في دور القائد العام للقوات المسلحة، ثم حدثت قضية الحظر الإقتصادي والعقوبات الدولية، عندها، أعلن الإمام﵀ عن دعمه الروحي الكامل للمؤسسات الحكومية وفي بداية الثورة، أصدر سماحته توجيهات مختلفة للدفاع عن المستضعفين والمحرومين بأشكال شتى، وقد تم الإقدام على مشاريع كثيرة في هذا المجال، ولقد أُنشأت بعض المؤسسات كجهاد البناء والإعمار ومؤسسة السكن ولجنة الإغاثة ومؤسسة المستضعفين والمضحّين ومؤسسة ١٥ خرداد وغيرها لتقديم المساعدات الإنسانية

لأفراد الشعب، حيث أنّ هذه الموضوعات كانت مهمّة جداً بالنسبة إلى الإمام رحمه الله في الحكومة وفي إدارة البلاد وقد تجلّى هنا بُعد الحاكم والقائد في شخصية الإمام رحمه الله وفي موقف الإنسان المقتدر القوي، صاحب القرار والتصميم الحاسم، هذا الإنسان الذي بإمكانه أن يتّخذ القرارات الحاسمة أثناء حدوث الحرب وإن ساد السلام على البلاد، وبمقدوره أيضاً أن يتّخذ قراراته لإدارة البلاد والتّصدي للأعداء وبإمكانه أن يصمّم ويقوم باتخاذ القرارات الصائبة.

إجتنابه من زخارف الدنيا المادية

وإذا نظرنا إلى شخصية الإمام رحمه الله؛ هذا الإنسان العظيم، في حياته العادية وممارساته الخاصة، وتأمّلنا في هذا البُعد من حياته، سنرى أنّه رجل زاهد وعارف وتارك للدنيا، المقصود من الدنيا ـ بطبيعة الحال ـ هي الدنيا المنحطّة الرذيلة؛ أي نفس الكلام الذي كان يكرّره هو، فكان يقول رحمه الله: الدنيا السيئة البذيئة هي تلك التي ساكنة في ضمائركم، وإلاّ لم تكن هذه الظواهر المادية في الدنيا كالأرض والشجر والسماء والإختراعات وما شاكلها، أمور رديئة ومذمومة في حدّ ذاتها، بل هي من نِعَم الله عزوجل وعلينا أن نطّور من عملية الإعمار والإزدهار فيها، في حين أنّ الدنيا المرفوضة والبذيئة هي الأنانية والإسراف في الطلبات

وإحساس التعلقات المادية في ضمير الإنسان، لقد كان الإمام منقطعاً وبعيداً كل البُعد عن هذه الحياة المادية البحتة.

لم يطالب الإمام رحمه الله بشيء لنفسه، وحتى أنّه لم يُقدِم على شراء بيت حقير لنجله الوحيد(بعد وفاة السيد مصطفى) ـ أي المرحوم الحاج أحمد ـ الذي كان يكنّ له الإمام حبّاً خاصاً ولقد سمعنا منه في غير مرة بأنّ ولدي أحمد هو أعزّ الناس إليه، لكنه خلال العشر سنين، في فترة الحكومة والزعامة والقيادة العظيمة، لم يبادر بشراء بيت متواضع وصغير له، وقد حدث أن ذهبنا لزيارة الإمام رحمه الله في أكثر من مرة، في (حسينية جماران) وكنّا نشاهد السيد أحمد في بيته المتواضع ذات الغرفتين، في القسم الخلفي للحسينية، وراء منزل سماحة الإمام رحمه الله.

سماحة الإمام قدس سره هو الآخر لم يطلب لنفسه شيئاً من هذه الزخارف الدنيوية وتوفير الأموال والإسراف، بل على العكس، فقد كانت هناك هدايا كثيرة، قد أُهديت لسماحة الإمام رحمه الله، فكان يهديها إلى هذا وذاك في سبيل الله، والجدير بالذكر أنّ الأشياء التي كانت لديه، تعتبر، ملكاً له ولم ترتبط بأي حال من الأحوال ببيت مال المسلمين، لكنّه كان ينفقها لبيت مال المسلمين، هذا الإمام الذي لم يكن مستعداً لشراء بيت متواضع لنجله العزيز بسعر زهيد آنذاك بعشرة أو خمسة عشر مليون تومان ولو

كان ذلك من أمواله الشخصية، لكنّه كان يصرف مئات الملايين(تومان) من أمواله الشخصية في البناء والإعمار ومساعدة الفقراء والمنكوبين من السيول والفيضانات ومحلات مختلفة أخرى، حيث كنّا على اطلاع في بعض الأحيان من هذه الأمور، إذ كان الإمام يعطي بعض المبالغ إلى أشخاص معينين ليستفيدوا منها في مصارفهم ونفقاتهم، وهذه كانت هدايا قد قدّمت من قبل بعض المحبين والموالين والأصدقاء إلى سماحة الإمام رحمه الله.

لقد كان الإمام رحمه الله من أهل العزلة والعبادة والبكاء في منتصف الليالي ومن أهل الدعاء والتضرّع والإتصال بالله عزوجل وأهل الشعر والمعنويات والعرفان والذوق والنشوة الإلهية. هذا الرجل الذي كان وجهه يُرعب أعداء الشعب الإيراني ويهزّ كيانهم، فكان كالسد السديد والجبل الرزين، لكنّه في نفس الوقت كان يتبدّل إلى شخص لطيف، رؤوف وإنسان كامل يترحم على الناس في قضايا عاطفية وإنسانية، هذا ولقد نقلت هذه القضية سابقاً بأنّ إمرأة حاولت الوصول إليّ وذلك في إحدى زياراتي للمدن والمحافظات في إيران، ثم قالت لي: قل للإمام عني بأنّ ولدي قد تأسّر في الحرب، وأخيراً أُخبرتُ بأنّه قد استشهد، صحيح أنّ ابني قد استشهد، لكنّي لا أهتم لذلك، بل المهم هو

سلامتكم(الإمام الخميني)، لقد قالت لي تلك السيدة الكريمة هذا الكلام بإحساس عاطفي وحماسة وهياج.

فلما ذهبت إلى زيارة الإمام رحمه الله ودخلت البيت، والتقيتُ بالإمام وهو واقف على رجليه، قد نقلتُ له هذا الموضوع، رأيت هذا الجبل الراسخ وهذا الوقار والمقاومة، قد انكمش على ذاته كشجرة باسقة وعظيمة، أصابها إعصار شديد، فانحنت على حين غرة، فأصبح كسير القلب وقد تأثّرت روحه ونفسه وجسمه من كلام تلك المرأة؛ أمّ الشهيد، ففاضت عيناه من الدمع وأجهش بالبكاء!

في إحدى الليالي، كان عندنا اجتماع خاص مع اثنين أو ثلاثة من الأصدقاء في منزل المرحوم الحاج أحمد(نجل الإمام) وكان الإمام رحمه الله أيضاً حاضراً في المجلس، التفت أحد الأخوة الحاضرين في الجلسة، مخاطباً سماحة الإمام رحمه الله قائلاً: سيدي، أنتم تتمتّعون بمكانة معنوية ومنزلة عرفانية، أرجوكم أن تقدّموا لنا بعض النصائح والإرشادات في عبارات قصيرة،رأينا الإمام رحمه الله وهو يلملم نفسه من شدّة الإستحياء والخجل والتواضع، والكل شاهدوا وشعروا بذلك حيث طفح على سلوكه وحركات جسمه وكيفية جلوسه! بإزاء ما ذكره هذا التلميذ في عبارة موجزة، تشير إلى مدح وثناء الإمام رحمه الله، وبطبيعة الحال، فقد كنّا كلّنا تلاميذ للإمام وكأولاده وكانت تصرفاتنا كتصرفات الإبن أمام والده.

في الحقيقة، نحن أيضاً قد استولى علينا الخجل لمّا أبديناه من كلام أدى إلى استحياء الإمام رحمه الله، فهذا الرجل الشجاع المقدام وبامتلاكه تلك الطاقة العظيمة، هكذا كان في الأمور العاطفية والروحية، متواضعاً وخجولاً.

إطاعته وطاعته لأوامر الله عزوجل

النقطة الأخيرة التي أريد أن أشير إليها في هذا المجال، هي أنّ الإمام رحمه الله قد حصل على كل هذه الخصال الحميدة جرّاء الإلتزام العملي بالدّين والعمل بالإسلام والتقوى وإطاعة أوامر الله عزوجل، حتى أنّه قد ذكر ذلك بأشكال ومضامين مختلفة في كلماته وكان يردّد دائماً العبارة: كل ما نحصل عليه ونكسبه من انتصارات، فهو من جانب الباري عزوجل. فهو كان يرى أنّ كل شيء صادر من الله وارد إلينا من الله عزوجل أيضاً، وقد ذاب في مشيئة الله وأحكامه، حيث كان يقول: لقد نصر الله الثورة الإسلامية وأنجحها، وهو الذي قد حرّر مدينة (خرمشهر)، وهو الذي قد ألّف بين قلوب الشعب. فقد كان يرى الإمام رحمه الله كل شيء في العالم من منظور إلهي وكان ملتزماً بتطبيق الأحكام وبالمقابل قد فتح الله له أبواب رحمته من كل صوب.[1]

---

(١) كلمة لقائد الثورة الإسلامية في خطبتي صلاة الجمعة في طهران؛ ١٤/٣/١٣٧٨هـ.ش(٣/يونيو/١٩٩٩م).

المواصفات المتميزة لشخصية الإمام الخميني قدس سره

إذا ما استثنينا الخصال السابقة والمواصفات المذكورة لسماحته، فهناك ثلاث خصائص أخرى متميزة في شخصيّته وقد اندمجت مع بعضها بشكل عجيب ومذهل وخلّفت وراءها الجاذبية الساحرة والتأثير البديع والجمال المدهش في ملامح هذا الرجل العظيم.

العقلانية والحكمة

الخصيصة الأولى هي العقلانية والحكمة إذ أنّ سماحة الإمام رحمه الله كان رجلاً عالماً، لبيباً، عاقلاً وعميقاً وكان يمتلك جوهرة العلم والحكمة ـ بكل ما في الكلمة من معاني ـ وقد جاء في أدبنا الفارسي ما معناه: (كل من يمتلك جوهرة العلم والحكمة، سيكون قادراً على جميع أعماله وأفعاله)، ومن هنا فكلّما يصدر منه سلوك أو كلام وفي أي مجال أو مقال، يدلل على هذه الحكمة والعقلانية، وبالنسبة إلى علومه التخصّصية ـ أي الفلسفة والفقه والعرفان والأصول والأخلاق ـ بإمكاننا أن نلاحظ هذا العلم والتعمّق وهذه الجوهرة الساطعة للعقل، فهو قد طرح طرحاً كاملاً جديداً ومتطوّراً على الساحة العلمية والفقهية ولم يكتف بتكرار أقوال السابقين والقدامى.

الإلتزام بالدّين والإيمان الواعي

الخصيصة الثانية هي الإلتزام بالدّين والشريعة الإسلامية والإيمان الواعي، حيث كان الإمام رحمه الله متعبّداً في ديانته، لكنّه بعيد كل البُعد عن التحجّر والتوقّف، إذ أنّه كان ذا نظرة عميقة وواضحة وصاحب أفكار مضيئة وفي نفس الوقت كان مجدّداً وبعيداً عن الإستهتار الفكري، حيث أنّ الكثير من المثقفين، يطرحون كلاماً وأدباً جديداً في الشؤون الدينية، في حين أنّ هذا الكلام الجديد يُظهر مدى عدم التزامهم واستهتارهم بالنصوص الإسلامية حيث أنّ هذه الأفكار كانت تصدر عن عقائدهم بالذات ولم تكن نابعة من الدّين الحنيف! في حين أنّ الرؤية الشفّافة والعميقة والكلام المجدّد لسماحة الإمام رحمه الله كان مرتكزاً على الدّين ومبانيه الأصلية، ومن هنا نفهم بأنّ الإمام كان متدّيناً ومتعبّداً وفي نفس الوقت صاحب نظرة واضحة وعقلية واعية وكان يقوم بتوظيف عقله في آفاق عظيمة جداً حول المسائل الإعتقادية والعلمية، فكان إلتزامه بالدّين، يذكّر بالإلتزام الديني الذي كان سائداً في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو أنّه كان يشبه إشعاعاً من حياة الأئمة المعصومين عليهم السلام.

الشجاعة والتضحية والفداء

الخصيصة الثالثة هي الشجاعة والبسالة والتضحية والفداء، حيث كان على استعداد أن يتصدى ويتحدى العالم كله، في ما لو كان الحق إلى جانبه والباطل ما تقوله الدنيا، ولهذا نرى الإمام رحمه الله يقول في إحدى بياناته: إن قرّر الإستكبار العالمي أن يهدّد ديننا وإسلامنا، فنحن أيضاً سنهدّد دنياه، من شرقها إلى غربها، لقد صدق الإمام رحمه الله في كلامه حقاً، ولقد كان بإمكانه أن يقف أمام العالم كله، كما أنّه كان وحيداً، من دون أنصار، ففي اليوم الأول الذي أطلق فيه هذه الصرخة العملاقة في عام ١٣٤١هـ.ش(١٩٦٢م) في قم المقدّسة، ثم التحقت به جماعات متتالية من المؤمنين الطيّبين في كل مكان من دون تأخير، لكن الذي خاض المعركة ونزل إلى الميدان، كان وحيداً، من دون ناصر ومعين وكان يشعر بهذه الوحدة لا محالة، بيد أنّه كان يمتلك الجرأة والشجاعة الكافية ليخوض هكذا معركة، فأوّل شرط يفرض نفسه على الإنسان الذي يريد أن يدخل في مثل هذه المواجهات، هو أن يكون فدائياً، مضحّياً بنفسه وكان الإمام رحمه الله فدائياً ومضحّياً بحياته الشريفة حقاً وكان مستعداً لتحمّل جميع الأخطار والتحدّيات؛ كأنّه لا يعبأ بروحه وما يتعلّق بحياته، خاصة إذا ما لاحظنا أنّه سيدخل ساحة، هو في طرف منها وفي الطرف الآخر القوى الطاغية والجحافل العسكرية وجلاوزة الإستخبارات والنار والحديد

وافتقاد للضمير والدّين، فهم يتمتّعون بدعم شامل من قبل المخطّطات الإستكبارية والمؤامرات العالمية، فهذا الشكل من الكفاح الغير متكافئ يحتاج إلى الجرأة والشهامة المنقطعة النظير، إذ أنّ البعض يدّعي بأننا قد ضحّينا بأنفسنا ومستعدّون للشهادة، في حين إنّما تلاحظوه في موقف العمل ورسم المزاعم على أرض الواقع، ترونه غير مستعد أن يضحّي حقاً بحياته؟

فالذي لا يقدر أن ينفصل عن بعض الثروة أو الرغبة، فأنّى له أن يقدّم نفسه قرباناً لله عزوجل؟! لكن الإمام﵀ كان صادقاً في أقواله، مغامراً بحياته ومستعداً لكل طارئ خطير وبهذه المعنويات دخل الساحة؛ حيث أنّ الشاعر الإيراني يقول:

النص الفارسي:

بسا باشد كه فردي آسمانى

به جاني فتح فرازد لشكرى را

نهد جان در يكي تير ورهاند

زننگ تيره روزى كشوري را

الترجمة العربية:

لعل رجلاً روحياً سماوياً يظهر

فيهزم جيش العدو بروحه

واضعاً نفسه في سهم حتى يخلّص

البلاد من عار التعاسة بروحه

أجل، لقد دخل الإمام﵀ الساحة، بهذه المواصفات والخصال الثلاثة التي قد تشابكت واندمجت مع بعضها في وجوده الكريم وشخصيته النبيلة، بطبيعة الحال إذا ما أحصينا الخصائص الإيجابية التي كان يتمتّع بها الإمام، في قائمة، فستشكّل فهرساً طويلاً، ولأنّ هذه الخصال الثلاثة متلازمة مع بعضها البعض وتحمل تأثيراً بارزاً ومنسجماً فيما بينها، لهذا فأنا قد اخترتُ هذه الخصائص الثلاثة من تلك التشكيلة الرائعة.[1]

---

(١) كلمة قائد الثورة الإسلامية، الإمام الخامنئي(حفظه الله) في خطبتي صلاة الجمعة بطهران: ١٣٧٨/٧/٩هـ.ش(١٩٩٩م).

ذروة الإيمان والإرادة الفولاذية والذكاء الخارق والنشاط الدائم للإمام قدس سره

لقد بدأت المقاومة ضد النظام البهلوي منذ مدة طويلة؛ أي من عهد رضاخان(شاه إيران /الأب) عام ١٣١٤هـ.ش(١٩٣٥م) ولا بد من القول هنا بأنّ المرحوم(آية الله مدرّس) كان قد بدأ كفاحه ضد النظام الملكي الفاسد قبل هذا التاريخ، لكن السلطة الطاغية الحاكمة قد أقدمت على قتله، حيث أنّ النهضة الكبرى التي فجّرها علماء الدين في مدينة مشهد المقدّسة كانت قد بدأت، حيث استأنف المرحوم آية الله القمي وجماعة من العلماء المناصرين له نضالهم ضد النظام الدكتاتوري الحاكم آنذاك في إيران، هذا وكانت هناك بعض التجمّعات الصغيرة الغير إسلامية التي بدأت المقاومة في آواخر عهد الشاه الأول(رضاخان)، ثم في العشرينات(من ١٣٢٠هـ.ش، ١٩٤١م)، عادت حركات المقاومة إلى نشاطاتها الحزبية والتكتّليّة من جهة ونهوض علماء الدين والحركات الشعبية من جهة أخرى وكان مسار الأوضاع في الأعوام التي تلت هذه الأحداث على نفس الوتيرة وقد ازداد حجم الإستياء والمقاومة بين أفراد الشعب الإيراني وبطبيعة الحال، كان لهذه الحركات الكفاحية بعض التأثير على الأوضاع، ولكن كما تعلمون لم يكن بمقدور أي تكتّل من هذه

التكتّلات اللادينية أن تقوم بتعبئة الجماهير وأن تدفع بالمقاومة من التجمعات الصغيرة والخاصة إلى الحشود الهائلة للشعب، فماذا كان السبب يا ترى؟ طبعاً، إنّ بعض الأسباب تعود إلى المواصفات الشخصية لسماحة إمامنا العظيم ﷺ ـ حيث أنّي سأتطرق إلى هذا الموضوع أيضاً ـ فإنّ من أهم الأسباب، هي أنّ أحد رجال الدين الكبار المرموقين، من الذين قد حصلوا على ثقة الشعب الكاملة، ظلّ يتحدّث عن الإسلام، إذ أنّ الإسلام كان ولا زال الإعتقاد السائد والشامل للشعب، فهذه الخصوصية هي من مواصفات الحركة الدينية والدوافع المذهبية.

مما لا شك فيه أنّ الدافع الديني يختلف تماماً عن الدوافع المادية والحزبية، إذ أنّ الدافع الأساس في الأحزاب والنظريات المادية، هو كسب القدرة والإستيلاء على الحكومة؛ فالذين يدخلون في خضم المقاومة ـ كل واحد منهم ـ يعتبر لنفسه مكانة وتفوّقاً خاصاً: ماذا علينا أن نفعل في النظام القادم بعد الإطاحة بالنظام السابق؟ ما هي مسؤوليتنا في تلك الحكومة؟ في حين أنّ الأمر في الحركة الدينية، يختلف تماماً، ولم تكن هذه الأمور مطروحة على الطاولة المستقبلية، لأنّ الجميع يدخل في ساحة المقاومة، من أجل الواجب وأداء التكليف.

لقد ركّز سماحة الإمام ﷺ على الإسلام وعبّر عن التعاليم الإسلامية، حيث أنّ أصالة الحركات الشعبية بدأت من هنا، لأنّ جميع قطاعات

الشعب قد دخلت إلى الساحة حسب إيمانها واعتقادها بمصداقية القضية وأنتم قد لاحظتم كيف استجاب الناس للموضوعات المطروحة آنذاك في كل مدينة وقرية، ولو أراد تكتّل أو حزب سياسي ما أن يدفع أهالي تلك المنطقة، ليواكبهم ويدعمهم، فإنّه سيحتاج إلى جهود مضاعفة لإقناع كل فرد من أفراد تلك المنطقة وذلك ليلفت نظر هؤلاء إليه! في حين أن سماحة الإمام رحمه الله لم يكن بحاجة إلى مثل هذا الجهد وبهذا الشكل، بل كانت الجماهير المؤمنة تدخل الميدان عن طريق نداء أو بيان كان يوجّهه الإمام رحمه الله إلى الشعب، والمدن الكبيرة أيضاً كانت تحمل نفس المواصفات، وحتى في طهران؛ العاصمة لم يكن الوضع يختلف عمّا كان عليه في بقية أرجاء البلاد، أي أنّ الإمام كان يؤكّد ويشدّ على الإسلام وهكذا كانت للإمام مواصفات أخرى أيضاً، مما لا شك فيه أن الإمام رحمه الله كان رجلاً شعبياً ويعتمد على الشعب في جميع مواقفه، ولا أنسى أنّ الإمام رحمه الله قال في إحدى خطاباته التي كان يُلقيها عادة في محاضرة الدرس بالحوزة العلمية بقم في عام (١٣٤١هـ.ش ـ ١٩٦٢م)، حيث لم يكن الإمام ـ آنذاك ـ قد حاز على تلك الشهرة والمعروفية التي تمتّع بها فيما بعد، قال مخاطباً حكومة الشاه في تلك الفترة: إذا لم تتخلّوا عن هذا التصرّف وهذه المعاملة السيئة مع الشعب فسأملأ الصحراء المترامية أطراف مدينة قم من الجماهير الشعبية! لقد استغرب الجميع في حينها من كلام الإمام رحمه الله وكيف سيكون ميسوراً لإمام يجلس في زاوية المسجد في قم، أن يثق هكذا بالشعب، من دون أي شك أو ترديد، وبعد عدة أشهر

فقط؛ أي في عام ١٣٤٢هـ ش (١٩٦٤م) ما إن خطب الإمام رحمه الله في المدرسة الفيضية، ظهرت واقعة الخامس عشر من خرداد بطهران(٤/٦/١٩٦٤م) وإذ حصلت مواجهات دامية بين الشعب والدبابات والرشاشات والبنادق التابعة لنظام الشاه.

وكما أسلفت سابقاً بأنّ الخصال الشخصية للإمام رحمه الله كانت مؤثّرة كل التأثير وسماحة الإمام كان يمتلك التصميم والإرادة والعزم الفولاذي، بكل ما تحمل هذه الكلمات من معاني حيث أنّه كان يؤمن بطريقه ونهجه مئة في المئة، كما هو الحال بالنسبة للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾[1]، فلقد كان يؤمن بمسيرته كل الإيمان إذ كان رجلاً صادقاً وصريحاً؛ ولم يكن من أهل سياسة الخداع والمداهنة، بل كان ذكياً وصاحب رؤية مستقبلية نافذة.

وكان ذكاء الإمام ونظرته الثاقبة المستقبلية وقوة التشخيص المستبقة للخطوات التي لا بد من رؤيتها في المستقبل، عالية جداً، أنّه كان يواصل المواضيع المطروحة ولا يعرف الكلل أو الملل أبداً. ومن الجدير أن نتذكّر كلّنا بأنّ سماحة الإمام رحمه الله كان في ذروة هذه المقاومة وقد بلغ الثالثة والستين من عمره المبارك وأتذكّر جيداً بأنّ الإمام رحمه الله قال في

(١) البقرة: ٢٨٥.

نفس السنة (١٣٤١هـ.ش ـ ١٩٦٢م)، أثناء محاضرته وخطابه: لقد بلغتُ هذه السنة سنّ الثالثة والستين وإذا ما أقدمتم على قتلي، فسأكون قد فارقت الحياة في السنّ التي توفي فيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واستشهد بها أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، فهذا الرجل، وفي مثل هذا العمر، كان يدفع الشباب إلى الحماس ويُسعفهم بالقوة والنشاط والحركة والحيوية.

لمّا دخل الإمام رحمه الله طهران قادماً من باريس وشاهد سير الأحداث من ١٢/بهمن/١٣٥٧ هـ.ش(١٠/فبراير/ ١٩٧٩م)حتى انتصار الثورة الإسلامية(أي بعد ١٠ أيام) وما بعد ذلك، إلى أن بلغ عمره الشريف الثمانين.

انظروا كيف أنّ هذا الكهل الكبير ـ والمفروض أن يمارس في هذه السن، فترة التقاعد والمتاعب والشيخوخة والإستراحة ـ لكنّه لم يمارس هذه الحالات، بل نزل إلى الساحة بنشاط وحيوية الشباب.

إذاً لا بد أن نصرّح هنا بأنّ الخصوصيات الشخصية للإمام رحمه الله كانت مؤثّرة ومهمّة للغاية، خاصة وأنّ قضية الإتّكاء على الإسلام والدّين والإيمان واعتقادات الشعب أيضاً، كانت تخيّم على أفكاره.[1]

(١) كلمة قائد الثورة الإسلامية(حفظه الله) في لقاء مع جماعة من الشباب في طهران، ١٢/١١/١٣٧٧هـ.ش(٣١/١/١٩٩٨م).

الفصل الثاني

مواصفات منهج

سماحة الإمام الخميني رحمه الله

المسؤولية الرئيسية هي: معرفة العناصر الأساسية لحركة الإمام الخميني رحمه الله

إنّنا نعلن بحزم ويقين عن مواصلة طريق إمامنا العزيز، فأوّل مسؤولية تواجهنا هي أن نتعرف أولاً على العناصر الرئيسية لحركة الإمام رحمه الله، فالحركة التي بدأها الإمام رحمه الله منذ عشرين سنة تقريباً، إنتهت إلى تأسيس نظام وحكومة اعتبرت الإسلام قاعدة للحياة وباستمداد التوفيقات الإلهية وتمكّنت من إعزاز المسلمين في العالم، وهذا الطريق ـ بطبيعة الحال ـ كان طريقاً طويلاً وصعباً وكانت الظروف الشائكة تحيط بهذا الطريق ولأنّ سماحة الإمام رحمه الله كان يمتلك شروط الورود إلى هذا الطريق، لهذا تمكّن من أن يقطع الطريق بنجاح وجدارة.

ونحن الآن نريد أن نواصل المسيرة التي قام بها الإمام الراحل رحمه الله وإنّنا صادقون في عزمنا ونوايانا ولا بد أن ندقّق في الأمر: فهل تمكّنا من إيجاد تلك الشروط والظروف في أنفسنا أم لا؟ لأنّ هذا شيء مهم، إذ أنّ حركة

الإمام رحمه الله كانت بنفس الطريقة والأسلوب الذي قام به الأنبياء عليهم السلام، النهج والهدف الذي انتهجه الإمام رحمه الله كان منطبقاً على نفس النهج والهدف الذي انتهجه الأنبياء العظام عليهم السلام، فإنّهم قد لاحظوا في قطع هذا الطريق المعقّد، بعض العوامل: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، إذاً لا بد أن يتحلى القائد بالصبر أولاً، ثم الإستعانة بالله والإتكاء والتوكّل عليه، فهذان العاملان مهمان للغاية وإلاّ فلا يمكن قطع الطريق.[2]

محاكاة الإمام في الأهداف والطموحات السامية

لقد تمّ إيجاد وإنشاء الجمهورية الإسلامية في إيران، تحت ظروف وملابسات معقّدة، حيث لم يتصور أحد في العالم بأنّ هذا النظام سيبقى ثابتاً مستقراً وسيحالفه النصر أمام أعداءه الحقودين الأقوياء، علينا أن نواصل هذا الطريق، والموضوع الذي لا بد أن نقلّد فيه الإمام رحمه الله، هو الأهداف التي كان يؤمن بها، ثم التوجه نحو تلك الأهداف، إذ لا يمكن إهمال أو ترك أي واحدة من تلك الأهداف والطموحات التي قد حدّدها الإمام رحمه الله، لأنّ سماحته اختار أفضل وأمثل وأنبل الأهداف للشعب

---

(١) الأعراف: ١٢٨.

(٢) نقلاً عن كتاب(حديث الولاية) ج١، ص ١١٣ و ١١٤.

الإيراني المسلم وللثورة الإسلامية ونظام الجمهورية الإسلامية، حيث جرت هذه العبارات على لسانه وقد قام بتخليدها في عشرات من النماذج الحيّة بأدبه الخاص، هذا وقد أظهر أيضاً كيفية التوجّه نحو تلك الأهداف والطموحات.[1]

الخط الذي رسمه الإمام رحمه الله للأجيال القادمة

الخط والمشروع الذي رسمه الإمام رحمه الله للثورة الإسلامية وقد واصل الشعب الإيراني السير على نهجه لعشر سنوات، هو خط تخليد الإسلام وتمجيد المسلمين والدفاع عن المحرومين والمستضعفين في كل أرجاء العالم، وهو المشروع الذي جعل من الشعب الإيراني في العالم، شعباً حياً أبياً مستقلاً وفعالاً ومشحوناً بالحياة والحيوية أكثر من باقي شعوب العالم وقد أنقذنا هذا المشروع وهذا الطريق من التخلّف والتبعيّة والخمول المقيت، وهو خط يبعث على الإيمان والمحبة واندفاع الشعب نحو الإسلام، بحيث خلق فيهم التضحيات الرائعة والإيثار المنقطع النظير، فهذا الدرب، هو درب الحياة والكيان والهوية الوطنية والثورية بالنسبة لنا، وسيبقى هذا الخطّ ـ بفضل من الله عزوجل ـ قوياً قاطعاً طموحاً وبنفس المعنويات التي علّمنا إياها سماحة الإمام الخميني رحمه الله بشكل علمي،

(١) نفس المصدر، ص ٥٦.

طوال فترة النهضة والثورة، ومن هذا المنطلق فإنّنا على استعداد تام للتضحية والجهاد والسعي الدؤوب، على مدار الساعة لترسيخ قواعد نهج الإمام رحمه الله وطريق الثورة الإسلامية، ونحن مستعدون لبذل أرواحنا ودمائنا لتكون فداء وقرباناً لهذا السبيل والصراط، حيث أنّ سعادتنا وهناءنا ستتبلور فيما لو قدّمنا حياتنا لإحياء هذا الطريق، ولا شك في هذا أبداً.[1]

الآمال والطموحات الكبيرة للإمام الخميني قدس سره

إنّ الآمال والطموحات الكبيرة التي كان يطرحها الإمام رحمه الله، هي عبارة عن: الكفاح ضد الإستكبار العالمي والحفاظ على التوازن القاطع في خط ومنهج الـ(لا شرقية ولا غربية) والتركيز الدائم والشامل على الإستقلال الحقيقي للشعب(الإكتفاء الذاتي بمعناه الكامل) والتشديد المتلاحق والقائم على صيانة المبادئ الدينية والشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي وإيجاد الوحدة والتضامن والإقبال على الشعوب المسلمة والمضطهدة في العالم والعمل على تقوية العزّة للإسلام والشعوب الإسلامية ونبذ الخوف والجبن إزاء القوى العالمية وإقرار القسط والعدل في المجتمع الإسلامي والدفاع بشكل دائم وبكل سماحة عن المستضعفين والمحرومين والطبقات الفقيرة في المجتمع والإلتزام بمعالجة قضاياهم. كلّنا نعلم كيف

---

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٤.

أنّ الإمام الراحل رحمه الله كان يصرّ ويشدّد على هذه النقاط وكان يشقّ طريقه في هذا المسير ونحن ما علينا إلاّ ننتهج نفس الطريق ونمارس أعماله الصالحة وحركاته الدائمة الدائبة.[1]

خصائص خط الإمام الخميني قدس سره

سأذكر لكم الآن الخصائص والمواصفات الموجزة لخط الإمام رحمه الله واتجاهاته التي أمست تمثل الطابع البارز لحركة نظام الجمهورية الإسلامية، خلال العشر سنين، المليئة بالخير والبركة من حياة الإمام قدس سره؛ بعد انتصار الثورة الإسلامية حتى رحيله إلى الرفيق الأعلى:

١ـ المقاومة والصمود أمام المصاعب المفروضة والتصدي إزاء تغلغل القوى الأجنبية وعدم التساوم معها.

٢ـ الاهتمام بالتعبد والواجبات الفردية والوقوف أمام شيطان النفس الأمّارة والوساوس الإبليسية.

لا بد من التذكير هنا بأنّ سماحة الإمام الخميني رحمه الله لم يفصل بين هاتين الساحتين وهذين المجالين، فعلى مستوى المجتمع والسياسة، كان

(١) نفس المصدر، ج١، ص ٥.

الإمام يقف أمام الشيطان الأكبر والقوى الشيطانية وعلى مستوى النفس الأمّارة للإنسان وضميره الداخلي، كان ﵀ يصارع النفس الأمّارة وبصورة عامة كان الإمام يؤكد على التعبّد في العمل الإنساني والفردي والشخصي كثيراً.

٣ـ الإهتمام البالغ بقدرات وطاقات الشعوب الهائلة واعتبار هذه القدرات هي الأصل والأساس، حيث أنّ الإمام﵀ كان يتحدّث إلى الشعوب وكان يؤمن بهذه الفكرة، فيما لو تحقّقت التطوّرات والتغييرات العظيمة في العالم بيد الشعوب، ستكون غير قابلة للإندحار والفشل، إذ أنّ شعوب العالم بإمكانها أن تقوم بإيجاد هذا المنظور والتغيير وتبديل المحيط المفروض عليها.

٤ـ الإصرار والتشديد على وحدة المسلمين ومكافحة التفرقة التي يقوم بها الإستكبار في الدول الإسلامية.

٥ـ التأكيد على إيجاد علاقات نزيهة ومبنية على الصداقة مع الحكومات، إلاّ أن تكون هناك قضايا إستثنائية في مجال عدم إيجاد العلاقات الودّية مع جميع هذه الدول والحكومات، مستندة بحجج قوية وصارمة، حيث أنّنا قد تعلّمنا من إمامنا الكبير﵀ بأنّ الجمهورية الإسلامية بإمكانها، بل ومن واجبها أن تتمتّع بعلاقات نزيهة وطيبة مع

جميع الدول، على الصعيد العالمي، لكنّ العلاقات مع أمريكا مرفوضة لأنّها دولة إستكبارية ظالمة تقوم على أساس التعدي ومحاربة الجمهورية الإسلامية بشكل مستمر وكذلك الإرتباط وإنشاء العلاقات مع الكيان الصهيوني العنصري، مرفوض تماماً وبالنسبة إلى باقي دول العالم فهو يتوقف على تأمين مصالح نظام الجمهورية الإسلامية والأصل يرتكز على إيجاد العلاقات.

٦ـ الإصرار والتأكيد على تحطيم وتكسير حصار التحجّر والإلتقاط في مجال الدرك النظري والعملي للإسلام والإلتزام بالإسلام الخالص، وحسب وجهة نظر الإمام الراحل رحمه الله المتمثلة في أقواله وأعماله، حول رفض التحجّر من جهة والإلتقاط الذي يسعى لنبذ الشروط الصحيحة لفهم الدّين والإسلام من جهة أخرى.

٧ـ التشديد والتركيز والتمحور على إنقاذ المحرومين وضمان العدالة الإجتماعية، إذ أنّ الشعب يعتبر الأساس والمحور الرئيسي ـ من منظار الإمام رحمه الله ـ ومن منطلق منطق الإمام رحمه الله والخط الحكومي له، فإنّ المحرومين والمستضعفين هم المحور الأساس في اتخاذ القرارات، هذا وأنّ جميع الفعاليات الإقتصادية وما شاكلها لا بد أن تكون مركّزة على تخليص وإنقاذ المحرومين من المعاناة التي يعانون منها.

٨ ـ الاهتمام الخاص بمكافحة الكيان الصهيوني الغاصب للقدس الشريف، إذ أنّ قضية مكافحة النظام الإسرائيلي في منطق وفي عُرف الإمام﵀ كان يحتل مكانة خاصة، فمن وجهة نظر الإمام﵀ إنّ أحد الأصول التي لا تقبل الشعوب بالإغماض عنها وتناسيها، هي قضية محاربة الصهاينة وهو قائم على أنّ الإمام الكبير﵀ قد شخّص الدور التخريبي والهدّام ـ منذ سنوات قبل الثورة الإسلامية ـ الذي تقوم به إسرائيل الغاصبة.

٩ ـ الحفاظ على الوحدة الوطنية وإيجاد التكاتف بين أفراد الشعب الإيراني والإصرار على مكافحة الشعارات التي تؤدي إلى الفرقة والتفرقة.

١٠ ـ الحفاظ على شعبية الحكومة وإيجاد ومحافظة العلاقات القائمة مع الشعب، حيث أنّ الإمام﵀ كان يوصي المسؤولين دائماً بأن لا ينفصلوا عن الشعب وأن يكونوا إلى جانب الشعب وأن يحاولوا أن تكون حياتهم حياة متواضعة وشعبية وهكذا كان الإمام﵀ يوصي الناس ويتصدى للذين يقومون على إضعاف مؤسسات النظام والحكومة بأي شكل من الأشكال.

١١ـ الإصرار على إعادة بناء البلاد وتقديم نموذج علمي للعالم وخاصة في الأشهر الأخيرة من عمر الإمام﵀ الشريف حيث أخذ

الموضوع يحتل مكانة مهمة، حسب نظرته، فالإمام ﵀ كان يؤكد بأنّ إيران لا بد أن يعاد إعمارها، من الناحية الإقتصادية والأعمال المرتبطة بالبنى التحتية وكذلك من ناحية تأمين الموارد المالية اللازمة للبلاد والشعب حتى نتمكّن من تقديم نموذج عملي من إعادة البناء الإسلامي وذلك لعرضه على العالم.

فحسب اعتقادي هذه هي الخطوط الرئيسية والنقاط البارزة في نظرة الإمام﵀ وكيفية سلوكه العملي والحكومي التي ذكرتها لكم الآن.

المواصفات المهمّة لنهج الإمام الخميني قدس سره

لقد أعلنّا بعد رحيل الإمام﵀، بأنّنا سنواصل طريق ونهج الإمام الخميني﵀ ولهذا نصرّح، أولاً: بأنّ هذه الحركة والبادرة لم تكن نتيجة نزعة تقليدية ومحاكاة بحتة، بل كانت على استناد التجارب الماضية والوعي واليقظة، لأنّ نهج الإمام هو الطريق الوحيد لإنقاذ البلاد، وهذه المواصلة في النهاية أدّت إلى هذه النتيجة في طليعة الثورة وكذلك أثناء حياة إمامنا العزيز﵀ واليوم أيضاً نحن بحاجة ماسة إلى ذلك النهج الواضح، ولكن ما هو نهج الإمام؟ وماذا نقصد نحن بطريق وخط الإمام الخميني﵀؟

سأذكر بعض المواصفات والخصائص المهمّة في المجموعة والتشكيلة التي نسميها نحن بنهج الإمام أو خط الإمام. هناك بعض الأمور والملاحظات والخصائص، كانت تحتل المرتبة الأولى، من وجهة نظر الإمام رحمه الله:

الخصيصة الأولى هي التمسك بالإسلام والإعتماد على الدّين، حيث أنّ الإمام رحمه الله، كان لا يهتم بشيء أكثر من الإسلام وكان يعتبر الإسلام أكثر القيم مكانة بالنسبة إلى الأشياء الأخرى، فالثورة والنهضة كانت من أجل سيادة الإسلام، وكذلك الشعب الذي قام بتأييد هذا النظام وبادر بتفجير الثورة واحتضان الإمام ومناصرته، لم يكن إلاّ عن طريق الدافع الإسلامي، والسرّ في نجاح الإمام هو أنّه أبان عظمة الإسلام وصرّح به بشكل واضح ومن دون تلفيف وتعقيد وقال بأني أنوي العمل من أجل الإسلام وكل شيء سيكون تحت ظل الإسلام.

قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران، كان هناك بعض الأشخاص في هذا البلد وفي بعض الدول الأخرى، يؤمنون بالإسلام حقاً، لكنّهم لم يتجرؤوا أو لم يريدوا طرح الإسلام بشكل صريح ولهذا دخلوا الساحة تحت شعارات وأسماء أخرى وقد واجهوا الفشل والإحباط بصورة عامة،

أما السبب الذي أدى إلى نجاح سماحة الإمام﵀ هو أنّه كشف عن هدفه الذي كان يركّز على سيادة الإسلام بوضوح وصراحة.

طبعاً الإسلام الذي طرحه الإمام﵀ يمكن أن يناقش في مجالين: مجال يختص بالإسلام في هيكليته وإطار النظام، حيث أنّ الإمام كان متشدّداً في هذا المجال كثيراً ولا يرضى بكلمة أكثر أو أقل مما يجب ولا يستسلم لأي مسامحة، إن كانت في القضايا الإقتصادية أو في القضايا الأخرى، فالمهم هو أن يكون الصلب إسلامياً والنظام إسلامياً ومجلس الشورى إسلامياً والحكومة إسلامية والقضاء إسلامياً والمؤسسات المختلفة الأخرى كذلك، لا بد أن تكون متطابقة للمصالح الإسلامية وموالاة خط الإسلام وسبيل سيادة الإسلام، فسماحة الإمام كان يتابع هذا المشروع وقد سعى من أجل تحقيقه كثيراً، قدر استطاعته.

الخصيصة الثانية هي حول الإلتزام بالإسلام؛ أي الأعمال الفردية للناس، لهذا لم نشاهد هنا تلك الصلابة والحزم واستخدام القوة من قبل الإمام﵀، بل نجد في هذا المجال النصيحة والموعظة واللسان الطيب والأمر بالمعروف، حيث أنّ الإمام كان يؤمن بهذه الخطة، إذاً فتعقيب ومواصلة الأهداف الإسلامية والسيادة الإسلامية في مجال الإيمان والعمل يعتبر المهام الأول في نظرية خط الإمام ﵀.

والموضوع الثاني هو الإرتكاز على الناس ـ كما أسلفنا ـ، فلا يحق لأحد في النظام الإسلامي أن ينكر وينفي تواجد الشعب وآراء الشعب ومطالب الشعب، فهناك بعض المفكرين يعتبرون آراء الناس ركيزة لمشروعية النظام وفي أقل احتمال لا بد أن نعتبر آراء الناس القاعدة الأساسية لإجراء وتطبيق المشروعية، حيث لا يمكن نصب ورفع خيمة الإسلام من دون آراء الناس وحضورهم ومن دون تحقيق مطالب الناس. بطبيعة الحال الناس مسلمون ولهذا إرادة ومطالب الناس لا تتمحور إلاّ في نطاق القوانين والأحكام الإسلامية.

لقد أوجد سماحة الإمام،(مجمع تشخيص مصلحة النظام)، والمقصود منه هو أنّه لو حصل اختلاف بين مجلس الشورى الإسلامي والذي يرمز إليه أصوات وآراء الناس وبين مجلس صيانة الدستور الذي يجسّد الحدود والأحكام الإسلامية، في مثل هذه الحالة يأتي دور مجمع تشخيص مصلحة النظام ليتخذ القرار النهائي ومتى ما اقتضت مصلحة البلاد، سيقوم بتقديم وترجيح هذا على ذاك، وسماحة الإمام﵀ هو الذي أوجد هذا المجمع لنا.

وما يتعلق بموضوع الحرية، فها هي موجودة في قلب هذه الحركة الهائلة وهذا الخط الهام الذي رسمه الإمام لهذا البلد، في حين ظهرت

اليوم بعض الجماعات الجديدة العهد التي تحاول أن تعلّم الإمام﵀ معنى الحرية وحرية الرأي وحرية التفكير وحكومة الإمام والنظام الإسلامي، وذلك لتلقين هذه المفاهيم! فهذا نهج وخط، قد قام الإمام﵀ بوضع حركة النظام الإسلامي على مساره ونحمد الله على النعمة، إذ أنّ المسؤولين في البلاد وفي هذه الحكومة أو الحكومات السابقة وكلّهم من تلامذة الإمام الراحل﵀ والمتربّين على يده، فكل المسؤولين يعرفون معنى الحرية منذ الصغر ويؤمنون بها ولا حاجة لأن يأتي أحد ليقوم بتعليمهم مفاهيم الحرية.

الخصيصة الثالثة لخط الإمام﵀ هي العدالة الإجتماعية وتقديم المساعدات إلى الطبقات المستضعفة والمحرومة، حيث أنّ الإمام سمّى هؤلاء بأنّهم هم الأصحاب الشرعيون للثورة الإسلامية والنظام الإسلامي، فالإمام يعتبر هؤلاء المحرومين والفقراء والحفاة من أهم العناصر في انتصار هذا الشعب، وقد أصبح كذلك بالفعل وكما قلت سابقاً فإنّ سماحة الإمام لم يكتف بالكلام حول الموضوع فقط، بل إنّ الإمام ومنذ بداية انتصار الثورة الإسلامية، أوجد وأسس مؤسسة (جهاد البناء) و(لجنة الإغاثة التابعة للإمام الخميني﵀) و(مؤسسة المستضعفين بنياد مستضعفان) و(مؤسسة الخامس عشر من خرداد(بنياد ١٥ خرداد) و(مؤسسة السكن(بنياد مسكن)، ثم أصدر توجيهات وأوامر مركزة، أكّد

فيها على العدالة الإجتماعية التي أضحت من الشعارات الرئيسية في البلاد ولا يمكن أن تكون في الدرجة الثانية من الأهمية ولا يجوز دفعها إلى الهامش، لا يمكن ذلك أبداً؟!

والآن ظهرت جماعة ثانية، وهي تذكر أشياء أخرى وتقول نقلاً عن سماحة الإمام﵀ الذي قال بأنّ ثورتنا لم تكن من أجل الخبز وليست بثورة الخبز! أجل الثورة الشيوعية في روسيا التي حدثت في ١٩١٧م، كانت من اجل عدم تواجد الخبز في المدن الرئيسية ـ ومنها موسكو مثلاً ـ فإن كان الخبز متوفراً لدى الناس ـ أجل هذا الخبز الإعتيادي ـ لما حدثت تلك الثورة ! في حين أنّ ثورتنا لم تكن كذلك، بل كانت على أساس الإيمان؛ وهذه بطبيعة الحال لن يعني أنّ الثورة ليست مسؤولة عن الحياة المعيشية للناس والإقتصاد ولا ينبغي لها أن تعالج قضية (الخبز) وتهيئة ظروف الرفاهية للناس، ما هذا الكلام؟! على العكس من ذلك كانت أوامر وتوجيهات الإمام﵀، بل كان سماحته يؤكد دائماً على مثل هذه القضايا والأولوية الأولى عنده كانت ترتكز على الإلتفات إلى الطبقات المحرومة من الشعب وكذلك المستضعفين.

ومن جهة أخرى، نرى الذين يجلسون على حافة حفرة الأحداث والأخطار ـ فهم متمرسون على الجلوس في زاوية آمنة، دون أن يدخلوا

في خضم القضايا الحادة، ثم يكتفوا بإصدار الأوامر وكتابة الوصفات ومن دون أن يتعرّفوا على صلب الحقائق على الأرض، أو يشعروا بمسؤولية خاصة ـ هؤلاء المنفصلين عن الأحداث يقولون: إنّ العدالة الإجتماعية لن تتحقّق في إيران، بعد الثورة! بطبيعة الحال ومما لا شك فيه أنّ العدالة الإجتماعية لم تحقّق بشكل كامل وشامل، وعلينا أن نجهد أكثر من هذا؛ لكنّ النظام الإسلامي قد حكم البلاد وغيّر تلك الخطة والمشروع الخاطئ الذي كان يسود البلاد فيما سبق ـ حيث أنّها كانت لا تشمل على إعطاء الحقوق إلى القرى والأرياف والقرويين وكذلك المدن النائية والطبقات المحرومة ـ بل عكفت الحكومة الخدومة بكل طاقاتها على سدّ احتياجات ومعالجة المعاناة الموجودة في المناطق المحرومة من البلاد، طوال هذه المدة من انبثاق الثورة الإسلامية، حيث كانت ولا زالت الحكومات تهتم بهذا الأمر اهتماماً بالغاً، من أجل إلغاء وشطب الحرمان من حياة المحرومين، ولهذا قد تمّت أعمال جبّارة وأُنجزت خدمات هائلة، وكل هذا يعود إلى هذا العنصر الشريف؛ أي العدالة الإجتماعية في خط الإمام رحمه الله.

والخصيصة الرابعة في نهج الإمام، هي معرفة الأعداء وعدم الإنخداع بدسائسهم، وأوّل عمل يقوم به الأعداء هو أنّهم يروّجون لهذه الفكرة بأنّ ليس هناك أي عدوّ أو عداء يُذكر للثورة والشعب، كيف لا يكون للنظام

الإسلامي أعداء؟! في حين أنّ هذه الثورة قد حرمت ناهبي العالم من هذه المائدة المسلوبة لسنوات طويلة، فمن الطبيعي أن يكونوا أعداء، ولهذا نراهم يقومون الآن بإجراءات عدوانية حاقدة ـ في الإعلام والدعايات، وفي الحظر الإقتصادي ـ إنّهم يجهدون بكل طاقاتهم في تعزيز قوة الأعداء ضد نظامنا؛ وحتى أنّهم يصرحون بذلك علانية!

إنّ الأمر الذي لا يُرضي أمريكا والإستكبار العالمي وسُرّاق العالم في إيران هو استقلال البلاد وكذلك الصحوة التي يتمتّع بها الشعب الإيراني، إذ يعتبر ذلك جواباً سلبياً لأعداء هذه الدولة ولصوص العالم وهذا بطبيعة الحال لا يرضيهم، لأنّهم أعداء الإسلام أيضاً ولأنّ الإسلام هو الذي منح اليقظة والصحوة لهذا الشعب، إنّهم أعداء هذه القضايا، وسماحة الإمام كان يعرف الأعداء وكان يعرف أساليبهم السياسية والإعلامية جيداً، كان يعرف كل ذلك ويتصدى لهم بالمرصاد، ويواجههم بقوة وصلابة.

الخصيصة الخامسة لدى الإمام الخميني رحمه الله وهي الدقّة والحساسية والمسؤولية تجاه مصير المسلمين في العالم، إذ أنّ المسلمين يُعتبرون العقل المفكّر والإستراتيجي للنظام الإسلامي. لأنّ المسلمين والشعوب الإسلامية في آسيا وأفريقيا وكذلك في منطقتنا، الشرق الأوسط، هم من أنصار النظام الإسلامي والحكومة الإسلامية، وهذه العواطف وعلامات الحب والتعاطف الشديد مع سماحة الإمام رحمه الله والثورة الإسلامية، لم يسبق

لها مثيل، حيث لا يمكن أن تجد عديل ذلك في دولة من دول العالم ولم يكن متعارفاً عليه، ثم أنّه لم يُسمع به ولم يقرأ عنه في الأيام السالفة وكل هذا هو من أجل الإسلام، لأنّ الإمام كان حسّاساً بالنسبة إلى مصير الأخوة المسلمين وكذلك بالنسبة إلى الإرتقاء العلمي والعملي والبناء والإعمار في الدول الإسلامية.

كانت هذه هي الخطوط العريضة الرئيسية لخط الإمام الخميني رحمه الله وفيها يوجد: الإسلام والشعب وتقدّم البلاد ومحاربة الأعداء والإحساس بالمسؤولية إزاء الأمّة الإسلامية، فهذا هو خط الإمام ولقد كنّا ملتزمين بهذه القضايا في الماضي ولا زلنا ملتزمين وسنبقى ملتزمين بفضل الله عزوجل.

خلال هذه السنوات وبعد رحيل الإمام رحمه الله، تم إنجاز الأعمال والمشاريع الضخمة وتقديم الخدمات الكبيرة الهائلة من قبل الحكومة الحالية والحكومات السابقة والسلطة القضائية ومجلس الشورى الإسلامي والقوة المقنّنة، وتفاصيل هذه الإجراءات والخدمات كبيرة جداً وعظيمة للغاية بحيث لا يمكن ذكرها وسردها بالمجموع ـ خاصة السلطة التنفيذية التي تتحمّل أعباء ثقيلة ـ وهي أعمال متميّزة وكثيرة وبارزة في نفس الوقت وإذا ما نظر إليها الشخص الحرّ العادل النزيه، سيُشيد قطعاً بهذه الإنجازات والأعمال وإن أردت أن أفهرس الأعمال والإجراءات التي لا زالت موجودة في ذاكرتي الآن، فإنّها ستشكل قائمة طويلة، إنّ من واجب

الأخوة المسؤولين أن يقدّموا تقاريرهم للشعب ويشرحوا مشاريعهم وإنجازاتهم حتى يتعرّف أبناء الشعب على مساعيهم وزحماتهم؟

وقد حصل هذا كلّه، بفضل انتهاج خط الإمام رحمه الله، ولا ننسى أنّ الله عزوجل قد منَّ وتفضّل على هذه البلاد، إذ أنّ هذا الصرح الذي شيّده الإمام، بقي ثابتاً قوياً ـ ولله الحمد ـ وهو يتمتّع بالقواعد الراسخة والجذور المتأصّلة العميقة، ثم أنّ الآثار التي أتى بها الله عزوجل ومنحها لهذا الشعب، عظيمة جداً.

لقد منّ الله عزوجل، علينا بعودة خمسين ألف من أسرانا، من دون أن تحدث مشكلة؛ المعسكر الشيوعي ـ الذي كان مزاحماً ومعارضاً لإيران الإسلامية ـ قد انهار خلال هذه السنين، وكانت العناية الرّبانية مع شعبنا حيث تمكّن من كسب التوفيقات الكبيرة والإنجازات العظيمة في المجالات المختلفة، كالإنتخابات المتتالية والمنوّعة والتواجد المتميّزة والبارز لشعبنا في الساحة وخاصة هذه الإنتخابات الرئاسية، حيث شارك فيها أكثر من ٣٠ مليون شخصاً من أبناء الشعب، في هذه الإنتخابات التي أُجريت قبل سنتين من أجل انتخاب رئيس الجمهورية الإيرانية.[1]

(١) كلمة قائد الثورة الإسلامية المعظم في خطبة صلاة الجمعة بطهران، ١٤/٣/١٣٧٨هـ.ش(٣/٦/١٩٩٩م).

الفصل الثالث

نتائج وإنجازات حركة سماحة الإمام الخميني رحمه الله

ماذا فعل الإمام رحمه الله في إيران؟

لمّا بدأ تطبيق قانون (لجان الإيالات والولايات) في إيران، حدثت ضجّة كبيرة في كل أرجاء البلاد، حيث شارك علماء الدين في الموضوع بشكل واسع؛ وكذلك المراجع في مدينة قم وطهران والعلماء الأفاضل في المدن والمحافظات وجميع أئمة الجماعة تقريباً في كل إيران قد اشتركوا في هذه المعارضة العريضة ضد قضيّة اللجان بصورة قاطعة ولم يترك أحد الساحة ولم يعترض أحد على الموضوع الآنف الذكر.

هذه الحركة الجماعية الوحدوية من قبل علماء الدين، يعود مردّها إلى أسباب منها؛ أولاً: أنّ قضية (لجان الإيالات والولايات) لم تكن معقّدة، بل كانت واضحة ومكشوفة للغاية، حيث أنّ مجلس الوزراء قد صادق على هذه اللائحة التي جاء فيها ما يلي: تبديل عبارة (أقسمُ بالقرآن المجيد) إلى (أقسم بالكتاب المقدس الذي أؤمن به)، وكذلك حذفوا شرط الإسلام من الناخب والمنتخب وإضافة إلى هذا كله، قرّروا منح حق التصويت(حسب زعمهم) للنساء. فهذه كانت قضية يفهمها الجميع

وهي معارضة شرط الإسلام في الناخب والمنتخب ولم يكن فيها أي تشويش أو ضبابية تجعل الناس لا يفهمونها.

بطبيعة الحال، إنّ النظام الملكي الفاسد البائد، كان يقوم بأعمال كثيرة مخالفة للإسلام، لكنّهم لم يسبق لهم بأن يصادقوا على لائحة قانونية كهذه بشكل صريح وعلني، ثم يقوموا بتطبيقها وإجراءها على أرض الواقع، ومن هنا نرى العلماء قد تدخلوا في الموضوع بصورة شاملة وجماعية، والسبب الآخر الذي أدّى إلى هذا الموقف الموحّد هو ارتباط وانفعال النظام الحاكم آنذاك، ويمكن القول بأنّ الحكومة قد أُصيبت بالدوار والتخبّط إزاء موقف العلماء، لأنّها لم تكن مستعدة لمواجهة مثل هذه المواقف والحركات ولهذا لم تقدر الحكومة على إبراز ردّ فعل صارم، سريع ومبرمج.

طبعاً كانت هناك بعض الحركات وممارسة بعض العنف، لكنّها لم تكن بالشكل الذي يدفع المتواجدين في الساحة على الإنسحاب والتراجع، وقد كان ذلك سبباً لدخول العلماء إلى ميدان الكفاح والمعارضة دونما خوف أو خشية من هذا أو ذاك وعلى هذا الأساس نرى أن ضغط الحكومة لما ازداد على المعارضين، قفلت تلك الحركة الشاملة بالضعف والتراجع وحتى أنّ البعض قد ترك الساحة.

كانت شخصية الإمام الخميني رحمه الله الراحل ورسائله وتوجيهاته وكلماته هو الدافع الرئيسي والسبب الحقيقي لهذه الحركة الشاملة، فالإمام رحمه الله قد قام بعدة إجراءات بصدد قضية اللجان، على النحو التالي:

١ـ إصدار بيان، حيث أنّ بياناته كانت تكشف عن الكثير من القضايا وتجعل الحقائق واضحة لا لبس فيها، إلى درجة أن الشخص الذي كان يقرأ البيان، يشعر بالخطر والأزمة المخيّمة على الساحة.

إضافة إلى هذا، فإنّ بيانات الإمام رحمه الله كانت تتمتّع بموقف علمائي وفقهي قوي ورصين وكانت تعمل على تجديد الملحمة العلمية والفقهية والحكومية الشرعية في أذهان الناس، فمثلاً خاطب سماحة الإمام رئيس الوزراء آنذاك، حيث أنّه قال حول هذه اللائحة: إنّ لائحة (لجان الإيالات والولايات)، لم تعارض القضايا الشرعية، لهذا ردّ عليه الإمام من موقف قوي ودامغ قائلاً له: (إن لم تعرف أنت، أنّ هذه اللائحة تعارض الشرع الإسلامي، فعليك أن تأتي إلى قم وتسأل المتخصصين عن ذلك، حتى يبيّنوا لك بأنّ اللائحة تعارض الشرع أم لا؟!).

فهذه الحالة وهذا الموقف القوي الراقي لسماحة الإمام رحمه الله في بياناته الصادرة عنه وخطاباته التي كان يُلقيها، قد أدى إلى إحياء الشعور

بالمحورية والمسؤولية حول مسألة الأمر والنهي الإسلامي والمذهبي في قلوب الشعب ومن ثم بعث الحماس والإهتياج في نفوسهم.

٢ـ خطابات وبيانات سماحة الإمام﵀ في بداية دروسه الحوزوية أو في المناسبات التي كانت تحدث، كان لها الأثر البالغ والدور الرئيسي في تنشيط رجال الدين وتحريكهم، لأنّ الذين كانوا يلتقطون منه الكلام مباشرة ـ وأكثرهم من الطلاب الشباب الأفاضل ـ كانوا يتأثّرون ببياناته وخطاباته ومن ثم كانوا ينقلون توجيهات الإمام﵀ إلى الشعب والعلماء في المدن والمحافظات.

٣ـ كان سماحة الإمام﵀ ـ إلى جانب البيانات والخطابات ـ يبعث برسائل كثيرة إلى هنا وهناك وأنا بالذات لا أنسى الحدث الذي حصل في عام ١٣٤١هـ.ش(١٩٦٢م)، بشأن قضية اللجان، حيث أنّ المرحوم (الحاج سيد مصطفى)؛ النجل الأكبر للإمام قال لنا في حينها بأنّ الإمام﵀ لم ينم طوال الليل سوى ساعتين أو ثلاث ساعات، على أكثر تقدير وبقية الليل كان منشغلاً بكتابة الرسائل إلى علماء المدن والمحافظات في إيران وبإمكاني أن أقول بأنّ الإمام﵀ قد باشر بكتابة المئات من هذه الرسائل إلى جميع أرجاء إيران وكان يعلن فيها عن الأخطار المحدّقة بالعالم الإسلامي والدور الإسرائيلي والأمريكي الخطير، بهدف تصفية الإسلام وشطبه من الساحة.

بعض هذه الرسائل التي كان يبعث بها الإمام رحمه الله إلى العلماء، كانت تُطبع وتُنشر في بعض الأحيان، حيث كان لها التأثير البالغ وتؤدي إلى ضجة وصخب كبير، وإحدى الرسائل ـ المتعلّقة بقضية لائحة اللجان ـ كما أتذكر ـ كانت موجهة إلى السيد (فلسفي)[1] وقد قام بقراءة الرسالة المذكورة وهو يرتقي المنبر في مسجد (آرك)[2] بطهران وأنا قد كنت متواجداً في ذلك المجلس آنذاك ولما قال السيد فلسفي: (رسالة آية الله الخميني)، ساد صمت مشحون بالشوق والرغبة إلى استماع الرسالة، حيث أنّ الإمام رحمه الله قد جاء بسورة الفيل كاملة في أول الرسالة، ولما قرأ السيد فلسفي هذه السورة اهتاج الناس إلى درجة أنّهم كانوا يكرّرون آخر الآيات بصوت واحد وبشكل منظم، فمثلاً لما كان يقرأ السيد فلسفي: (.. بأصحاب الفيل)، (.. في تضليل)، كان الناس يكرّرون بصوت واحد: (فيل) و(تضليل).

هذه الرسالة التي كتبها سماحة الإمام رحمه الله إلى السيد فلسفي والتي قُرأت من على منبر مسجد(أرك)، أوجدت حالة حماسية بين الحاضرين وتحوّلت إلى نشيد عام.

---

(١) أحد رجال الدين الأفاضل وقد قام بخدمات كثيرة من تأليف كتب و.. خاصة وأنه كان خطيباً شهيراً أيضاً.

(٢) مسجد ناشط في طهران، قبل وبعد الثورة الإسلامية، قرب سوق طهران الكبير.

٤ـ إضافة إلى هذا كله، فإنّ الإمام﵀ كان يبعث بالأشخاص إلى بعض المدن والمحافظات والمراكز والشخصيات، كرسل خاصة، يُعلِمهم ببعض الأحداث والمواضيع المهمّة. أتذكر بأنّ الإمام ﵀ قد أرسلني مرة إلى مدينة (مشهد) حتى أتحدث مع الآيات العظام: (الميلاني) و(القمي)؛ وكانت برفقتي رسالتين كانت لهما ورسالة أخرى كانت لعلماء الدين في مشهد، أي أنّ الرسائل كانت للقادة الكبار في المدينة، ومرة أخرى كلّف الإمام﵀ السيد (هاشمي رفسنجاني) لإيصال رسالة إلى آية الله(الميلاني) وكان يبعث بأشخاص آخرين إلى علماء طهران وشيراز.

فأنا لمّا أتأمل وألاحظ تلك الفترة من النهضة، أرى أنّ دور سماحة الإمام ـ بصورة عامة ـ كان فاعلاً، خارقاً وحيوياً في تعبئة العلماء من رجال الدين، وكذلك فإنّ الإمام﵀ كان له الدور الأمثل في تحفيز وتحريك المراجع العظام في قم، إذ أنّ بعض المراجع والعلماء لم يكونوا يصدقوا ـ في البداية ـ بأنّ الإسلام يتعرّض إلى خطر، ثم أنّهم لا يصدّقون بقوة وإمكانية المعارضة والقدرة على القيام بحركة خاصة.

لقد أخذ الإمام﵀ ـ في تلك الفترة ـ على عاتقه مسؤوليتين: المسؤولية الأولى، هي تفهيم هذا الموضوع للعلماء والمراجع و.. بأنّ الإسلام في خطر، ولا بد أن أذكر هنا بأنّ تفهيم هذه النقطة إلى الآيات

العظام والسادة المكرّمين من الفقهاء والمشرّعين الذين كانوا يفتقدون النظرة السياسية اللازمة ولم يكونوا على اطلاع بالقضايا السياسية، ولهذا فطرح الموضوع كان أمراً صعباً للغاية. والمسؤولية الثانية هي تفهيم هذا الموضوع بأنّ رجال الدين و.. بإمكانهم أن يتصدّوا لمثل هذه المؤامرات؛ لأنّ مشكلة باقي المراجع هي أنّهم لا يعرفون نسبة القوة الهائلة التي يتمتّعون بها، ولهذا قد أكون مسموحاً بأن أقول إنّ(آية الله العظمى البروجردي) لم يكتشف قدراته وإمكاناته وكان لا يعلم بأنّه إن ألمح إلى موضوع، فإنّ الناس سيحضرون في الساحة فوراً.

إنّ من إحدى الفنون الجميلة والكبيرة للإمام الخميني قدس سره، هو اكتشاف قدرة وقوة رجال الدين والمرجعية، حيث أنّ الإمام رحمه الله تمكّن من توظيف هذه الطاقة الهائلة بشكل هائل وبديع، ومن هنا بإمكاننا أن نقول بأنّ شخصية الإمام قدس سره قد ظهرت ولاحت لنا في أوّل مواجهة حصلت حول قضية اللجان، ففي خضم الكفاح، شعرنا بأنّ هذه الشخصية ممتازة ومتميّزة للغاية، طبعاً نحن كنّا من محبي الإمام رحمه الله وتلامذته، فإن تقرّر أن يقسموا الطلبة إلى محبيهم من المراجع، فنحن كنّا في جبهة أنصار السيد الخميني رحمه الله وقد كان هذا الأمر واضحاً إلى درجة أنّ الجميع كان يعلم هذا وكما تقول الزيارة الجامعة: (ومعروفين بتصديقنا إياكم)، في حين أنّنا ـ قبل قضية (لجان الإيالات والولايات) ـ كانت نظرتنا بالنسبة إلى

السيد الخميني تنحصر في كونه رجلاً عالماً، كبيراً وجديراً للمرجعية، ملتزم بالشرع والدين، صاحب ورع وتقوى وهو من رجال العرفان والزهد، هكذا كنّا نعرفه، لكنّنا شاهدناه في تلك القضايا بأنّه أولاً: رجل كاتب، يكتب برصانة وحلاوة فائقة وبشكل سهل ومستساغ يفهمه الجميع.

ثانياً: أنّه رجل سياسي مضطلع بالقضايا السياسية تماماً.

ثالثاً: أنّه رجل شجاع وباسل، حيث أنّنا لم نتعرف على هذا الجانب من شخصيته سابقاً ولم ندري بأنّه جريء ومقدام إلى هذا المستوى وبمقدوره أن يتصدّى للأعداء، لكنّنا قد اكتشفنا هذه المواصفات الجديدة في شخصيته الكريمة فيما بعد.

شخصية الإمام الخميني قدس سره

وبعد أن اكتشفنا تلك الشخصية الباهرة لسماحة الإمام رحمه الله في مسار قضية (لجان الإيالات والولايات) وفي خضم المواجهات المستمرة مع نظام الشاه، ازداد حبّنا وشغفنا بهذا الرمز الخالد، وأنا أيضاً كنت قد دخلت ساحة الكفاح ونهضة الإمام منذ انطلاقتها الأولى ولم أكسب هذا التوفيق إلاّ بفضل من الله عزوجل، إذ كان حضوري في هذا المعترك

بأشكال بسيطة وأولية كاستنساخ وتصوير البيانات الصادرة عن سماحة الإمام والقيام بتسليمها للآخرين، أو كنّا نتباحث ونتباحث ونتجادل مع هذا وذاك؛ من الذين لم يتعرّفوا تماماً على محتوى النهضة الإسلامية، أو أنّنا كنّا نأتي بالبيانات من قم إلى طهران وكذلك من طهران إلى قم ومن ثم كنّا نسلّمها لأشخاص وشخصيات كثيرة.

في بداية النهضة، لم تكن هناك اجتماعات وجلسات، لكنّها بدأت تنعقد شيئاً فشيئاً من قبل مدرّسي وأساتذة الحوزة العلمية، وأنا أيضاً كنت أحضر في مثل هذه الجلسات، وبالفعل حضرتُ اجتماعاً انعقد في منزل(الشيخ مشكيني)،[1] وهكذا في بداية العمل كنّا نتناقش ونتباحث مع بعض الأصدقاء والإخوة، حيث كانت الأوضاع، في البداية، إعتيادية ولم تحدث مصاعب أو عراقيل ولم يشعر أحد بالخوف والخشية، وعندما كان سماحة الإمام رحمه الله يعلن من على المنبر ويقول: (أننا سندعو الناس(لتحديد الموقف وتشخيص الواجب) إلى صحراء قم الحارة المحرقة)، كان الهياج والحماس يستولي علينا، ثم لم نكن نتوقع حدوث مصاعب ومتاعب في طريق النهضة والكفاح.

أتذكّر يوماً، كنت جالساً في مجلس درس الإمام رحمه الله وكان بعض أصحاب المحلات من الكسبة وأصحاب المهن، قد أغلقوا محالهم

(١) من كبار مدرسي الحوزة العلمية في قم وإمام جمعتها.

وتواجدوا في محل درس الإمام، قائلين: (بما أنّ الحكومة لا تستجيب لمطالب العلماء فقد قمنا بإغلاق محالنا اليوم وأنتم أيضاً من الأمثل ألاّ تباشروا الدرس في الحوزة العلمية، حتى تتضح النتيجة للناس)، فالناس وعلماء الدين كانوا قلقين وحذرين من الأوضاع الجارية وفي النهاية وبعد شهرين من مصادقة مجلس الوزراء على اللائحة، أعلنت نفس الحكومة بأنّ اللائحة قد أُلغيت وأبطل مفعولها وقد كتبت الصحف الخبر نقلاً عن معلنيها وفرح الجميع من سماع هذا النبأ السار.

فكنّا نتبادل التهاني والتبريكات مع شباب مدينة (قم)، عند الإلتقاء بهم في الشوارع ولم تكن هناك أية مشاكل أو عراقيل، لكنّ الشاه وعلى حين غرّة، عرض المواد الستة في لائحة اللجان، على الشعب للإستفتاء العام.

ولمّا طرح موضوع الإستفتاء من قبل الشاه، كنتُ في حينها، في مدينة (مشهد)، لأنّ شهر رمضان المبارك كان على الأبواب ولم يجدر بي أن أكون على سفر، لكن آية الميلاني قد بادر ـ في تلك الأثناء ـ بإرسال رسالة إلى الإمام الخميني في قم، وقد أحيلت الرسالة إليَّ، فتوجّهتُ إلى مدينة قم، برفقة أخي(السيد محمد) و(الشيخ علي) وما أن وصلنا إلى طهران، في اليوم السادس من شهر بهمن(٢٥ يونيو، يوم الإستفتاء العام)، وجدنا العاصمة خالية من السكّان والمارة تقريباً، حيث كان ألقى الشاه كلمة يوم الخامس من بهمن(يوم أمسها) في مدينة قم، وكانت طهران في

ذلك اليوم العبوس قاتمة ومظلمة وكنت أرى أشخاص قليلين، منتشرين هنا وهناك، فكانوا يذهبوا باتجاه صناديق الإقتراع للإدلاء بأصواتهم ولا أدري تماماً هل كان هؤلاء من أنصار وجلاوزة الشاه أم من الشعب؟ لكنّنا ذهبنا مباشرة ومن دون تأخير إلى موقف السيارات في منطقة(شمس العمارة) واتجهنا صوب قم، وبعد وصولنا إلى قم، ذهبنا رأساً إلى بيت سماحة الإمام رحمه الله، حيث لاحظنا علامات التوتر والإرعاب من قبل النظام هناك، وخلال تلك الأيام القليلة، أصدر سماحة الإمام بيانات مقتضبة حول الأوضاع الجارية آنذاك.

لكن الشعب الإيراني لم يحفل بالإستفتاء، حيث أنّ الدوائر الإنتخابية وصناديق الإقتراع كانت تشير إلى ذلك ولم تكن محسوسة في المدن. وفي مشهد أيضاً لم نلاحظ أي استقبال على الإطلاق، وحتى أنّ المواطنين في طهران قد قاموا بمسيرات وتظاهرات إحتجاجية ضد قضية الإستفتاء على تلك المواد الستة المقترحة من قبل الشاه، حيث شارك (آية الله الخوانساري ـ خانساري) في مظاهرات طهران، في حين أنّ قوات الأمن والشرطة قد هاجمت المتظاهرين في سوق طهران الكبير وإثر هذا الهجوم، أُصيب (آية الله الخوانساري) بضربات وجهت إليه من قبل أزلام الشاه، ممّا أدّى ذلك إلى تجديد حالة النشاط والحماس في قم، فبادر أهالي قم أيضاً بتشكيل وتسيير المظاهرات وكانوا يطلقون فيها

الهتافات والشعارات وكان شعارهم آنذاك: (لا للإستفتاء الملكي، نعم للقرآن)

فهاجمت الشرطة المواطنين، فاضطّر الناس إلى الإشتباك مع قوات الشرطة وضربهم، حيث كان شخص يدعى(أبولي) في قم (حيث كان قوياً وضخماً) ويقال أنّه قد ضرب الكثير من الشرطة لوحده.

تكرّرت مثل هذه التظاهرات في قم وطهران، حيث أنّ المواطنين كانوا يلاحظون بأن الآن بإمكانهم الحركة والإحتجاج ولهذا كانوا يسيّرون التظاهرات الإحتجاجية ويقذفون الحكومة بألذع الإنتقادات وكان الدافع الديني هنا مؤثّراً جداً ومن هنا بدأ تواجد وحضور قطاعات الشعب المختلفة في ساحات الصراع مع نظام الشاه.

الإعلان عن الحداد العام

تزامناً مع الإقتراب من شهر فروردين (فصل الربيع ـ مارس) عام ١٣٤٢ هـ.ش(١٩٦٣م) حدثت واقعة جديدة، حيث أعلن الإمام الخميني قدس سره بأنّ لا عيد لنا في هذه السنة، في الوقت الذي كان يضرب النظام فيه علماء الدين ويهاجم الشعب ويخلّف الكوارث والويلات ويقوم بانتهاك أحكام الإسلام وتهميشها، فأي عيد يبقى لنا؟ لا عيد لنا..

لقد تم توزيع بيان الإمام ﷺ بشكل واسع جداً، إضافة إلى هذا البيان، بعث الإمام ﷺ برسائل إلى علماء الدين في المدن والمحافظات وأئمة الجماعات، يحثّهم فيها بأن يعلنوا الحداد العام في شهر فروردين (أعياد النيروز) ويخبروا الناس بأنّ (لا عيد لدينا هذه السنة في فروردين).

وكما أسلفتُ سابقاً، بأنّ الإمام ﷺ كان لا ينام في تلك الأيام سوى ساعتين تقريباً حيث أنّ سماحته كان منشغلاً طوال الليل بكتابة هذه الرسائل إلى علماء البلاد في المدن والمحافظات.

إثر الإعلان عن الحداد العام من قبل سماحة الإمام ﷺ، نحن الطلاّب في الحوزة، قرّرنا دعوة الطلبة في الحوزة لارتداء الملابس السوداء، ولهذا انصرفنا لتهيئة القميص الأسود، أنا بالذات قد هيأتُ لنفسي قميصاً أسود ولم تكن لدينا النقود لخياطة قباء سوداء، فاضطررت واكتفيت في ذلك اليوم بشراء القميص الأسود.

سرعان ما أصبح تهيئة وتحضير الثوب الأسود بين الطلاب أمراً رائجاً، فمنذ بداية اليوم الأوّل من أعياد النيروز أو اليوم الذي يسبقه، كنت أرى رجال الدين وطلاب الحوزة وهم يرتدون القميص الأسود.

في تلك الفترة، لم نعرف معنى السكوت والسكون، بل كنّا في انفعال وحماس شديد، وكنّا لا نلتفت إلى أنفسنا متى تناولنا وجبة الغداء أو

العشاء، لأنّنا كنّا في حركة وفعالية دائمة، حتى انتهينا اليوم إلى اليوم الأول من فروردين، حيث الزوار كانوا يقدمون إلى قم للزيارة من جميع أرجاء البلاد وخاصة طهران وكان مجهودنا الكبير يتركز على توظيف الظروف الراهنة في أعلى مستوى ممكن لصالح النهضة، ولهذا قمنا بتحضير إعلانات ومنشورات كثيرة تؤكد على أنّ (لا عيد عندنا اليوم)، استنسخنا منها أعداداً كثيرة وقمنا بنشرها وتوزيعها بين الزوّار المجتمعين في الصحن الشريف لمرقد السيدة (فاطمة بنت موسى بن جعفر؛ المعصومة عليهما السلام في قم). وهكذا قضينا اليوم الأول من فروردين بتوزيع البيانات والإعلانات والمنشورات حول(الحداد العام).

وفي اليوم الثاني لفروردين، أقام سماحة الإمام الخميني رحمه الله أمام منزله وكذلك بعض العلماء في المساجد والمدارس العلمية، مراسم عزاء ومجالس تأبين بمناسبة استشهاد الإمام الصادق عليه السلام، والجدير بالذكر أنّ نفس القوات الخاصة (الكوماندوس) للشاه الذين داهموا المدرسة الفيضية وقاموا بتخريب المبنى وتقتيل الأفراد هناك، في اليوم الثاني من فروردين، هم الذين ذهبوا إلى منزل الإمام ـ في صباح ذلك اليوم الأسود ـ لإيجاد الشغب والفوضى فيه، لكنّهم لم يفلحوا.. لأنّ(الشيخ الخلخالي) أخذ الميكروفون وشرع بالصراخ والصياح وانتشر أصوات الضجيج والجلبة عن طريق مكبّرات الصوت وقد أدّى ذلك إلى أن يفهم جلاوزة

الشاه(الكوماندوس) بأنّ المكان(منزل الإمام) لم يكن مناسباً لإيجاد الصخب والفوضى تحت ظل تلك الظروف.

عندما هاجمت رجال الكوماندوس، المدرسة الفيضية، كنّا متّجهين صوب المدرسة لنشارك في مجلس العزاء الذي أقامه آية الله الگلبايگاني، وفي نهاية الزقاق المنتهي إلى الحرم الشريف(مرقد السيدة فاطمة المعصومة، سلام الله عليها)، فرأيت بعض طلاب الحوزة وهم يهرعون بسرعة والبعض الآخر في حالة مزرية، لا عمامة في رؤوسهم ولا عباءة على أكتافهم ولا نعلين في أقدامهم وقد قالوا لنا بأن (لا تذهبوا لأنّ الوضع خطير جداً)، لكنّنا ـ في تلك الحالة ـ لم نفهم ماذا يقصدون بـ(الوضع الخطير) ولماذا هو خطير؟ إلى أن التقينا بعد مدة وجيزة بأحد المعارف، فأخبرنا بأنّ جلاوزة الشاه قد هاجموا المدرسة الفيضية وانهالوا على الطلاب يضربونهم ويقتلونهم، عندها قررنا أن نذهب إلى منزل سماحة الإمام الخميني رحمه الله، لهذا حاولنا الخروج من الزقاق المؤدّي إلى الحرم، لنمر من (شارع إرم) إلى بيت الإمام، وما أن أخذنا عبور الشارع، لاحظنا أنّه خالي من المارّة والسيارات ولم يكن هناك أحد سوى جماعة صغيرة من الناس وقفوا مذعورين في بداية (زقاق أرك) يتفرّجون على المشهد.

ونحن أيضاً قد أسرعنا إلى منزل سماحة الإمام رحمه الله، وقد رأينا عدد من الطلاب الرياضيين الأقوياء واقفين أمام بوابة منزل الإمام، حيث كانت الباب الخارجية للمنزل مفتوحة على مصراعيها وسماحة الإمام كان يتهيأ لصلاة المغرب.. جئت إلى البوابة الخارجية وتحدّثت مع عدد من الاخوة حول كيفية الحفاظ على منزل الإمام رحمه الله؟ وكيف نتخندق حول أطراف المنزل وذلك للقيام بمواجهة قوات الشاه، فيما لو هاجمت بيت الإمام. فأوّل شيء خطر على بالي هو أن نغلق باب البيت، إلاّ أنّ الأخوة هناك قالوا: (الإمام يقول: لا يحق لأحد أن يغلق الباب، لقد أغلق بعض الأخوة الباب عند العصر، فجاء الإمام بنفسه إلى هنا وقال لهم إن أغلقتم الباب، فسأخرج أنا من البيت ومن أجل ألاّ يخرج الإمام رحمه الله من المنزل، تركوا الباب مفتوحاً)، فطلبتُ من الإخوة أن يحضروا بعض الأعواد الخشبية التي تشبه الهراوات، لنواجه بها رجال الشاه فيما لو هاجمونا.

كلام الإمام الخميني رحمه الله وهبَ الحياة للجميع

في هذه الأثناء، انتهى الإمام من صلاته وذهب صوب الغرفة، وأنا أتذكر تلك الغرفة تماماً، نفس الغرفة التي كانت تؤدي إلى الغرفة الخارجية الأخرى، فعندما كنتَ تمرّ من الفناء الخارجي ثم تصعد السلّم، كانت الغرفة في الجهة اليسرى وقد عُلّق على جدارها مرآة، وكانت

خصيصة لسماحة الإمام ومتى ما يقوم من مكانه، كان يهندِم ويرتّب نفسه فيها وأنا قد أدركت هذا النظام والترتيب في أطفال الإمام منذ تلك الأيام الأوائل، ففي ذلك الوقت لم يكن طلاّب الحوزة يهتمّون بالمرآة وما شاكلها، وكذلك العلماء ورجال الدين المسنيّن لم يتعاطفوا مع مثل هذه الأمور أبداً، في حين أنّ الإمام الخميني رحمه الله كان يعتني بمظهره الخارجي وملابسه و..

وعلى أي حال، جلس سماحة الإمام في تلك الغرفة التي امتلأت واحتشدت بالطلاّب وأنا أيضاً كنت واقفاً عند الباب والبقية كانوا جالسين، في هذه الأثناء بدأ الإمام رحمه الله يتكلّم وكان كلامه يتمحور حول هذا الموضوع بأنّ: (هؤلاء سيندثرون وسيفشلون وأنتم ستبقون وتفوزون، لا تفزعوا ولا تخافوا! فنحن قد عانينا أسوأ من هذا في عهد أبيه(رضا خان)، مرّت علينا أيام، لم نكن نتمكّن فيها البقاء في المدينة وكنّا مجبرين على أن نخرج من المدينة في الصباح الباكر وعند المساء كنّا نعود إلى المدرسة، لأنّ رجال الحكومة كانوا يلقون القبض علينا، فيما لو شاهدونا في المدينة وكانوا يؤذوننا ويرفعون العمامات عن رؤوسنا).

فكل ما كان يشير إليه الإمام رحمه الله، كنّا نعانيه تماماً في تلك الأيام، وبعد مهاجمة المدرسة الفيضية، كان الوضع في المدينة متأزّماً إلى درجة أنّ الطلاّب لم يكن باستطاعتهم أن يتردّدوا في الشوارع بأمان واطمئنان.

وبينما كان سماحة الإمام يتحدّث إلينا، جاؤوا بغلام في الرابعة عشر أو الخامسة عشر من عمره وهو من طلاّب الحوزة حيث أسقطته القوات الخاصة لنظام الشاه من فوق السطح على أرض المدرسة، فتكسّرت وتضعضعت عظامه، وكانوا قد نزعوا عنه القباء والبسوه معطفاً وحينما أدخلوه على الإمام من باب الغرفة، أجهش أحد الحاضرين، بالبكاء وهتف عالياً: (سيدي! أسقطوا هذا الغلام من السطح على الأرض)، تأثّر الإمام بشدّة وأمر بأن يهيئوا له وسادة لينام عليها، ثم يخبروا له طبيباً، لكنّنا لم نطّلع ماذا حصل له بعد ذلك.

ولمّا أكمل سماحة الإمام الخميني رحمه الله كلامه، شعرتُ بقوة خارقة ومقاومة هائلة، إلى درجة لو هاجم فوج كامل من رجال الشرطة منزل الإمام، شعرتُ بأنّني على استعداد أن أتصدّى لهم وأقاومهم لوحدي، إذ أنّ خطاب الإمام قد أثّر فيّ إلى درجة كنت أشعر بأنّي لا أخاف من أي شيء أبداً ومستعد للدفاع عن البيت لوحدي، وكنت أقول لنفسي سأبقى الليلة هنا، لأنّ جلاوزة الشاه قد يهاجموا المنزل واستعد آخرون أيضاً للمبيت هناك في تلك الليلة، لكنّ الإمام أخبر الجميع فجأة بأنّ لا أحد يبقى هنا و(أنا لست راضياً عن بقاء أحد هنا)، فخرجنا من المكان ولم يبق في تلك الليلة أحد هناك.

لا بد لي أن أعترف هنا بأنّ واقعة(الفيضية) المؤلمة، أحدثت جوّاً من الرعب والخوف الكامل والشامل على الموقف كله، وسأذكر لكم مثالاً عن نفسي، إذ أنّي لم أكن شخصاً متخوفاً أو جباناً ولهذا كنت أحمل جميع مواصفات الطالب الحوزوي الثوري الأعزب البسيط الذي لم يكن يتوقع الشيء الكثير ولكن في نفس الوقت كان الجوّ مشحوناً بالفزع والهلع في ذلك اليوم المرعب، بحيث حرمني من إقامة الصلاة مع الجماعة وعن طريق هذا المثال الذي سردته لكم عن نفسي، بإمكانكم أن تتفهّموا الأوضاع والأحوال التي كانت تخيّم على مدينة قم آنذاك وتستشعروا ما كان يعانيه طلاب الحوزة من أزمات روحية ومواقف حرجة في تلك الآونة.

والجدير بالذكر هنا، هو أنّ حالة الخوف والهلع التي خيّمت على المشهد واستولت على الأفراد، تبدّلت إلى إحساس طافح بالشجاعة والجرأة والبسالة بعد الإستماع إلى خطاب سماحة الإمام التي استغرقت زهاء عشرين دقيقة أو نصف ساعة، حيث لم يعد يُخيفهم أو يُرعبهم شيء بعد أن تلقّوا تلك الكلمات المشجّعة والخطاب الحماسي من الإمام رحمه الله. ومع حدوث واقعة (الفيضية)، تعزّزت هذه الفكرة أولاً، فيما لو استمرت هذه النهضة وهذا الكفاح، كان هناك احتمال أن تفقد الحوزة شأنها ومكانتها وقوتها، تلك الحوزة التي تحمّل من أجلها آية الله المرحوم

الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري(رضوان الله تعالى عليه) في زمن حكومة (رضاخان البهلوي)، الكثير من الصعاب والظروف القاسية المتلاحقة وحتى أنّه لم يتعرّض للبهلوي كثيراً، حفاظاً وصيانة على تلك الحوزة الفتية، ولهذا فقد كان يعلم بأنّ كيان وأساس الحوزة قد يتزعزع ويتهدّم إثر تصرّف ساذج وموقف عرضي وهذا يعتبر خيانة في صميم أهداف وطموحات الشيخ عبد الكريم الحائري! في حين كانت هناك عوامل وأسباب قد أثّرت بشدّة في خرق وتحطيم جدار الخوف والرعب من جهة وإقصاء الأفكار المتحجّرة من جهة ثانية؛ منها: البيان الذي أصدره سماحة الإمام الخميني رحمه الله وكذلك الرسائل التي بعثها الإمام إلى علماء طهران وخاصة الرسالة التي بعثها السيد (الحاج علي أصغر الخويي) وعن طريقه إلى العلماء ورجال الدين في طهران، حيث أنّها كانت حادة ودامغة جداً، إلى درجة أنّها كانت تخيف وتهزّ البعض بعد قراءتها، وكذلك كانت تبعث على القوة والشهامة في البعض الآخر من الناس.

هذا وإنّ سماحة الإمام كان يشير في هذه الرسالة إلى واقعة (المدرسة الفيضية) والمأساة التي أوجدها جلاوزة الشاه هناك ويقول: (حب الشاه؛ تعني النهب والسلب، حب الشاه؛ تعني القتل والتنكيل، حب الشاه؛ تعني تهديم وتحطيم آثار الرسالة النبوية و..) طبعت هذه الرسالة فوراً ووزّعت

بصورة شاملة وواسعة في كل أرجاء البلاد وقد لاقت إقبالاً واستقبالاً جيداً بين الناس وتمكّنت من تحطيم وكسر جدار الخوف والرعب الحاكم آنذاك.

العامل الآخر الذي نسف أجواء الإختناق والذعر، هو تلك الفتوى التي أصدرها الإمام بهذا الصدد والتي كانت ترتكز على (التقية حرام وبيان الحقائق واجب، ولو بلغ ما بلغ) حيث أنّها أوجدت حركة مذهلة وصخب مليء بالضوضاء والجلبة وكان لهذه العبارة الأثر البالغ في تبديد أجواء الخوف والجبن وطرد الأفكار والعقائد الإستسلامية وتمكّنت أن تقف حائلاً ومانعاً أمام مجموعة ضخمة من الأعذار والحجج، وهكذا المخادعات والحيل، لسنوات متمادية.

الإجراء المهم الآخر الذي قام به سماحة الإمام رحمه الله هو الذهاب إلى المدرسة الفيضية، وخاصة في اليوم الثاني بعد تلك الكارثة الفجيعة، حيث أنّه أعلن في أول يوم بدء الدرس فيه، بعد واقعة(الفيضية) وذلك ضمن كلام قال فيه: بأنّي سأذهب إلى المدرسة الفيضية بعد الإنتهاء من هذه الكلمة لقراءة سورة الفاتحة على أرواح شهداء الفيضية، لم يكن أحد يفكّر بأن يقوم الإمام الخميني بمثل هذه الحركة ومن ثم يبادر بإحياء المدرسة الفيضية بعد تلك الحادثة المؤلمة.

في ذلك اليوم، واكبنا الإمام رحمه الله ودخلنا معه المدرسة، ثم توجّهنا نحو القسم الأيسر من الفناء وقد جلس الإمام قرب الغرفة الأولى أو الثانية ـ لا أتذكر تماماً ـ فأحاطوه الطلاب وارتسمت إمارات الحزن والكآبة على وجه الإمام رحمه الله، فكان مغموماً جداً، أقيمت مراسم العزاء والتأبين، فقام أحد السادة في المجلس، بذكر مصيبة الإمام الحسين عليه السلام وبعد الإنتهاء من مراسم العزاء، خرج الإمام من المدرسة، فهذه الحركة وهذا الإجراء كان له تأثير قوي في إزالة الخوف والرعب لدى طلاّب الحوزة في قم، إذ أنّ الطلاّب عادوا مرة أخرى إلى المدرسة وعادت المدرسة ثانية إلى مركزيتها الأولى، بل وأمست (ملتقى الأحباب).

الإجراء الآخر الذي اُتخِذَ وكان رأس خيطه بيد الإمام رحمه الله هو إقامة مجالس العزاء والتأبين على أرواح شهداء المدرسة الفيضية، فمن الشهداء المعروفين والبارزين في تلك الواقعة، يمكن أن نذكر اسم (السيد يونس الرود باري).

وهناك عمل مهم آخر قام به الإمام رحمه الله وهو توظيف كارثة (الفيضية) الفجيعة لتوسيع نطاق الكفاح إلى جميع أرجاء إيران، حيث أنّ الحادثة وقعت في شهر شوال وحتى شهر محرّم، كانت هناك فترة تصل إلى شهرين وخمسة أيام كان الإمام رحمه الله يؤمن بشهر محرم وعاشوراء إيماناً

عجيباً ـ كما تبين ذلك أثناء فترة الكفاح ضد الشاه ـ وكان يعتبر شهر محرم، شهر انتصار الدم على السيف حقاً؛ ولهذا استهدف هذا الشهر منذ البداية الأولى؛ أي أنّ الإمام قد قرّر فور حادثة الفيضية أن يستفيد ويستثمر رجال الدين شهر محرم الحرام لصالح هذه الواقعة الموجعة والبرنامج الذي رسمه الإمام رحمه الله في شهر محرم من تلك السنة وأقدم على تنفيذه، لم يكن وليد الساعة أو بشكل مفاجئ بل كان برنامجاً منسقاً قد فكّر فيه وخطط له أكثر من شهرين.

وما إن اقتربنا من شهر محرم، قام الإمام برسم برنامج عمل للمدن والمحافظات وكان البرنامج يرتكز على أن يبعث بطلاب الحوزة وفضلائها إلى جميع أرجاء البلاد وقد طلب منهم ومن جميع الخطباء في تلك المدن أن يخصّصوا العشرة الأولى من شهر محرم الحرام، خاصة اليوم السابع منه حتى نهاية يوم عاشوراء بالإعلان عن كارثة الفيضية والمصائب والجرائم التي حدثت في قم ومن اليوم التاسع طلب من هيئات ومواكب العزاء والجماعات اللطامة أن يفعلوا ذلك أيضاً ويشرحوا في أشعارهم الحزينة ونوحاتهم المؤلمة ما جرى على المدرسة الفيضية حتى يفهم جميع الشعب الإيراني بالذي حصل في واقعة المدرسة الفيضية الفجيعة.

في الحقيقة، لمّا يتأمل الإنسان في الأمر ملياً يرى بأنّ الطريقة التي انتهجها سماحة الإمام﵀ لإخبار الناس ـ في كل أرجاء إيران ـ بالحادث الأليم الذي وقع في المدرسة الفيضية، ليدخلهم إلى صميم المواجهة ومسرح الأحداث ومن ثم تثور ثائرتهم، لهي الطريقة الفضلى والمنهج الأمثل الذي تم رسمه والتخطيط له من قبل الإمام﵀، وأنا بالذات، كنت من ضمن الطلاّب الذين أرسلهم سماحة الإمام ﵀ بمناسبة شهر محرم إلى المدن والمحافظات الإيرانية وشاهدتُ تأثير هذا الإيفاد أيضاً بأم عيني، حيث طلب مني الإمام أن أذهب إلى مدينة مشهد، لآخذ معي ثلاثة رسائل: واحدة إلى آية الله الميلاني والأخرى لآية الله القمي والثالثة إلى العلماء والفضلاء في مدينة مشهد.

الرسالة الموجّهة إلى علماء الدين في مشهد، كانت تؤكد على الإستعداد للكفاح ضد الصهيونية، إذ أنّها في طريقها لتستولي على أوضاع البلاد والواقع أنّ إسرائيل قد سيطرت على جميع الشؤون في إيران، فالشؤون الإقتصادية وسياسة البلاد في قبضتها وتحت تصرفها وكذلك رسالتين إلى الآيات العظام الميلاني والقمي، وقد طلب فيهما أن يطالبوا من الخطباء بذكر مصيبة الفيضية من على منابرهم من اليوم السابع لمحرم وكذلك من اليوم التاسع يتم تنفيذ نفس البرنامج من قبل مواكب العزاء اللطامة والهيئات الحسينية.

لقد أوصلت الرسالة الأولى إلى عدد من علماء مشهد، والشخص الوحيد الذي استلم الرسالة بجدية وفهمها جيداً؛ هو المرحوم (آية الله الشيخ مجتبى القزويني)، لأنّه كان رجل كفاح ونضال وكان يحب سماحة الإمام رحمه الله كثيراً.

الرسالة الثانية للإمام أيضاً، أوصلتها إلى الآيات العظام: الميلاني والقمي، فكانت وجهة نظر السيد الميلاني هي أن تقام مراسم العزاء على روح شهداء الفيضية من اليوم التاسع ، لكنّي قلت له: اليوم السابع أفضل، لأنّ اليوم التاسع يقتصر عادة على المواكب "اللطامة" و"ضاربي الزنجيل" وقلّما ترى الناس يجتمعون في المجالس الخطابية والمنابر الحسينية ولهذا فعلى الخطباء أن يهيئوا الناس قبل ذلك بأيام. أما آية الله القمي فقد وافق على مشروع الإمام وأعلن عن استعداده التام ومن هذا المنطلق تمكّن سماحة الإمام رحمه الله أن يستفيد من شهر محرم في تلك السنة لتوعية الشعب الإيراني وإثارتهم ضد الحكومة والنظام وتوسيع نطاق النهضة والكفاح، أفضل استفادة وجعل من كارثة الفيضية مستمسكاً له ليصعد من اهتياج وثورة الناس الهائلة والمتزايدة لدى قطاعات الشعب المختلفة في اليوم الخامس عشر من خرداد سنة ١٣٤٢هـ.ش(٥ حزيران / ١٩٦٣م).

الإمام ﷺ وبُعد النظر والرؤية المستقبلية

بعد أن أوصلت رسائل سماحة الإمام إلى السادة في مشهد، اتجهت صوب مدينة (بيرجند) حتى أكون في العشرة الأولى من محرم هناك فأقوم بواجبي من على المنبر، صمّمت أن أؤدي رسالتي في اليوم السابع من محرم، خلال اجتماع كبير وتجمّع رائع. جاء اليوم الموعود وكان عصر يوم الجمعة، حيث اعتلى المنبر قبلي، شخص آخر وطال كلامه، لهذا عندما بدأت أنا بالكلام، لم يبق لي من الوقت حتى صلاة المغرب سوى عشرين دقيقة تقريباً ومن هذه الجهة كنتُ مستاءً وغاضباً جداً وفي نفسي كانت ثورة عارمة تفور وتمور إثر عدم وجود الوقت الكافي لإلقاء الحديث.

على أي حال، صعدت المنبر ومن غير مقدمة، بدأت بالكلام وشرعت بقراءة الخطبة المعتادة بصورة ملخّصة جداً، ثم تكلّمت بعدها حول استيلاء الدول الغربية على بلادنا بصوت مرتفع ثم دفعتُ بالموضوع إلى كارثة الفيضية وخاطبتُ الحاضرين قائلاً: نفس المخطط والتآمر قد نفذ لإمحاء الإسلام حيث انتهى الأمر إلى كارثة الفيضية المفجعة، حيث وصلت الحالة إلى درجة أنّهم داهموا الحوزة بشراسة وأقاموا بعدوان سافر على المدرسة الفيضية وبيوتات الإمام الصادق عليه السلام وقد قامت قوات

الكوماندوس بأعمال مخزية وشنيعة يندى لها الجبين ـ في يوم مقدّس، ألا وهو يوم استشهاد الإمام الصادق عليه السلام ـ لقد ضربت وجرحت قوات الشاه الكثير من طلاب المدرسة وأشعلوا النار في عمائمهم وأحرقوا القرآئين وأغاروا على ما كان يمتلكه الطلاب من أموال متواضعة وأشياء بسيطة.

لقد نقلتُ للناس المشهد الذي رأيته وسمعتُ عنه وعلى حين غرّة بدأ الناس يجهشون بالبكاء ويضجّون بالصراخ والعويل، فتعالى النحيب والبكاء أكثر فأكثر، إلى درجة أنّي لم ألاحظ خلال هذه السنوات التي كنتُ أعتلي فيها المنبر، بأن ينقلب الناس هكذا ويبكون ويئنّون بهذه الصورة، كانت ضجة كبيرة حقاً، وفي نهاية المنبر، ذكرت شيئاً من مصائب الحسين عليه السلام، لكنّي شاهدت أنّ كارثة الفيضية قد أثّرت فيهم إلى حد أنّهم لم يلتفتوا إلى مصاب سيد الشهداء عليه السلام في تلك اللحظات ومن هنا فهمت كم كانت فكرة الإمام الخميني رحمه الله عميقة وحكيمة وذات رؤية مستقبلية مدروسة، من البديهي أنّه لم يكن هناك عامل آخر كذكر(مصاب الفيضية)، في أجواء شهر محرّم الحرام، بإمكانه أن يؤثّر على الناس بهذا الشكل ويدفع بهم إلى الوعي واليقظة ويفضح النظام وينسفه.[1]

(١) نقلاً عن المجلة الشهرية، من منشورات حرس الثورة الإسلامية، العدد١٥ إلى ١٨.

وصفة الإمام الخميني رحمه الله للشعوب الإسلامية

منذ ذلك اليوم الذي ركب فيه الأوروبيون السفن والبواخر ووطئت أقدامهم أراضي بلاد منطقة آسيا وأفريقيا والشرق الأوسط وباقي الأمكنة الأخرى وقاموا بالإستيلاء والسيطرة على هذه المناطق، كانوا يخافون ويهابون من هكذا معنويات وروحيات بين المسلمين، ولأجل أن تكون بلاد المسلمين آمنة لهم، كان عليهم أن يقوموا بإجرائين: الأوّل أن يفصلوا المسلمين عن أحكام الإسلام، والثاني أن يحطّموا معنوياته ويستحقرونه، لهذا تلاحظون بأنّ جميع إستراتيجية أعداء الإسلام، خلال تصدّيهم للإسلام ـ حيث أنّ القرنين الماضيين انقضيا في ذروة الإصطدام بين الإسلام والغرب ـ كانت تتمحور في هاتين النقطتين: إبعاد المسلمين عن أحكام الإسلام وكذلك الإستهانة بالمسلمين وضرب معنوياتهم في الصميم، فماذا أصبحت النتيجة؟ كانت النتيجة أن أمست الدول الإسلامية كدول من الدرجة الثالثة في العالم، حتى لا يمكن أن نقول من الدرجة الثانية، وأينما كنت ستجد بلداً إسلامياً، إما تحت سيطرة أعداء الإسلام والقوى الأجنبية بصورة مباشرة وإمّا قد استولت عليه القوى الأجنبية؛ مثل العائلة الملكية المنحوسة في إيران (البهلوي) وبعض الدول الأخرى التي كانت تشبه إيران، فهذه هي أوضاع المسلمين في العالم.

جاء إمامنا العزيز إلى إيران وظلّ يؤكّد على هاتين النقطتين على وجه التحديد، وإذا ما ترون بأنّ أسم الإمام الخميني رحمه الله قد قطع العالم الإسلامي ـ من شرقه إلى غربه ـ بسرعة الإعصار الهائل، فهو يعود إلى هذه الأشياء، فلا يمكن التوصل إلى مثل هذه المنزلة والورود إلى قلوب الشعوب بالإعلام والضجيج فقط، ومن هنا نفهم كيف أنّ الناس في بعض الأماكن من العالم، كانوا لا يعرفون إسم إيران أبداً ولم يسمعوا بهذه البلاد بالمرّة، لكنّهم كانوا يعشقون شخصية الإمام ويكنّون له الحب والإحترام الكبير وكل ذلك جاء نتيجة التأكيد الصارم على هاتين النقطتين، فهذه هي السُنّة الإلهية وقاعدة الخليقة، حيث أنّ الإمام الخميني رحمه الله قد أيقظ ضمائر الشعوب، فشاهدوا بأمّ أعينهم بأنّ سبيل النجاة وطريق الخلاص متمثّل أمامهم والنموذج الحيّ والمثال الأمثل موجود، وهو الشعب الإيراني البطل.

دعا الإمام الكبير رحمه الله الشعب الإيراني إلى العودة نحو الإسلام وقال: تعالوا نعمل ونطبّق الإسلام، بكل ما في هذه الكلمة من معنى، لا أن نعمل بالإسلام في المساجد فقط وبشكل عبادات فردية، بل أن نعمل بالإسلام بشكل متكامل وشامل ونستلهم نظام الحياة من الإسلام، ومن هذا المنطلق بادر الإمام قدس سره بتشكيل وتأسيس الجمهورية الإسلامية، فهذه نقطة مهمّة ومصيرية، والى جانب هذا كله، عمل الإمام رحمه الله على إحياء وتنشيط

معنويات هذا الشعب وأقدم على تجديد بناء الأفكار والعقائد الإسلامية لدى الناس، فقد علّم وفهّم الإمام الشعب الإيراني بأنّه يمتلك القوة الهائلة والقدرة الكامنة وبعث برسالة واضحة إلى جميع الشعوب الإسلامية في العالم مخاطباً إيّاهم بأنّكم تتمتّعون بالقدرة الحقيقية وبإمكانكم أن ترغموا الأعداء على الإستسلام والهزيمة، فأينما طُبقت وصفة الإمام الراحل هذه وبأي قدر عمل بها، أتت أكلها.

ففي بلادنا إيران بالذات، إرتفع مستوى شأن الشعب الإيراني اليوم ـ بعد ذلك الضعف والتفكيك ـ إلى مكانة، يلعب فيها دور الفاعل في القضايا العالمية المهمّة، لأنّ إرادته الجبارة وعزمه الراسخ له التأثير البليغ في المعادلات الدولية وهذا ما أقرّه وصرّح به الأعداء أيضاً، "الفضل ما شهدت به الأعداء".

بالأمس كان المعسكر الشرقي والغربي واليوم جميع القوى المؤثرة في العالم قد تضامنت واتّحدت مع بعضها لتعصف وتنتهك حقوق الشعب الفلسطيني، في حين أنّ الجمهورية الإسلامية قد أعلنت معارضتها لما يجري على الساحة هناك، والكل في جميع أرجاء العالم يقول: متى ما كانت الجمهورية الإسلامية معارضة لهذه المخططات، فلا تقدّم ولا نجاح لأي مبادرة أو خطّة سلام في الشرق الأوسط، فهذه هي إرادة الشعب

الإيراني المقدام، نعم، أنّه كذلك، سوف لن يكون هناك أي تقدّم في هذا المسار، أمامنا شعب، كان رئيس حكومته وملكها البائد الفاسد والخاضع لأوامر أسياده الطغاة، كان يستشير السفارة الأمريكية والبريطانية في حل مشاكله اليومية العادية ويتلقّى منهم خطّة العمل والمواقف التي يجب أن يتخذها! لكن هذا الشعب ارتقى إلى مستوى لا يمكن أن تتوغل وتتدخل فيه أمريكا أو باقي القوى العالمية، قيد أنملة في مقدرات هذا الوطن، وهذا الشعب، وهذا يعتبر اقتداراً شعبياً ضخماً قام به الإمام الخميني الكبير، حيث أحيا بمجهوده العظيم هذه الروح الإسلامية والمعنويات الدينية بين المسلمين.

وبالنسبة إلى قضية (إعادة البناء والإعمار) أيضاً، كانت المسألة بنفس الصورة، لأنّ الإمام قال للشعب الإيراني بأنّكم قادرون على أن تصنعوا وتنتجوا كل شيء وتقوموا بإعمار وبناء وطنكم بأيديكم وبإمكانكم أن تستغنوا من الأجانب وترتقوا سلّم العلم والرقي كالآخرين وتعملوا على استقلال الجامعات بأنفسكم.

أنظروا كيف أن الشعب الإيراني قد قام بتنفيذ وتطبيق كل هذه الأمور خطوة فخطوة، فلقد مارس الشعب هذا الطريق المستقبلي بكفاءة ونجاح.

كان هذا الإنجاز داخل إيران وبالنسبة لكل نقطة من العالم؛ فبأي مقدار عُمل بوصفه الإمام الشافية، استفادت الشعوب منها بنفس النسبة، أُنظروا إلى طبيعة القضية الفلسطينية أو القضية اللبنانية المؤلمة أو القضايا المختلفة الأخرى، كم تغيّرت اليوم عما كانت عليه أمس فاليوم وقد تيقّظ الشعب الفلسطيني وظهرت العناصر الحقيقية الفلسطينية في داخل الأراضي المحتلّة بشكل شوكة نابتة في عيون المحتلّين ولم يجلسوا بانتظار هذا أو ذاك ـ خارج الحدود الفلسطينية ـ لينطقوا باسمهم، لا، لأنّ الشعب الفلسطيني هو الذي يتكلّم ويقوم بالإجراء والحركة والإنتفاضة؛ باسم الإسلام الأغر، ففي أي نقطة طُبّقت هذه الوصفة؛ وصفة الإعتماد على النفس والعودة إلى الإسلام، بأي مقدار وفي أي مستوى كان التطبيق فإنّه سيعرقل طريق القوى العظمى وسيُسرّع من حركة الشعوب بنفس النسبة والمستوى.

إنّ وصفة إمامنا العزيز رحمه الله قد أعزّت المسلمين في جميع أرجاء العالم، فاليوم يشعر المسلمون في كل أنحاء العالم بالعزّة والفخر، في حين كان المسلمون في السابق يشعرون بالخجل والفشل من إسلامهم، لكنّ المسلم اليوم، يشعر بالعزّة والإباء، هذه هي الخطوط العريضة لنهضة الإمام الخميني الكبير وحركته المجيدة.

أريد أن أقول لكم بأنّ الشعب الإيراني والشعوب الأخرى، إذا ما قامت بتخليد وإحياء إسم وذكرى الإمام الخميني﵀ أكثر فأكثر، ستستفيد أكثر من نهج الإمام وطريقه الخالد. في حين أن أعداء الإسلام والمسلمين يسعون لإزالة إسم الإمام وإبادة ذكره أو أنّهم يسعون ليكون باهتاً.

فهم يحاولون خلق أجواء، يتظاهرون فيها بأنّ الثورة الإسلامية كانت حادثة عابرة وانتهى تاريخ استهلاكها وليس لها أي أثر الآن في النظام المستقبلي للعالم. لاحظوا كيف أنّ هؤلاء يستخدمون شتّى الطرق والأساليب لإجراء هذه القرارات والمخططات كالإعلام السام والجعل والتحريف والتشويه والتلطيخ، فهذه الأشياء موجودة في جميع النقاط المعنية بهم والراضخة تحت سيطرة القوى الإستكبارية.

أمّا الجبهة المقابلة لهذه الدسائس، هي الحركة والنهضة الإسلامية التي ينبغي للمسلمين أن يوسّعوا مداها ويسرّعوا رحاها، فلا بد من إحياء ذكرى الإمام وتخليد وتكريم اسمه الشريف عالياً، والإفصاح عن الخط الواضح الذي رسمه الإمام للأفكار والأذهان البشرية، فيشرحوا لهم أهداف ونوايا الإمام﵀ ويركّزوا على تفهيم قضية العودة إلى أحكام الإسلام وتطبيق الشريعة الإسلامية في الحياة من جهة واستعادة روح العزّة والكرامة الإسلامية لدى المسلمين من جهة أخرى، يذكر بأنّ هاتين

النقطتين وهذين المحورين، هما اللذان يشكلان طريق النور الذي كان يسعى الإمام الخميني رحمه الله لتحقيقه وتطبيقه.

والموضوع على الصعيد الداخلي للبلاد أيضاً هو بنفس الشكل والصورة، فشعبنا العزيز لو أراد متابعة ومواصلة طريق العزة والمجد، عليه أن يقوم بإحياء ذكرى الإمام وتخليد اسمه أكثر فأكثر، يوماً عن يوم وإذا كان الشعب الإيراني يطمح إلى إعادة إعمار إيران بفضل سواعده الجبّارة ومبادراته الخلاّقة، بشكل يُحسد عليها من قبل الشعوب والحكومات الأخرى، فعليهم أن يلتفتوا إلى توجيهات وإرشادات الإمام الراحل بصورة متزايدة وقد يكون هناك بعض الناس السُّذَّج، من أهل الغفلة والبساطة، فيتصوّروا أو ينشروا الدعايات بأنّ طريق الإمام وخطه الواضح، يضمن للناس المعنويات والسعادة الأخروية، لكن دنياهم ستظل كما هي كئيبة! وهذا خطأ فاحش، لأنّ طريق الله يضمن السعادة والرفاهية للناس، في الدنيا والآخرة معاً ويجعل فاكهة الحياة حلوة ومستساغة ويرفع ويدفع الإستيلاء المفروض من قبل الأعداء عن رؤوسهم، فهذا هو سبيل الله وطريق الإمام الخميني قدس سره هو سبيل الله ولا بديل له أبداً.

لقد تأخّر وتخلّف الشعب الإيراني المقدام عن مواكبة قافلة العلم والمعرفة وذلك لتدخّل الأجانب والحكومات الفاسدة ونظام القاجار

المنحط والكيان البهلوي الدكتاتوري، حيث أنّ هاتين السلسلتين الملطختين بالعار والشنار(القاجارية والبهلوية) حكمتا إيران والشعب الإيراني لسنوات متمادية، فمهّدوا السبيل لتوغّل الأجانب، إذاً فالشعب الإيراني سوف لن يكون بمقدوره أن ينال الحياة الرغيدة والتنمية الشاملة الحقيقية إلاّ بعد الإعتماد على نفسه والإتّكاء بذاته والوقوف على رجليه وتطبيق الأحكام الإلهية في الحياة بصورة عملية ثم يقوم بقطع أيدي وأرجل الأعداء كلياً من هذا الوطن، فهذا هو طريق الإمام الخميني الكبير ووصاياه الخالدة.[1]

كيف كانت إيران قبل انتصار الثورة الإسلامية، حيال الإمام

لقد قطع الإمام الخميني رحمه الله هذه الساحة والمساحة حتى وصل إلى مقربة قوس النصر في عام ١٣٥٧هـ.ش(١٩٧٨م) وفي هذا الظرف بالذات ظهر أمام الإمام رحمه الله حدث عجيب للغاية، ألا وهو انتصار الثورة الإسلامية، بدعم كامل من قبل الشعب، بكل كيانه وطاقاته، فذلك الإنتصار لم يكن إنتصار قاطع على نظام رجعي وفاسد فحسب، بل كان ذاك الإنتصار، إنتصاراً على جميع القوى الإستكبارية آنذاك لأنّ النظام الملكي المنحط

(١) لقاء القائد (حفظه الله) مع قطاعات مختلفة من الشعب والضيوف المشاركين في مراسم الذكرى السنوية السابعة لرحيل الإمام الخميني(ره) ١٦/٣/١٣٧٥هـ.ش؛ ٥/٦/١٩٩٦م.

كان يتمتّع بدعم جميع القوى الإستكبارية المتواجدة في الساحة تقريباً، وكان الإمام ﵀ ينوي إدارة البلاد حسب عقيدته ووجهة نظره والوصفة التي قدّمها الإسلام للإنسان وماذا يوجد بإزاءه يا ترى؟

بلاد قد عانت صنوف الضغوط والمعضلات في شتى المجالات ومن مختلف الجهات لمدة استغرقت ٢٠٠ سنة تقريباً، ذلك ليسحقوا ويدمّروا ويهمّشوا الخصائص الممتازة والمواصفات المتميّزة لهذا الشعب الكبير، فإذا ما راجعتم تاريخ القرنين السابقين، ستدركون أهمية وعظمة العمل الذي قام به الإمام الخميني﵀، وأنا أؤكد هنا على الشباب أن يطالعوا تاريخ هذه الفترة التي مرت على إيران وهكذا أطلب من أجهزة الإعلام أيضاً أن يشرحوا للشعب الحقائق والوقائع التي حدثت في البلاد، خلال تلك المرحلة وحسب اعتقادي إنّ العمل التبليغي والدعائي والإعلامي مازال ضعيفاً في هذا الشأن.

منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي وعندما دخل (سرجان ملكم) إيران، مجتازاً الحدود الهندية؛ أي من زمن حكم (فتح علي شاه القاجار)، حيث قَدِم هذا الرجل وهو يحمل معه التحف المغرية والهدايا الثمينة لرجال البلاط والمسؤولين السياسيين الفاسدين، هذا وإنّ الإستعمار البريطاني أو بتعبير أصحّ (التغلغل البريطاني المخرّب)؛ لأنّ العملية

الإستعمارية، بمعناها التقليدي المشهور، لم تحدث في إيران، في حين حصل ما هو أسوء من الإستعمار، حيث أنّ الأجانب قد تحكّموا بحكومات إيران تماماً وباشروا بتنفيذ مخططاتهم عن طريق هذه الحكومات، فأقدموا على تأمين مصالحهم بواسطة هذه الحكومات العميلة، فاستغرقت هذه الفترة العصيبة والسنوات الكئيبة؛ منذ ذلك اليوم وحتى انتصار الثورة الإسلامية، ما يقارب ١٧٠ أو ١٨٠ عاماً، وخلال هذه المدة كانت جميع عناصر القوى العالمية العظمى والعناصر النظامية والسياسية والإقتصادية والثقافية وحتى العناصر الروحية والأخلاقية كانت تعمل عملاً دؤوباً لتضعيف وتحطيم إرادة هذا الشعب العريق والتاريخي المثقّف والمتحضّر الباسل الكبير ودفعه نحو اليأس والفشل بحيث لم يعد يشكّل خطراً على القوى العظمى ولم يهدّد مصالحهم وأطماعهم.

لقد برز الإمام حيال هكذا ظاهرة، فهذه الفترة التي طالت نحو القرنين، كان للتدخل البريطاني، السهم الأكبر فيها ومن عام ١٣٣٢هـ.ش(١٩٥٣م) فصاعداً، إنفتحت أبواب البلاد على الأمريكان أيضاً وخلال هذه الفترة شهدنا التوغل الروسي والمناقشات التي قامت بينها وبين التدخل البريطاني في إيران، أثناء حكومات ملوك القاجار من جهة وفي عهد النظام الملكي البهلوي من جهة أخرى، حيث أصبح الوضع أكثر خطورة وتعقيداً.

سياسة التبعيّة والذيلية في إيران

لقد قام الإستعمار بكل الأعمال الشنيعة التي كان بإمكانه أن يقوم بها ضد الشعب الإيراني وكانت النتيجة أن ظهرت البلاد والدولة أمام الإمام وهي تجرّ أذيال التبعيّة من الناحية السياسية وفي المجال الإقتصادي والنفطي والتنصيبات والحكومات ـ حيث كان الأجانب يتدخلون في الأمور الداخلية لتأسيس حكومة وإسقاط أخرى ـ والعلاقات الدولية وحتى في مجال الآداب والتقاليد والجامعات حيث كان كل شيء يُفرض عنوة على الشعب. إذاً إنّهم فعلوا كل ما أرادوا أن يفعلوه في إيران.

شعب مستهلك وفقير

لقد كنّا في حالة انتماء تام وتبعيّة كاملة للقوى العظمى، فمن الناحية الإقتصادية كنّا مستهلكين وكان علينا أن نستورد كل شيء من الخارج، فأنا قد قلتُ ذات مرة، لكن البعض كان يصعب عليه أن يصدق ذلك! قلتُ: كونوا على ثقة بأنّ بلادنا إيران كانت تستورد كل ما تحتاج إليه، حتى (المسحاة اليدوية) و(إبرة الخياطة) وأنواع المأكولات والمنتوجات الصناعية! كل شيء كان في مسار الإستهلاك؛ أي أنّهم جعلوا هذا الشعب وهذه المواهب وهذه الأدمغة وهؤلاء الشباب، في وضع لم تتوفر فيهم القدرة اللازمة أو الفرصة الكافية حتى يقوموا بإنتاج ما يحتاجون إليه

بأنفسهم وحتى يكون بإمكانهم لأن يقولوا بأنّنا لسنا بحاجة أن نستورد شيئاً من الخارج، وإن كانت الحكومات السابقة تستورد في بعض الأحيان الصناعات والمصانع إلى داخل البلاد، كصناعة السيارات أو الصلب والحديد وما شاكلها؛ فكانت ناقصة جداً ولهذا فهي كانت تدفع البلاد بأكمله صوب التبعيّة والذيلية والإنتمائية المقيتة وكذلك بالنسبة إلى الأجهزة المتطورة الحديثة التي كانوا يبيعونها؛ كالطائرات الحربية، حيث أنّهم لم يسمحوا لنا بتصليح تلك المقاتلات في داخل البلاد بل كان لا بد من تصليحها خارج البلاد! فلقد كنّا من الناحية الإقتصادية غارقين في التبعيّة مئة بالمئة ومستهلكين من جميع الجوانب ومن الناحية العلمية كنّا في مستوى الصفر تقريباً فهذا الشعب لم يكن بمقدوره أن يطرح كلاماً جديداً في الأوساط العلمية والتقنية الحديثة في العالم، وكذلك في الجامعات والتي كانت قليلة العدد، قياساً بالوقت الحاضر ولم تبلغ نسبة الطلاب فيها، في آواخر عهد الشاه، قبل انتصار الثورة الإسلامية، إلاّ عُشر عدد الطلاب الجامعيين في الوقت الحاضر وإذا كانت هناك محاضرات في صفوف الجامعات وعلى جميع المستويات، إن كانت بشأن العلوم الإنسانية أو العلوم الصناعية والتقنيات أو العلوم الطبيعية، كان لا يقال فيها شيء جديد، إلاّ نفس كلام الآخرين والأجانب ولم يكن هناك شيء يدل على الإبتكار والحداثة والتجديد والتطوير في العلوم!

ومن ناحية الثروات القومية، كنّا منهوبين ومسلوبين، فكانوا ينهبون النفط والمواد المعدنية وكل شيء وبأي سعر يرغبون ومن الناحية الإجتماعية وحالة الفقر والغنى، كانت البلاد في نكبة موجعة وأزمة دائمة، حيث كانت الآلاف، بل عشرات الآلاف من القرى والأرياف في هذه البلاد لم تر بعينها الطاقة الكهربائية وإسالة مياه الصرف الصحية وما شابهها من خدمات ولم تأمل في امتلاكها! بل إنّهم كانوا يهتمون بالعاصمة طهران فقط وبعض مراكز المحافظات والمدن الكبيرة، وبتلك الصورة التي كانت عليها طهران وهي من أكثر العواصم وساخة وشناعة! بل إنّهم كانوا لا يهتمون إلاّ بأنفسهم وكل مكان يرتبط بهم بشكل أو بآخر، كنتَ تجد هناك مطاراً ووسائل الراحة والإستراحة، في حين أنّ الأمكنة الأخرى التي لم تكن ترتبط بهم، كانت متروكة ومهملة تماماً! حيث كان التمييز الطبقي سائداً وفي أعلى المستويات.

حصار اللا أخلاقيات كان يطوق إيران في عهد الشاه

فمن الناحية الأخلاقية، كان الفساد منتشراً، في الفترة، قبل انتصار الثورة الإسلامية، أي السنوات الأخيرة من الأربعينات وبداية الخمسينات (٧٥ ـ ١٩٦٠م)، حيث كنتُ أصرح بذلك مباشرة في محاضراتي التي كنتُ أعقدها للشباب آنذاك وكنتُ أقول ذلك، مستنداً إلى الشواهد

الموجودة والقرائن الواضحة بأنّ الوضع الإستهتاري والسفور والفحشاء في بلدنا هو أقبح من الدول الأوروبية وفي الواقع لم تتردى الأوضاع هناك إلى هذا الحد الذي كانت فيه إيران في تلك الفترة! لقد كنتُ مطلعاً على هذه المسائل، قد كانت في الدول الأوروبية مراكز للفحشاء والفساد، لكن العرف الرائج بين الناس هناك كوضع الأزياء وسلوك النساء مثلاً كان أفضل مما كان عليه في بعض مدننا الإيرانية، فمن الناحية الأخلاقية، أصيب الناس بأقسام وأنواع المساوئ الأخلاقية ولم يقتصر ذلك في القضايا الجنسية فحسب، بل إنّهم قاموا بتهديم العلاقات بين الناس والمراودات بين أفراد الشعب والثقة المتبادلة بين الأشخاص، كلّها قد تعرّضت لإصابات شديدة وهكذا كان تقدّم الأمور وإدارة الشعب آنذاك ولقد كان الوضع متعمداً وموجهاً ومدروساً من قبل.

كانت الحكومة البائدة تريد من الشعب أن يكون بلا إرادة، متضايقاً ومأيوساً، في حين أنّ السلوك التقدّمي والذي يدفع الشعب إلى الأمام هو الأمل والحركة والنشاط والجدّ، والشعب اليأس البائس الذي قد يئس من مستقبله واستحقر نفسه وماضيه، ليس بإمكانه أن يتقدم. فكل بضاعة داخلية وصناعة وطنية كانت تدل على عدم الجودة والردائة! إلى درجة أنّ الأفراد والمثقفين والناس كانوا يتناقلون هذه العبارات فيما بينهم بأنّ: (الإيراني ليس بإمكانه أن ينتج أو يصنع إبريقاً وقمقماً لبيت الخلاء!) وهذا

يعني أنّ الجيل المتحضّر والمتعلّم أيضاً، هو الآخر كان متشائماً بمستقبل البلاد العلمي وهذه المشكلة أصبحت مشكلة سلوكية وأخلاقية لدى الجميع.

الحكومات الرجعية في إيران قبل الثورة الإسلامية

كانت إيران متأخرة ومتخلّفة عن موكب العلم وقافلة الحضارة في العالم، فمن ناحية نظام الحكم والحكّام الذين حكموا البلاد، كانت هناك حكومات رجعية للغاية وكانت الملوكية وراثية، فإذا مات الملك، فالشعب مجبر على قبول وريثه وهو ابنه عادة ولو كان في أي سن من عمره وأي ظروف ومواصفات، فلا بد أن يسلّم إليه أموره بصورة مطلقة، فلا معايير هناك ولا عمل ولا تقوى ولا عقل ولا شيء يمكن أن يكون مناطاً ومعياراً!

فمثل هذا النظام، نراه قد ورد في الدستور السابق لإيران أيضاً، ذلك الدستور الذي تمت المصادقة عليه تحت وطأة (جزة) رضا خان(البهلوي الأول) وبريق أنظار السلطات الشاهية المتعسفة في طهران، لقد أصبحت إيران ذليلة وضعيفة في العالم، لم يذكر اسم إيران آنذاك في الأوساط الدولية كصاحبة قرار أو وجهة نظر وصاحبة رأي وشخصية، بل كانت تتلقى الصدقات والإعانات والمساعدات وأصبحت محلاً لاختبارات

الآخرين! ولهذا كانوا يجرّبون فيها بعض النظريات والطروحات الإقتصادية للتأكّد من صحة مصداقيتها! ومن الناحية المعنوية، كانت إيران فقيرة وكذلك من الناحية المادية أيضاً فقيرة ومن الناحية السياسية فقيرة كذلك ومن الناحية الشخصية والمكانة الإجتماعية فقيرة أيضاً، فكان على الإمام أن يقف أمام هكذا مجتمع وهكذا بلاد.

بطبيعة الحال، توجد هنا نقطة مهمّة للغاية وهي أنّ الشعب الإيراني هو شعب كبير جداً وصاحب مواهب وإمكانات كثيرة، فتلك الحالة التي أوجدتها الحكومات الرجعية الفاسدة، كانت حالة عرضية ومن هنا ـ لما دوّت صرخة الإمام الخميني رحمه الله في إيران ـ إهتز الشعب واستيقظ من سباته وغفلته والجدير بالذكر أنّ اليوم الأول الذي أعلن فيه الإمام صرخته العارمة حتى اليوم الذي تحرّكت فيه الأمواج الهادرة وثار وفار الإعصار في هذا المحيط العظيم، إستغرق ١٥ سنة مليئة بالمعاناة والعذاب، لكن الشعب كان شعباً نبيلاً، أصيلاً، موهوباً، مثقفاً، غيوراً ومؤمناً بدينه وإسلامه وكان بإمكانه أن يخلّص نفسه من تلك الحالة التخديرية والرقدة الشاردة، ليستيقظ ويفيق من غفلته وتمكّن من أن يبرز شخصيته الفذّة أثناء ملحمة الكفاح ـ خاصة خلال السنتين اللتين سبقتا إنتصار الثورة الإسلامية ـ وكانت هذه، هي نقطة القوة والمنعطف الإيجابي في الموضوع، في حين أنّ تلك الوقائع المؤلمة والسلبية التي حدثت وحصلت خلال تلك السنين

الطويلة الغابرة وفرضت نفسها على البلاد والتي تركت آثارها في حياة المجتمع، كل هذه السوابق والقضايا كانت ماثلة أمام الإمام الراحل رحمه الله.

ماذا فعل الإمام الخميني لإنشاء هذا المجتمع؟

والآن يريد الإمام أن يقوم ببناء هذا المجتمع بشكل مطلوب ومثالي، فماذا عليه أن يفعل؟ أنظروا إلى مدى أهمية هذه المسألة، لم يكن ذلك هزلاً، تصوّروا لو أنّكم قد ذهبتم إلى مكان تتوفر فيه مواد البناء اللازمة والإمكانات المطلوبة وكل ما تحتاجون إليه في عملية البناء، لكن البناية التي لا بد من إصلاحها وإعادة إعمارها مهدّمة وفي حالة انهيار تام، المقصود والهدف هو أنّكم ستستفيدون من هذه المواد والإمكانات الموجودة لترفعوا بناءً قوياً شامخاً عظيماً وخالداً بدل تلك المنهارة، فأي مهندس أو معمار حاذق وكبير لا يتمكّن أن يفعل ذلك، هنا تبرز قضية الهوية النبيلة والشخصية العظيمة.

نظر الإمام إلى هذا الشعب والى هذا البلد والى هذه الساحة والى هذه المواد نظرة عميقة. لقد كان يعرف الإسلام ويعرف الآمال والطموحات المستقبلية للإسلام والأحكام والقوانين الإسلامية، فأراد أن يشيّد بهذه (المواد الإسلامية) ـ وعن طريق هذا الشعب العملاق ـ صرحاً شامخاً لحكومة قوية، مستقلّة، أبيّة، تسعى لإسعاد الناس، دولة تقدمية تحاول

جاهدة أن تسدّ الخلل الحاصل في الماضي، فما هي الأولوية الأولى التي لا بد للإمام﵀ أن يبحث عنها في ضمائر ونفوس هذا الشعب؟

لقد شخّص الإمام الأولويات واختارها فوراً وعكف على مواصلتها وتعقّبها، وحسب اعتقادي، إنّ هذه الأولويات، كانت إثنتان في الدرجة الأولى، ونحن الذين كنّا ننظر ونشاهد الكثير من أقوال الإمام وأفكاره وأحكامه وطريقة تصرّفه مع القضايا والمستجدات المختلفة عن كثب، بإمكاننا أن نفهم الموضوع وندرك الساحة بشكل صحيح، واليوم إذا أردتم أن تنظروا إلى كلام الإمام﵀ بإمعان وتُدقّقوا في سلوكه وتضعوا أمامكم ما تعرفونه حول الإمام﵀ سوف تصلون إلى هاتين النقطتين المصيريتين والمتميزتين.

١ـ إحياء الروح العصامية بين أفراد الشعب

الركيزة الأولى هي إحياء الروح العصامية والنزعة الإستقلالية بين الناس، لقد تم التلقين والإيحاء في نفوس أفراد الشعب بـ(أنّكم لا تقدرون على القيام بشيء) لسنين طويلة، وكلما كان يُقال من قبل جميع فئات الشعب؛ من رجال الدين وغيرهم، من الجامعيين، من العلماء وحتى البسطاء حول الروح العصامية والثقة بالنفس، كان الجواب سلبياً بأنّ لا فائدة من ذلك ولا يمكن أن يتحقق ذلك. فهذه النفسية والروحية

والمعنويات المنهارة لا بد أن تتبدل وتتحول، إذ أنّ هذه السلوكيات الإجتماعية، لم تكن مشابهة للخلقيات الفردية بل وحتى الخلقيات الفردية لا تتغير بسرعة وبساطة، في حين أنّ السلوكيات الإجتماعية أكثر تعقيداً، فكان على الإمام أن يبدل جميع هذه الروحيات السلبية المتشائمة والمنتكسة الفاشلة إلى روحيات عصامية رائدة والى الثقة بالنفس والسير في طريق الإستقلالية وعدم الإنتماء والذيلية، ولأجل تحقيق وتعزيز هذه الخصوصيات، كان على الإمام رحمه الله ألاّ يتحمّل ـ ولم يتحمّل بالفعل ـ أي نوع من أنواع التغلغل والتدخل الأجنبي في صفوف هذا الشعب، إلاّ أن يكون هذا الإندفاع والنشاط من الداخل، فالسبب الذي دفع الإمام رحمه الله ليقف هكذا أمام أمريكا وحيال الإتحاد السوفيتي السابق آنذاك، هو هذه النقطة بالذات، فالأمريكيون توغلوا في إيران لمدة استغرقت ٢٥ سنة، فكانت المائدة مهيأة، حيث أنّ هؤلاء وحفنة أخرى من العملاء قاموا بأي عمل أرادوه وحتى خلال الشهور الأولى من انتصار الثورة الإسلامية، لم يقطع هؤلاء آمالهم! فأنا شخصياً أحمل الكثير من هذه القضايا في ذاكرتي، لكن المجال والمقال لم يكن مناسباً الآن لسردها.

سماحة الإمام رحمه الله كان يعرف هؤلاء جيداً ولهذا قام بتقليم أظافرهم وإحباط ادعاءاتهم، فلو حدثت أدنى غفلة من قبل الإمام رحمه الله بالنسبة لهؤلاء، لدخلوا من منافذ أخرى بعد أن طردوا من الأبواب، لكنّ الإمام

وقف وقفة عملاقة رائعة رادعة، كسدّ منيع أمام توغل واستيلاء الأجانب على البلاد بأي شكل كان، وهذه هي النقطة الأولى.

٢ـ إحياء الروح الدينية في المجتمع الإيراني

الركيزة الثانية التي كان يهتم بها سماحة الإمام رحمه الله كثيراً، هي إحياء الروح الدينية وتعزيز الإيمان بين الناس، اقتداءً بنفس الإيمان الذي كان موجوداً في ضميره، ومن هذا المنطلق كان يسعى ويدقّق جداً لتطبيق المسائل الدينية، كالقضايا التعبدية وما كان يتعلق بالدين ولم يرضخ لأقل من ذلك، لأنّه كان يؤمن بهذا المنطق بأنّ الدين هو الحل الحقيقي للأمور، وعندما تنتشر الروح الدينية في شعب، لم تكن آثار هذه الروحية منحصرة في أن يكون الناس ـ من الناحية الفردية ـ طيبين، نزيهين وأنقياء بل ستنعكس الروح الدينية هذه في الحياة الإجتماعية، فإذا كانت الدعوة الدينية صحيحة وسليمة، عندها تبدأ المعارضات والعداوات مع هذا الدين ولهذا ترى أكبر وأضخم الأعداء في العالم وكذلك الأنصار والتابعين لهم في داخل البلاد، قد بدءوا بالمعارضة والرفض بحجة أن هذا الدين له صبغة سياسية وحكومية، في حين أنّ الإمام كان يسمي هذا الدين (بالإسلام الخالص المحمدي) وكان يعمل على انتشاره واعتلائه، وفي بعض الأحيان ترى الأعداء يتظاهرون بالحبّ والمودة أكثر من

الآخرين بالنسبة للدين والتدين ـ واليوم أيضاً هناك البعض يتظاهر بهذا المظهر ـ ويقول: أنتم تروّجون للدين السياسي والدين الحكومي، وهذا ما يُضعف كيان واقتدار الدين بين الناس وسيؤدي إلى إيجاد شرخ وتلكؤ في الإيمان الديني للناس! في حين أنّ هذا الإدعاء يشكل تياراً مخالفاً للواقع، فعندما يتحقّق الدين في المجتمع على الصعيد السياسي والإجتماعي، فعندها ستكون روح الفداء والتضحية أيضاً موجودة في ذلك المجتمع وسيكون الوعي واليقظة والإحساس بالمسؤولية موجودة في المجتمع، فالعامل الذي دفع مجتمعنا اليوم ـ بعد أن تعرّفوا على الإسلام ـ إلى أن يشعروا بالمسؤولية والحميّة، هو بسبب الروح الدينية، في حين أنّ الأعداء يحاولون تضعيف وتهميش هذه الروح، ومن جهة أخرى فإنّ الإمام الراحل رحمه الله كان يقوّي ويرسخ هذه الروحية بشدة في جميع أركان المجتمع ـ سواء كانت حكومية أو على المستوى الشعبي ـ أي في الدولة، في المجلس النيابي وفي القوة القضائية، في القوانين، وفي مجلس صيانة الدستور، في الإنتخابات وفي كل شيء حيث أنّ الإمام كان يشدّد ويؤكّد على الإيمان الديني والتعبد المذهبي وقد جعل هاتين الخصوصيتين في الأولوية الأولى، وأغلب الموضوعات التي طرحها الإمام رحمه الله كتوجيهات وأحكام إجرائية للشعب، تتعلق بهاتين النقطتين.

لقد طرح الإمام الخميني رحمه الله أطروحة الجمهورية الإسلامية، فالجمهورية الإسلامية تعني نظاماً حكومياً جديداً وحديثاً، لا يشبه النظم المعتادة الموجودة في العالم الآن، وفي نفس الوقت تشمل على جميع المواصفات الإيجابية التي يمكن توقعها من نظام مطلوب، ففي الجمهورية الإسلامية توجد القضايا التالية: الإسلام، آراء وأصوات الشعب، إيمان الشعب، الشعور بالعزّة والكرامة، التدين والتعبد، الأحكام والمقررات الإسلامية التي تعمل على إحياء حياة الإنسان، أجل ولو أنّنا طبّقنا الإسلام الحقيقي الذي طرحه سماحة الإمام الراحل رحمه الله؛ أي نفس المعنى الصحيح والخالص الحقيقي المستند على المبادئ والأصول، فسنرى أنّه يشكّل النظرية الناجحة والبرنامج الأمثل في كل المجالات وعلى كافة الأصعدة وكذلك متى ما نزلنا الساحة ودافعنا وشددنا على عقائدنا، فستكون النتيجة إيجابية، وهكذا فإنّ الإسلام قد أثبت جدارته في النظام الحكومي وللأسف لم يسع الوقت الآن لأقول بأنّ هذه الهيكلية الحكومية الموجودة الآن في إيران، هي من أكثر الهيكليات الحكومية الموجودة في كل أرجاء العالم انطباقاً وانسجاماً مع حرية وتقدم الشعب وأكثر تلائماً مع باقي أنواع الديمقراطية الغربية وكذلك أنواع النظم والحكومات الأخرى، ناهيك عن النظام والحكومات الغربية وكذلك أنواع النظم والحكومات المغلقة الإستبدادية التي لا نتطرق إليها أبداً، فمتى ما

تمّ تنفيذ وتطبيق مقترحات النظام الإسلامي، سنرى النتيجة المرضية والمقبولة، كالإلتزام بالقضايا الثقافية والتصدي للأعداء منذ ذلك اليوم(قبل انتصار الثورة الإسلامية)، حيث كان بلدنا وشعبنا يتلقى ثقافته من الغرب ولكن بفضل الإقدام الباسل الذي قام به سماحة الإمام رحمه الله، أصبح التيار الثقافي ذا طرفين، لأنّ تياراً عارماً بدأ يهبّ من مركزنا وقاعدتنا ـ أي من منطلق ثورتنا ومجتمعنا الإسلامي ـ نحو خارج هذا المجتمع، بحيث أرعب وأخاف زعماء الإستكبار في مواقف عديدة ومواطن كثيرة ومازال هذا التيار يتحرك ويتكرر الآن، بطبيعة الحال إنّهم يقولون ذلك بإلحاح أقل: حيث أنّهم كانوا يصرخون ويولولون بأنّكم تسعون لتصدير ثورتكم، في حين أنّنا لم نقم بتغليف ثورتنا حتى نصدّرها إلى هنا وهناك! وهذا معناه أن تصدير الثورة الإسلامية بدأ ينعكس ويتحوّل صوب الدول الإسلامية وحتى غير الإسلامية وظلّ يعمل على توعية وإيقاظ الناس في شتى أرجاء العالم.[1]

(١) كلمة القائد المعظّم (حفظه الله) في الخطبة الأولى لصلاة الجمعة في طهران، ١٣٧٨/٧/٩هـ.ش(١٩٩٩/٩/٣٠م).

الإمام الخميني رحمه الله يعرض النظرية الإسلامية أمام أطروحة الشرق والغرب في بناء المجتمع المثالي

إنّ ما حدث طوال سنوات الكفاح والنهضة الإسلامية في إيران، لم يناظره شيء آخر، في تاريخنا المشهور والمكتوب الآن أبداً، والواقع هو أنّ تحت ظروف هذا السكون والإستقرار الظاهري لحياة الشعب الإيراني، كانت هناك شبكة عظيمة وهائلة من أقسام وأنواع الحركات الجهادية والمقاومة الشعبية الإسلامية، تسير وتتكوّن في الخفاء، وكانت تشمل على المحاضرات الحماسية للتوعية والإجتماعات العلنية والسرية لإلقاء الدروس الإسلامية وإعداد وتوزيع البيانات والمنشورات والنشاطات التربوية والتعليمية على أساس التوجيهات الإسلامية وكذلك التظاهرات والمسيرات والتجمعات، الضخمة الدينية منها والشعبية وتشكيل وتنظيم فرق ميدانية وفدائية باسلة ونموذجية، حيث كانت جميع هذه الفعاليات متصلة ومرتبطة بذلك القلب النابض في جوف هذا الكفاح العام والمقاومة الشاملة والذي كان يتمتّع بقيادة حكيمة نابعة من تلك الروح العظيمة والإيمان الخالص والفكر الخلاّق لهذا التيار العملاق.

وخلال هذه المدة، كان إمامنا العزيز والعظيم يُنمّي فكرة وأطروحة الجمهورية الإسلامية حتى تنضج وتتقوى، إلى جانب هداية وإرشاد

الشعب والعمل على توسيع نطاق الوعي العام ودفع الجماهير المليونية إلى ساحة الكفاح وميدان المقاومة وكان يحدث كل هذا إزاء نظريتين ومدرستين مشهورتين في السياسة العالمية، أي نظرية الحكومات الدكتاتورية الحزبية الشيوعية في الإتحاد السوفيتي السابق والصين والدول الموالية لهما في أوروبا وأفريقيا ونقاط أخرى في العالم وكذلك نظرية الحكومات البرلمانية الغربية التي كان يستولي عليها الرأسماليون وأصحاب الكارتلات والتراستات الإقتصادية الضخمة ويسيطرون فيها على فكر وأخلاق الناس باسم الديمقراطية، لكن سماحة الإمام رحمه الله طرح المدرسة والنظرية الإسلامية[1] التي كانت تعتمد على عنصرين أساسيين وهما: الدين والإنسان، أي أنّ الإيمان الديني والإرادة الشعبية تعتبران من أبرز مواصفات هذا الطريق وهذه الأطروحة، والنظام الإسلامي في مدرسة الإمام الخميني رحمه الله هو نظام عدالة وإيمان وعقلانية وحرية، ذات نزعة شعبية واستقلالية ووطنية ورفض الأنظمة السلطوية العالمية، فالحكومة من وجهة نظر الإمام رحمه الله وحسب هذه النظرية تمتلك مثل هذه الأصالة والجذور العميقة.

---

(١) لقد بدأ سماحة الإمام الخميني قدس سره بطرح فكرة الحكومة الإسلامية والنظام السياسي للإسلامي بصورة دروس حوزوية واستدلالية خلال فترة نفيه وإبعاده إلى العراق (النجف الاشرف) ومن هنا يقوم الإمام بتدريس أساس النظام الإسلامي وركنه القويم؛ أي (ولاية الفقيه) ليصدر بعد ذلك في كتاب مهم تحت عنوان(الحكومة الإسلامية) أو (ولاية الفقيه).

فالشعب الذي يختار النظام الإسلامي، فإنّه يـؤمن لا محالـة بالإسـلام ويعشق العدالة ويلتزم بالمنطق والعقل والدين ويتحرّر من القوة والفرض والتحكم وهو ـ بـصورة طبيعيـة ـ يـرفض القـوى الـسلطوية الـسياسية والإقتصادية والثقافية في العالم ويعرض بوجهه عـن جميـع المتجبـرين والناهبين والغزاة المعتدين الدوليين، وإن لمس منهم أي اعتداء، يتـصدى لهم ويقف أمامهم بكل قواه وطاقاته ويدافع عن استقلاله وشرفه وحريتـه لأنّه يؤمن بأخوة جميع المسلمين وشرف وأصالة جميـع النـاس وجميـع الإنسانية، في كل أرجاء العالم، لهذا إن شاهد شعباً مقهـوراً ومكـبلاً بيـد الظالمين والمستكبرين، سيشاطرهم في مشاعرهم وأحاسيسهم وإن شمّروا عن سواعدهم لكسب حرية، سيقدّم لهم يد العون والمساعدة.

ومن هذا المنطلق، يتميـز معنـى الـدفاع الباسـل للـشعب والحكومـة الإيرانية عن الشعب الفلسطيني المظلـوم والموقـف والـسلوك الـصريح والشفاف لهم في الدفاع عن الشعوب التي تكافح المعتـدين والجمـاهير المضرجة بالدماء في البوسنة والهرسك وأفغانستان والسودان ولبنان، ثـم مواقفه الشهيرة والمعروفة حيال القوتين المتصارعين في الأمس القريـب؛ أي الإتحاد السوفيتي السابق والولايات المتحدة الأمريكية، ووجهة نظـره الصريحة والحاسمة بالنسبة إلـى الكيـان الغاصـب والظـالم والإرهـابي الصهيوني في فلسطين المحتلة ومواقفه الراسخة والقوية والـشجاعة أمـام

جميع المتجبّرين والمتحكّمين في العالم اليوم، كل هذه المواقف الشجاعة والمداخلات الشريفة والرؤى السليمة لم تأتِ إلاّ نتيجة العقائد والأفكار المبدئية للنظام الإسلامي حسب نظرة الإمام رحمه الله.

وإمامنا الكبير عن طريق إبرازه وإبداعه وطرحه لهندسة المدرسة السياسية للإسلام، قد شطب على جميع المحاولات والمساعي الثقافية والسياسية لأعداء الإسلام، طوال قرن ونصف القرن الماضية، حيث أنّهم خططوا جاهدين لطرد الإسلام بصورة نهائية من مجالات الحياة الإجتماعية واستبدال ذلك بطرح نظرية العزل والفصل بين الديانة والسياسية(العلمانية) والإيحاء بأنّ الديانة هي الإنصراف إلى العبادة والأعمال الشخصية البحتة وعن طريق إبعاد الإسلام عن الساحة السياسية في العالم، يتم تمهيد السبيل لغزو ونهب ومداهمة الدول الإسلامية من الناحية السياسية والعسكرية.

وتزاماناً مع إبراز وتعليم وتبليغ معالم المدرسة السياسية للإسلام والتي قد امتاز فيها دور الشعب وإرادته ومطالبه وكذلك دور الهداية الإلهية والأحكام القرآنية المؤثرة في إسعاد الناس وفي إدارة وتدبير حياتهم العامة والشؤون الحكومية وكذلك قد قام بتعيين وتبيين مكانة الإيمان والجهاد والإرادة الشعبية والإدارة الحكومية، ثم أنّ الكفاح العريض والمقاومة الواسعة لأبناء الشعب، أخذت تتجه نحو المنطق والعقلانية، ثم

أنّ الإمام الحكيم واللبيب والشجاع قد أضاء ساحة المقاومة، كشمس زاهرة وكوكب مضيء بصفته قائداً فذاً، لا يعارضه قائد ولا يواكبه رائد وتمكن من توجيه وتشجيع الجماهير المليونية المحتشدة في سوح النهضة الإسلامية ومن جانبه فإنّ القيادة الحكيمة والواعية دوماً لسماحة الإمام الخميني رحمه الله أدّت إلى صلابة الإرادة الثورية للشعب إزاء الهجوم والغزو الوحشي الذي قام به النظام الملكي البائد وعملائه الخونة ضد الشعب الإيراني المقاوم واندلاع ألسنة إستياءه وقراره الثوري أكثر فأكثر، حيث وصلت جميع المساعدات السياسية والنظامية والإستخباراتية الأمريكية والصهيونية وبقية المدافعين عن النظام البهلوي المنحوس والتي كانت تقدم وتهدى بسخاء تام ـ طوال هذه المدة العصيبة والفترة الحرجة ـ للنظام الشاهنشاهي الفاسد، فوصلت كل هذه المساعي المستميتة إلى طريق مسدود ولم تجدي نفعاً، بل إنّ الشعب الإيراني البطل، تمكّن باستمداد العون والعناية من جانب الباري عزوجل وحضرة بقية الله أرواحنا فداه وبسلاح الإيمان والجهاد وحبّ الشهادة والإستشهاد، أن ينتصر على النظام البهلوي المدجج بالسلاح وأن يقذف بالنظام الملكي المتهرئ والفاسد، بعد معاناة قرون طويلة من الظلم والإضطهاد والإستهانة والتحقير إلى سلّة النفايات ويُشيد البنيان الشاهق والصرح الشامخ للنظام الإسلامي على أساس الإيمان والمعرفة والمنطق والإرادة الشعبية.[1]

(١) نقلاً عن كتاب (الذكريات والحكايات) ج٥، ص ٥٦ـ ٥٨، صحيفة(جمهوري إسلامي) ١٣٧٧/١١/٢٤ هـ ش (١٩٩٨/٢/١٢م).

العناصر الرئيسية الأربعة في بناء الصرح الشامخ للنظام الإسلامي في إيران

نحن نقوم اليوم بتخليد الذكرى السنوية الثانية عشرة " زمن إلقاء الخطاب" لغروب الشمس الزاهرة في عالم الإمامة والولاية المعاصرة ـ أي قائدنا العظيم والكبير، سماحة الإمام الخميني رحمه الله ـ فلو أمعنّا النظر في سيرة هذا الرجل العظيم؛ وريث الأنبياء وأدائه على مسرح الحوادث وأرض الواقع، لوجدنا مواصفات إمام الهداية والرشاد في حياته وسيرته وتعاليمه بشكل واضح. والموضوع المهم جداً بالنسبة إلى الجميع هو أن نتعرّف على نهج الإمام وتعاليمه التي ترسم أبعاد شخصيته الحقيقية، أكثر من ذي قبل ولو أنّ شعبنا الواعي ـ والحمد لله ـ قد حفظ لنفسه، بالفعل، هذا الكنز المعنوي الكبير.

اليوم وأنا ماثل أمام هذا الجمع الغفير والإجتماع العظيم، أريد أن أشير إلى أحد أبعاد شخصية الإمام وأعرض عليكم ـ أيّها الأخوة والأخوات وأيّها الشعب الإيراني الباسل ـ جانباً من شخصية الإمام الراحل رحمه الله لأنّ ذكر سيرة الإمام الكبير لم تقتصر على بيان شخصية إنسان واحد، بل هي الدليل لخطة العمل لكل الشعب الإيراني المسلم وجميع المسلمين في العالم، وهي الهداية العملية لكل من يريد أن يوفّر لنفسه حياة إنسانية

كريمة في ظلّ الإسلام، وبطبيعة الحال إنّ الشعب الإيراني هو طرف الخطاب الأوّل لهذا الكلام قبل غيره، لأنّ الأمانة والمسؤولية التي أخذنا بها على عواتقنا ـ وهي الحفاظ على الإنجازات الهائلة للثورة الإسلامية ـ تعتبر امتيازاً متميّزاً، وعن طريق الحفاظ على هذه الذخيرة العظيمة والكنز الثمين، لا بد أن نشكر الله عزوجل على هذه النعمة، والمقصود بهذا البعد من شخصية الإمام هو أنّه قد قام بتصميم وهندسة نظام الجمهورية الإسلامية وقد أخذ رحمه الله بعين الإعتبار، كل العناصر والأجزاء التي من شأنها أن تجعل هذا النظام، نظاماً قوياً راسخاً وخالداً وشرع بتوظيف واستخدام جميع هذه العناصر الرئيسية في صميم هذا الصرح الشامخ والصامد بمهارة خاصة وحذاقة تامة، وهذه العناصر هي: الإسلام، الشعب، الإلتزام بالقانون ومحاربة الأعداء.

فقد استفاد الإمام الراحل رحمه الله من جميع هذه العناصر والأجزاء الأربعة في تشييد نظام شامخ يحكم إيران، محل النظام الملكي الفاسد، بدقة تامة وإشراف كبير وكان سماحته ملتزماً بهذه العوامل والأسباب وكان يشدّد عليها في رسائله وبياناته وتعبيراته وتعاليمه.

واليوم أيضاً كما كان الوضع قبل ٢٢ سنة (من زمن إلقاء الكلمة)، نجد الذين يرون بأنّ النظام الإسلامي لا يتطابق مع مصالحهم اللامشروعة،

وهم يقومون بمعاداته، فإنّهم في الواقع يحاربون ـ قبل كل شيء ـ هذه العناصر الأربعة، والجدير بالذكر أنّ بلورة مساعي هؤلاء ترتكز على استلاب عنصر الإسلام من النظام أو مصادرة موضوع الثقة بالشعب والإعتماد عليهم ـ بنفس المعنى الواسع والرائع الذي كان يلتفت إليه الإمام ﵀ ـ أو أن يهدّدوا الهيكلية القانونية والإطار الشرعي لها وأن يسرقوا الوعي واليقظة الشعبية الدائمة أمام الأعداء فيبدلوا اليقظة بالسبات والغفلة؛ ومن هنا فلا بد لنا أن نهتم بهذه العناصر الأربعة الرئيسية أكثر فأكثر، واليوم أريد أن أشرح لكم كل واحدة من هذه العناصر باختصار وإيجاز:

١ـ عنصر الإسلام في النظام الجديد

العنصر الأول والذي يعتبر من أهم العناصر الواردة في بناء وإنشاء صرح النظام ـ هو انتهاج الإسلام والإستناد على المبادئ الإسلامية والقرآنية المتينة، وهناك الكثير من الناس قد غفلوا أو تغافلوا عن درك هذه الحقيقة المؤثرة جداً، في حين أنّها كانت السرّ الكامن في الثورة الإسلامية، لأنّ شعبنا كان ولا يزال يؤمن بالإسلام ويرى نفسه مرتبطاً وملتزماً به. وأغلبية الشعوب الإسلامية هي كذلك؛ فإذا ما أزيلت العراقيل والموانع عن طريقهم، سيظهر إيمانهم القوي بالإسلام، بوضوح أكثر، ومن

هنا لمّا شاهدت الجماهير راية الإسلام وهي ترفرف في يد الإمام الخميني رحمه الله الكفوئة وأصبحت لديهم ثقة تامة بأنّ الإمام قد نزل إلى الميدان ودخل الساحة حقاً لإحياء العظمة والمجد الإسلامي التليد وتأسيس نظام إسلامي قوي، لهذا أحاطوه واتبعوه وبعد أن انتصرت الثورة، واصلوا حضورهم بنفس الدافع وبشكل طوعي وبرغبة جارفة في ميادين التحدي الخطر، لأنّ إيمانهم بالإسلام كان عميقاً وقوياً للغاية.

لكن بعض الأشخاص الذين كانوا يعتبرون أنفسهم من القادة والرموز في الأحزاب السياسية والمطلعين على القضايا المرتبطة بالسياسة، كانوا يرفضون ذلك، وباستثناء من كان لا يعترف بالإسلام، كانت هناك جماعات أخرى تؤمن بالإسلام، لكنّها ظلّت معارضة للنظام الإسلامي، لهذا فقد ظهر تيار يتحرك في جهة مضادة لمسيرة الثورة الإسلامية وبالتوازي مع خط الإمام، كان يدعو هذا التيار إلى نظام علماني، مأخوذ من النظم الغربية، يحمل ظاهراً ونزعة إسلامية في الخارج، ومواصفات علمانية وغير إسلامية في الباطن، الإطار الخارجي إسلامي، في حين أنّ التحيّز واتخاذ المواقف غير إسلامية.

بطبيعة الحال إنّ هؤلاء كانوا يرغبون في أن يكون لهم رجال دين، طيبي السمعة بين أفراد الشعب ليرفعوا من مستوى مقبولية ومحبوبية

نظامهم أمام الشعب، لأنّ الشعب يؤيد الإسلام، فكانوا يحبّذون أن يُواكب فكرتهم ونظامهم رجل دين مرموق حتى يظهروا للناس بشكل إسلامي وعندها فإنّ رجال الدولة في هكذا نظام، هم الذين سيرسموا خطة العمل في النظام طبقاً لما يرغبونه ويشخصونه، وبإمكانهم أن يقوموا بإدارة دفة النظام بنفس الصورة الغير الإسلامية وهو في الحقيقة شكل آخر من النظام الملكي الذي أجري عليه شيء من الإصلاح والتجميل فيصبح مقبولاً من قبل رجال السياسة والقوى العظمى في العالم، حيث أنّ الظاهر والصبغة الدينية ستعود عليهم بهذه الفائدة بأن تجعل القوى الشعبية إلى جانبهم وكلما احتاجوا إلى حضور وتواجد الشعب في أوقات الحرب والدفاع ودفع الضرائب وما شاكل ذلك، فإنّ هذا الظاهر الإسلامي سيدفع الناس إلى التعاون مع النظام، وإذا لم تتحقق ولم تؤمن الحقوق الشرعية للشعب، فهذا لا يهم وإذا لم يبدأ الكفاح ضد المستولين والسلطويين، فلا بأس، وإذا ما وقع استقلال البلاد وثقافة واقتصاد الشعب في قبضة الأعداء، فقد وقع! ولهذا أمر سماحة الإمام رحمه الله منذ البداية الأولى للثورة الإسلامية بأن يكون تدوين وإعداد الدستور بيد الخبراء المنتخبين من قبل الشعب وفي كل مرة كان يذكر فيها الإمام رحمه الله إسماً للإسلام وأثراً من الحضور الحقيقي للإسلام، كان هؤلاء يعارضون ويخالفون ذلك ولأنّ الهدف النهائي كان مرتبطاً بـ(ولاية الفقيه)، فهؤلاء كانوا يعارضون ويكافحون

هذه القضية بارتباك وتهالك، ومن الجدير بالذكر أنّهم لم يعارضوا قضية (الولاية)، لأنّ الولاية هي (الحكومة) وهم متعطشين إلى الحكومة والسلطة، بل إنّ معارضتهم كانت مع (الفقيه) " في مسار موضوع" ولاية الفقيه"، لأنّه يرمز إلى حضور الدين بشكل حقيقي وواقعي في المجتمع وهذا هو الشيء الذي لن يوافقوا عليه ولم يطيقوا وجوده ولهذا كانوا يعارضون كل حضور حقيقي للدين الإسلامي.

سماحة الإمام الخميني رحمه الله قد تصدى لهذا التيار ـ الذي كان يواليه البعض من قطاعات الشعب ـ بل وركّز على المبادئ الإسلامية وشدّد على تركيبة وهيكلية النظام الإسلامي بجدّ ونشاط، لأنّ الإمام كخبير وعالم بالإسلام كان يؤمن ـ واليوم نحن أيضاً نؤمن ـ بأنّ السعادة والرفاهية والحرية والعزة وكذلك العدالة والثقة بالشعب ـ بالمعنى الحقيقي للكلمة، سوف لا تُؤمّن إلاّ في ظل أحكام الإسلام، فهؤلاء الذين أطلقوا شعارات العدالة والسيادة الشعبية و.. أثبتوا بأنّهم غير قادرين على تأمين الحقوق والمصالح العادلة للشعب، في حين أنّ الإسلام بمقدوره أن يفعل هذا، فالإستناد والإتكاء على الإسلام أمر جدير، لأنّه قادر على أن ينقذ الشعوب، ولهذا نرى بأنّ الإمام خلال هذا العقد من حياته الشريفة بعد انتصار الثورة الإسلامية قد قدّم إرشادات وتوجيهات قيّمة في مجال تدوين وكتابة الدستور وكذلك بصدد الشؤون التي تخصّ المسلمين

والشعوب الإسلامية حول التركيز على الإسلام وهذا بالذات قد أدى إلى أنّ نظام الجمهورية الإسلامية ـ مع وجود هذه العداوات المتزايدة والخصومات المترامية له من قبل القوى العالمية ـ قد كسب أنصاراً كثيرين؛ بالملايين من بين جميع الشعوب الإسلامية من جهة وأشعل في قلوبهم نار الشوق والأمل والدافع القوي نحو أسلمة حكوماتهم من جهة أخرى، ثم قام بتمهيد السبيل لإيجاد الحركة والنهضة الإسلامية الشاملة، في جميع أرجاء العالم الإسلامي الكبير.

واليوم أيضاً، إن كان نظام الجمهورية الإسلامية ومسؤولي ورؤساء هذا النظام يتمتّعون بالعزّة والكرامة والسمعة الطيبة، فهذا كلّه يعود إلى فضل الإسلام الأغر ـ ولا فرق إن كان هذا الإحترام من جانب الذين يؤمنون بالإسلام أو لا يؤمنون به في العالم ـ فالعزة والسمعة التي يقيمون لها وزناً ويعترفون بها فهي تعود لنظام الجمهورية الإسلامية والمسؤولين وهي من أجل الإسلام، وحتى بالنسبة إلى الذين لا يؤمنون بالإسلام، فإنهم يقرّون بالدور الهام والتأثير العميق والقدرة الهائلة الكامنة في الإسلام ويعلمون بأنّ الإمام الخميني رحمه الله؛ هو الذي يرمز إلى هذا الدور الرئيسي وهذا التأثير الخالد وهذه القدرة العملاقة ولهذا فهو يحظى بمكانة عالية وشموخ وجلال عظيم عندهم.

لقد شدّد الإمام الخميني على الإسلام كثيراً، ولم يقتنع بترديد إسم الإسلام وحده، بل ظلّ يؤكد على سيادة القوانين الإسلامية في جميع الدوائر والمؤسسات الحكومية، بطبيعة الحال، هذا العمل لم يكن أمراً مفاجئاً ولم يحدث على حين غرة، بل كان عملاً طويلاً ومضنياً، على المدى البعيد، حتى أنّ الإمام كان مطلعاً على هذه النقطة بالذات، وكان يعلم بأنّ هذه المبادرة لا يمكن لها أن تتحقق، على المدى القريب، لكنّه فتح الطريق ودفع بعجلة الأمور إلى الأمام وأراء معالم الإتجاه ومن هنا قد فهم الجميع عمق وجدية الموضوع، بأنّ لا بد أن تسير الأمور باتجاه تطبيق الأحكام الإسلامية وتعاليمه الراقية والعمل على إيجاد صيغة هيكلية إسلامية للنظام الحكومي والإجتماعي، حتى تتهيأ الظروف المؤآتية لضمان العدالة ودفع الفقر واقتلاع الفساد من الجذور وحتى يمّهد السبيل لسد الثغرات التي أوجدت هذه الأمراض المستفحلة والعاهات المسرية المفروضة على كاهل الشعب.

والآن دعوني أتكلّم معكم ـ أيها الشعب الإيراني الكريم ـ بصفتي أحد المسؤولين الذين لهم معرفة بالإحصائيات والأرقام والأعداد المذكورة في حقيقة وضع المؤسسات الحكومية، وأقول لكم: متى ما تعاملنا مع الأحكام الإسلامية بشكل حازم وحاسم وعلى أساس الوعي والمعرفة ومن منطلق الرؤية الشفافة الواضحة، ثم بدأنا بالعمل والحركة وكانت

نوايانا تشير إلى تطبيق الإسلام بصدق وجدّ، قد حالفنا الحظّ هناك كسبنا فوزاً كبيراً في ذلك المجال؛ وهكذا متى ما ترون الفشل والإحباط والوهن والضعف يخيّم هنا وهناك، فهو نتيجة غفلتنا أو تغافلنا عن الإسلام والأحكام الإسلامية والتربية الإسلامية، فأينما تجدون الإنتكاس والإنتقاص في الشؤون الدولية والإقتصادية والسياسية والمجالات التربوية بين الشعب، فإذا ما دقّقتم واستقصيتم الأمر، ستصلون إلى هذه النقطة بأنّ التعاليم الإسلامية وأحكام الشريعة قد كانت على الهامش ولم تصرف إليها الجهود والطاقات. وهذا الشأن كان سماحة الإمام الراحل رحمه الله يعمل جيداً بأنّنا لو تمسّكنا بالإسلام، لظهرت للناس العزّة والكرامة الدنيوية والرفاهية المادية والقدرة السياسية والأمن والاستقرار العام ومن خلال هذه الرؤية الصائبة، نرى الإمام رحمه الله وهو يضع الأيدولوجية الإسلامية ـ بمعناها الحقيقي ـ في صميم النظام الإسلامي وهذا الصرح الشامخ والبناء الرفيع الذي قد بُني على أساس الإسلام.

٢ـ عنصر شعبية النظام الجديد

العنصر الثاني الذي اهتم به سماحة الإمام رحمه الله كثيراً، هو عنصر (الشعب)؛ والحديث عن الشعب موجود في أغلبية النظم الحاكمة في العالم تقريباً ولا أحد يتجرأ ليقول أنا أريد أن أعمل لغير مصلحة الشعب

وعلى عكس مصالحهم وحتى في النظم الديكتاتورية والإستبدادية الملكية المطلقة الموروثة عن الآباء والأجداد، لا يقول أحد ـ بالمرة ـ بأنّي سأقوم بإجراءات تعارض مصالح الشعب؛ إذاً فإنّ هذا الزعم والإدّعاء قائم على قدم وساق عند الجميع، لكن المهم في الموضوع هو أين يمكن أن يُعترف بمكانة الشعب ومنزلته وحقه ودوره في تعيين مصيره حقاً؟ لمّا كان الإمام﵀ يؤكّد على عنصر (الشعب)، لم يكن يقصد التشدق بهذه العبارة السحرية، بل كان يؤمن بأصالة هذا العنصر(الشعب) في النظام الإسلامي ـ بكل ما في الكلمة من معاني ـ وكان يصبّ جلّ اهتمامه الدقيق والحقيقي حول دور الشعب في عدة مجالات منها: المجال الأول هو استناد النظام وارتكازه على آراء الشعب ويعتبر ذلك من أحد الساحات التي تتصدر فيه إرادة الشعب القضايا المصيرية، إذ أنّ حضور الشعب والإيمان به لا بد أن يبرز في هذا الميدان.

ولهذا فقد أكّد الدستور الإسلامي وشدّد سماحة الإمام﵀ في إرشاداته وتعاليمه بشكل مستمر ودائم على هذه النقطة بأنّ النظام من دون دعم الشعب وأصواتهم، لا يساوي شيئاً. فلا بد أن يكون التنصيب للزعامات في المجتمع عن طريق آراء وإرادة الشعب ولا بد أن تسير الأمور على أساس الإرادة الشعبية، فانتخابات رئاسة الجمهورية وانتخاب

مجلس الخبراء والإنتخابات التشريعية وغيرها من الإنتخابات، تشكّل مظهراً بارزاً لحضور آراء وإرادة الشعب، فهذه هي إحدى المجالات ومن هنا نرى أنّ الإمام الخميني الكبير رحمه الله قد واصل هذا التأكيد والتشديد على هذا العنصر الهام في النظام طوال حياته الشريفة وحتى في وصيته القيمة حيث أنّه قد أوصى الشعب والمسؤولين بأهمية الموضوع.

وفي الحقيقة أنَّ الإنتخابات وحضور الشعب في مجال انتخاب رئيس الجمهورية ونوّاب المجلس وبقية الإنتخابات الأخرى والتي تعتبر من جهة حقاً مشروعاً لهم وواجباً ملزماً عليهم، ففي النظام الإسلامي، الشعب هو الذي يقرّر ويتخذ الموقف الحاسم والمصيري تجاه القضايا المختلفة ومصدر هذه الصدارة للشعب هو الإسلام.

المجال الأول، وهو يتعلق بنفس القضية الأساسية التي قد أكدتُ عليها مراراً وتكراراً، والتي تتمثل في النزعة الإسلامية في النظام الإسلامي ولا يمكن أن تكون منفصلة عن النزعة الشعبية، لأنّ النزعة الشعبية تستمد جذورها من الإسلام، فحينما نقول(النظام الإسلامي)، لا يمكن إطلاقاً أن يغيب أو يغيب الشعب عن معترك الأحداث فيه، لأنّ القاعدة الأساسية والركيزة الحقيقية هي حق الشعب في هذه الإنتخابات والتي تصدر من الإسلام ذاته؛ لذلك نقول بأنّ السيادة الشعبية في إيران، هي سيادة شعبية

دينية تمتلك منطقاً محدّداً وفلسفة معينة، فلماذا يتوجب على الشعب أن يُدلي بأصواته في الإنتخابات؟ لماذا هذه الأهمية وهذا الإعتبار لآراء الشعب؟ فهذه القضية لم تستند على العواطف والأحاسيس الجوفاء الفارغة أو الإعتبارات الواهية، بل هي مرتكزة على قاعدة إسلامية قوية جداً وتعتبر من أحد المجالات التي ظل يؤكد عليها سماحة الإمام﵀ وقام بنصبها وترسيخها في هيكلية النظام الإسلامي، فأصبحت خالدة إلى الأبد، وهي تتبلور بحضور الشعب في انتخاب واختيار المسؤولين في النظام، حيث أنّ جميع الأعمال والمسؤوليات تعود إلى إرادة الشعب ومطالبهم.

والمجال الثاني، هو الموقف والمشهد الذي يجب على المسؤولين فيه أن يؤدّوا واجباتهم ويقوموا بوظائفهم إزاء الشعب، ولمّا نقول، (الشعب)، لم يعني ذلك أنّ الشعب لا بد أن يأتي إلى صناديق الإقتراع ويدلي بآرائه، ثم يقوم بانتخاب مسؤول أو نائب، وبعد هذا، تنتهي مسؤوليته وتغلق مهمته تجاه الناس، بل إنّ الموضوع يقتصر على كسب الفوز في الإنتخابات للمرحلة الثانية و.. لهذا يقوم ببعض الأعمال لصالح الشعب، لا، ليست المسألة هكذا.

ففي النظرية الإسلامية ونظام الجمهورية الإسلامية تتركز حكمة وفلسفة تصدي المسؤوليات وقبول المهام من قبل المسؤولين في البلاد على أن يعملوا ويثابروا جاهدين لصالح المجتمع والشعب، فالمسؤولون في هذا النظام هم للناس وفي خدمة الشعب ومدينين لهم وأمناء على مصالحهم، فالشعب هو المحور الأساس، والذي يحصل على مسؤولية في النظام الإسلامي، عليه أن يعكف بكل جدّه وجهده لخدمة الشعب، ولا بد أن يفكّر ويعمل لصالح الأمور الدنيوية والمادية وكذلك الشؤون الروحية والمعنوية للناس، ويقوم بإقامة العدل بين الناس، حيث تعتبر هذه القضايا من الواجبات الرئيسية في الحكومة وبطبيعة الحال لمّا نقول(الشعب)، المقصود هو جميع فئات الشعب، لكن من البديهي أن تكون العناية أكثر تركيزاً على الذين عانوا أكثر من غيرهم، من الحرمان والفقر، على هذا الأساس كان الإمام الراحل﵀ يؤكد دائماً على الطبقات المحرومة والمعوزين الحفاة في البلاد، فمن يزعم أنّه يعمل من أجل الشعب، لكنّه في الحقيقة يعمل لصالح الطبقات المرفّهة والثرية، لا الفئات المستضعفة والمحرومة من الناس، فهذه خدعة ومراوغة، وطبعاً نحن لا نقول بأن لا يقدّم أحد أي خدمة للطبقات المرفّهة والثرية، بل لا بد أن يستفيدوا ويتمتّعوا من حقوقهم العامة في البلاد، في حين أنّ الذي كان ولا زال يعاني من الحرمان وقد فقد أبسط حقوقه الطبيعية، أحرى بالعناية

والإهتمام، ولهذا ظلَّ يؤكّد الإمام ﷺ على حقوق المستضعفين والمحرومين والمعوزين والحفاة والواقع أيضاً يشير إلى أنَّ الذين وقفوا في الجبهات الأمامية من ساحات القتال ودافعوا عن النظام وتحملوا الصعاب والأزمات بكل ترحاب وتصدّوا للأعداء ببسالة، وخلال فترة انتصار الثورة الإسلامية ولحد اليوم وقبل اليوم، هم الطبقات المحرومة والمستضعفين والحفاة في المجتمع، فهؤلاء لا بد أن يحظوا بعناية وتكريم أكثر.

المجال الثالث، هو الآخر يسير إلى أساس محورية الشعب ويتلخص في قضية استثمار أفكار وأعمال أفراد الشعب في سبيل إعلاء مكانة الوطن، أي أنّ المواهب لا بد أن تزدهر وتخرج من مكامن ومخابئ النفوس، فكان سماحة الإمام ﷺ يخاطب دوماً الشباب وطلاّب الجامعات والمفكرين في البلاد والذين يمتلكون المواهب الخلاّقة والذكاء والإبداع ويقول لهم: آمنوا بأنفسكم وثقوا بمواهبكم وطاقاتكم واعلموا بأنّكم قادرين على العمل، وكان هذا في تضارب واضح مع تلك الإلقاءات والإيحاءات التي كانت تلقّن الشعب الإيراني طوال عهد الإستبداد في البلاد بأنّهم غير قادرين على خلق أي شيء ولقد شاهدنا ـ خلال فترة الثورة الإسلامية ـ الذين لم يثقوا ولم يؤمنوا بالمفهوم الحقيقي للإسلام، فهم لا يؤمنوا بالمفهوم الحقيقي للإسلام، فهم لا يؤمنون أيضاً بالكفاءات

الداخلية، بل كانوا يشخصون أنظارهم ويعقدّون آمالهم على ما هو خارج حدود البلاد ولم يكونوا واثقين بالشعب وطاقاته الجبّارة، في حين أنّ الإمام الراحل﵀ قد رسّخ هذه النظرية بأنّ المواهب لدى الشباب الإيرانيين لا بد أن تترسّخ حتى يشعروا بها بقوة تامة وقدرة كاملة ولهذا فإنّكم تشاهدون بوادر المعرفة والإرتقاء العلمي والتقدّم الصناعي في البلاد، بعد انتصار الثورة الإسلامية والذي قد حصل نتيجة هذا الإيمان بالذات، وأينما تجدون آثار التبعية والذيلية التي تعني الإستهانة بالشعب ومواهبه، قد جاءت نتيجة نقيض هذا الإيمان.

المجال الرابع يخصّ اهتمام سماحة الإمام﵀ بالشعب والمقصود منه هو ضرورة التوعية الدائمة والمستمرة للشعب؛ حيث أنّ الإمام بالذات وفي سنين الشيخوخة والكهولة، كان ينتهز الفرص المؤآتية دائماً ليظهر الحقائق للناس، بأنّ قضية التحريف والتضليل تلعب دوراً خطيراً للغاية في أجهزة الإعلام العالمية ولهذا كان الإمام يهمتم بهذا الموضوع ومن هذا المنطلق كان يتدخّل شخصياً وبشكل مستمر في موقع التبيين والإرشاد وهداية الناس وهكذا كان ينصح الآخرين باستمرار ليصرّحوا بالحقائق للشعب، لأنّ هناك وسائل إعلام واتصالات فكرية لا يمكن الوثوق بها ولها انتماءات صريحة إلى أعداء البلاد والشعب، تلك الحقائق التي يسعى الأعداء كتمانها وشطبها ولهذا فنحن نؤكد وننصح أصحاب

الأقلام والألسن والمنابر دوماً ليعبّئوا طاقاتهم ويحـدّدوا أهـدافهم حـول التبيين الصحيح للحقائق الجارية على الساحة.

واليوم نرى العدو وهو يقف في الجهة المقابلة تماماً ويعمل بجد علـى نقيض هذه النقطة الأساسية الإسلامية، فمنذ بداية الثورة الإسلامية كانـت قضية تحريف الحقائق والتاريخ من أهم أهـداف واسـتراتيجيات العـدو، وهو متى ما نجد ـ في وقت ما وفي داخل البلاد ـ حنجرة عميلة أو قلـم أجير يهدف إلى تحريف وتزييـف حقـائق الحـرب المفروضـة والثـورة والإسلام، لهذا كانوا يواجهون التشجيع والتصفيق من جميع أطراف العالم اليوم!

والأوضاع في الوقت الحاضر هي كذلك أيضاً، فإذا شرع الـبعض فـي داخل البلاد بالتقوّل في حديث انحرافي حول الإسـلام، وتـاريخ الثـورة والوجوه البارزة في الثورة أو في تأليف ملفّق ضـد هـذا الـشعب وهـذا الوطن، ستشاهدون الدعم والتشجيع ينهال من كل أطراف العالم وأجهـزة الإعلام الإستكبارية.

على أي حال فموضوع التبيين قضية مهمّة جداً ومما لا شـك فيـه أنّ الشعب يتجه نحو ما يراه صحيحاً ويتقدّم صوب رؤيتـه الذاتيـة، وإذا مـا تمكّن شخص أن يحرّف الحقائق في أنظار الناس، في الحقيقـة قـد دفـع

بواقع العمل وهمة السواعد وصلابة الإرادة إلى الضلال والتيه وهذا ما يبغيه العدو تماماً، ولهذا إذا ما تحرّكت الأقلام لتكتب شيئاً وتتّخذ موقفاً ضد أفضل أبناء هذا البلد، أي الشهداء والمجاهدين في سبيل الله وتُبدي بنظرها في هذا الصدد وإذا ما كتبوا المقالات والتعليقات ضد البسيج (قوات التعبئة) والجهاد والشهادة، سيتلقون التكريم والتشجيع من قبل الإذاعات الأجنبية والسياسيين والكتّاب الأجانب، فاليوم الكل مسؤول، من الذين يستخدمون خطابهم في مجالات واسعة وكذلك الذين يعملون في نطاق ضيق ومحدود إلاّ أنّ كلامهم يترك أثره المفيد في النهاية، كصفوف المدارس والجامعات والأوساط العمّالية وما شاكل ذلك، ومتى ما شاهدوا الحقائق ومحكمات الإسلام والثورة قد تعرّضت للإنحراف، فعليهم أن يوضحوا القضايا ولا ينبغي لأحد أن يلجأ إلى الصمت والسكوت. الإمام الراحل كان يهتم بهذه النقطة اهتماماً بالغاً وهذه هي إحدى الأشياء التي أدّت إلى قوام ودوام النظام الإسلامي في إيران.

٣ـ عنصر النظم والقانون في النظام الإسلامي

العنصر الثالث الذي كان يهتم به سماحة الإمام الخميني رحمه الله، هو النظم والقانون، ولهذا فقد عيّن الحكومة قبل أن تنتصر الثورة، في حين أنّ الثورات المعروفة العالمية أو الإنقلابات العسكرية التي تعرض وتعرّف

نفسها كثورة في العالم ـ حيث أنّ العالم قد اكتظ في العقود الوسطى من القرن الماضي الميلادي، بمثل هذه (الثورات) ـ في حين لم تكن كذلك، فلمّا كانت الثورة تحدث في بلد ـ ولا فرق إن كانت ثورة حقيقية، أم انقلاب مغلّف باسم الثورة ـ إذ لم يكن هناك شيء باسم الحكومة والترتيبات الحكومية والنظام الحكومي المتّفق عليه، بل تقوم جماعة باسم(أعضاء قيادة الثورة) بالإستيلاء على أمور البلاد، ثم تبادر بإجراءات طبقاً لما تتصوّر صحيحاً وصائباً ـ كيفما كان ـ لكنّ الأمر في الثورة الإسلامية لم يكن كذلك، لأنّ سماحة الإمام الخميني لم يسمح بذلك أبداً وانطلاقاً من هذه الرؤية، قام بتعيين أعضاء الحكومة حتى يستتب النظام والإستقرار في البلاد، في حين أنّ مجلس قيادة الثورة كان موجوداً في الساحة، لكنّ الإمام ﵀ كان يؤكّد على إدارة البلاد بشكل قانوني ومنطقي.

وقد أرجأ سماحته نوعية النظام وتشخيص ذلك بعد انتصار الثورة إلى عملية الإستفتاء العام وأخذ الآراء من الشعب، وهذا ما لا سابقة له في العالم، حيث لا يمكن أن تجد ذلك في إحدى تلك (الثورات) فنحن لم نسمع ولم نشاهد هذا من قبل أبداً؛ بأن يوكّل نوع النظام إلى أصوات الناس ـ خاصة في بداية الإنتصار ـ، فلم يمضِ من زمن الإنتصار على النظام الملكي في إيران سوى شهرين تقريباً، حيث قدّم الإمام ﵀

أطروحته حول الإستفتاء العام وكانت النتيجة أن صوّت الشعب لصالح (الجمهورية الإسلامية)، ثم بعد أشهر قليلة جداً من انتصار الثورة، اقترح الإمام رحمه الله على تدوين وإعداد الدستور للبلاد.

النقطة المهمّة هنا أنّ الذين باشروا بكتابة الدستور، لم يتم تعيينهم من قبل الإمام، بل قد تمّ ذلك عن طريق الشخصيات البارزة المنتخبة من قبل الشعب في انتخابات مستقلة ومن هنا تشكّل(مجلس الخبراء)، حيث أنّهم قد انتخبوا من قبل أفراد الشعب مباشرة ليقوموا بمهمة تدوين الدستور، ثم مرة أخرى أجري استفتاء عام لقبول الدستور، والمصادقة عليه، ولم يمض من عمر الثورة إلاّ سنة واحدة تقريباً، حيث تواجد الشعب في الساحة ليخوض انتخابات رئاسة الجمهورية، وبعد مدة قصيرة، جاء دور تشكيل مجلس الشورى الإسلامي و... إذاً نرى أنّ ركيزة العمل والقاعدة الأولى في مسار الثورة الإسلامية، هو النظم والقانون.

وقد بدأت عمليات الشغب والإخلال من قبل الذين لم يتمكّنوا مواكبة هذا الترتيب المنطقي والعقلاني للثورة ولم يخضعوا للتعامل السليم النزيه ولم يطيقوا حركة القانون، خطوة فخطوة في إطار إعادة النظام والإستقرار في البلاد، فمردوا وراحوا يخلقون القلاقل والإضطرابات، واليوم أيضاً نرى الحثالة المتبقّية منهم وهم يتّهمون الثورة بعدم اتباع القانون وإيجاد

الفوضى! في حين أنّ هذه الثورة كانت مظهراً بارزاً ورمزاً متميّـزاً للـنظم والقانون، ولهذا نقول بأن لا يمكن أن يجد نظير ذلـك أحـد فـي جميـع أرجاء العالم، في هذه (الثورات) التي حدثت هنا وهنـاك ـ أي ثـورات القرن الحالي أو القرن التاسع عشر على السواء ـ فمن المستحيل أن تـرى مثل هذه النزعة القانونية والشرعية في ثورة أخرى في العالم، ولهذا علينـا أن نغتنم هذه الظاهرة المباركة؛ حول الإلتزام بالنظم والقـانون والوظـائف القانونية لكل من القوى الثلاثة.

ومن هنا نفهم كيف أنّ الحركة الإعلامية والهجمة الدعائية واستفزازات الأعداء اليوم وفي كل فترة من فترات انتصار الثورة لحد الآن، وهي شـنّ حملاتها الشرسة ضد القوى الشرعية في البلاد ويعتبر هذا استمراراً لتلـك الإجراءات العدوانية التي نشأت منذ البدايـة ضـد الـنظم والقـانون فـي الجمهورية الإسلامية، حيث أنّ سماحة الإمام﵀ وقف ببسالة أمام جميع هذه المحاولات، ونحن أيضاً قد أكدنا دوماً على هذا واليوم أيضاً نكـرّر ونؤكّد بأنّ المسؤوليات والمهام والوظائف الملقاة على السلطات الثلاثـة والمسؤولين، المصرّح بهـا فـي الدسـتور، جـديرة بالإعتبـار والإحتـرام والمفروض على الجميع أن يخضعوا للقانون، لأنّ التحرّف والتمـرّد عـن القانون، يظهر بأشكال مختلفـة؛ وإحـداها هـي أن تُـشن حملـة دعائيـة وإعلامية دنيئة ورخيصة ضـد القاعـدة الأساسـية للدسـتور والترتيبـات

القانونية الأخرى، ثم انتهاك حرمات المسؤوليات الشرعية في كل مجال ومقال وهذا ما كان يصرّ عليه، أعداء الإمام رحمه الله والإسلام، منذ بداية الثورة الإسلامية، فتصدّى لهم الإمام أيضاً ووقف أمامهم وقفة عملاقة.

٤ـ عنصر مكافحة التيار السلطوي في النظام الإسلامي

العنصر الرئيسي الرابع الذي زرعه الإمام رحمه الله في قواعد نظام الجمهورية الإسلامية ـ ونحمد الله على ذلك، لأنّه أدى إلى بقاء واستمرار النظام ـ هو موضوع محاربة الأعداء ومواجهة الإستيلاء والإجراءات السلطوية، إذ لم يغفل الإمام ـ ولو للحظة واحدة ـ من مخادعات ومداهنات الأعداء وهكذا لم يسمح للمسؤولين أن يغفلوا عن مخططاتهم الشيطانية، لهذا فالنظام الإسلامي الذي قد قام بتهديد مصالح الأجهزة الإستكبارية العالمية في هذه النقطة من العالم وفي كثير من الدول الإسلامية، فمن البديهي أن يكون في معرض العداوات والأحقاد، حيث أنّ هؤلاء الأعداء والحاقدين كانوا قد استولوا على المصادر القومية والمؤسسات السياسية للبلاد، منذ سنين طويلة كثعبان جثت على كنز ثمين! فهل كان بإمكان أحد أن يتجرّأ ـ في النظام الملكي الغاصب والعميل ـ الكلام على شخص واحد من هؤلاء الأجانب الذين دخلوا إيران ليستحقروا الشعب ويدفعوه إلى الفقر والفاقة ثم يقوموا بسلب مصادره وثرواته ويجعلوه متخلّفاً ومتأخّراً عن

ركب الحضارة والعلم، وهل كان بإمكانه أن يتجرّأ ويقدم على أقل إجراء يجرح مشاعرهم؟! لا، لم يتجرّأ أحد على هذا! فالأمريكان والصهاينة وبقية الناهبين والغازين قد جاءوا إلى إيران بكل أمان وراحة، ثم كانوا يذهبون ويأخذون معهم ما يشاؤون من أموال الشعب، حيث أنّ سياسة البلاد كانت بأيديهم، والحكومات كانت تسقط وتعتلي أريكة الحكم بأمر منهم ورئيس الوزراء كان ينتخب حسب موافقتهم وجميع المواقف السياسية التي كانت تتّخذها إيران، لا تتبلور إلاّ في اتجاه مطالبهم ومصالحهم، في مثل هذه الظروف ظهر نظام الجمهورية الإسلامية، فبعثر وحطّم هذه الخطة المشؤومة، لكنّ الإمام الخميني رحمه الله كان يعلم بأنّ هؤلاء الأعداء سوف لن يركنوا إلى السكوت والسكون، بل سيقوموا بمحاولات جادّة وحثيثة، فإذا ما تلقّوا ضربة قاسية وصفعة قاهرة، ينسحبوا من ساحة المواجهة بشكل مؤقت ليتجهّزوا ثانية؛ وعلى هذا يتعيّن علينا أن نكون دائماً في حالة استنفار ويقظة وحذر تام، وأنا للأسف أرى اليوم أنّ البعض يروّجون ويسوّقون لما يطلبه ويبغي إليه الأعداء، وهذا خطأ وايهام كبير! لأن الأعداء لا يبغون شيئاً سوى هذه المفارقات والتضاربات وذلك ليعمل الناس في إطار إبعاد المسؤولين ورجال الحكومة والمشرفين على إدارة البلاد وأصحاب القرار ونوّاب البرلمان والمقننين لإسعاد حياة المتجمع، ليقوم الشعب بدور العامل على

غفلة وتغافل هؤلاء المسؤولين في الجمهورية الإسلامية وإبعادهم عن ساحة المواجهة مع الأعداء وتحدياتهم المتزايدة والمتوالية، هذا هو الخطر المحدّق بنا، فلا تسمحوا بذلك، ولا بد من معرفة الأعداء والتعرّف على أساليبه العدائية البغيضة وهذا شيء يجب أن لا ننساه أبداً وسماحة الإمام أيضاً كان يؤكّد ويركّز على هذه النقطة دائماً وبخصوص ما قاله حول (وجّهوا صرخاتكم ـ وبكل قواكم ـ صوب أمريكا) يصبّ في هذا المعنى بالذات.

خصائص المدرسة السياسية للإمام الخميني قدس سره

(أريد أن أشدّد هنا على المدرسة السياسية لسماحة الإمام الخميني رحمه الله، حيث أنّ هذه المدرسة السياسية لا يمكن لها أن تكون منفصلة عن شخصية الإمام الرائعة والخلاّبة، فالسّر واللغز في نجاحه وانتصاره يمكن في الأيدلوجية التي طرحها وتمكّن من خلالها أن يبلور ويجسّد نظاماً جديداً متميّزاً أمام مرأى ومسمع شعوب العالم.

ومّما لا ينكر هو أنّ الشعب الإيراني المقدام هو الذي أنجح الثورة الإسلامية المجيدة، حيث أنّه قد أظهر استعداداً واستيعاباً كبيراً وعظيماً في هذا الميدان، لكن هذا الشعب الشجاع لم يكن قادراً على خلق هذا الحدث العظيم من دون حضور الإمام ومدرسته السياسية الراقية، ولا بد

من التذكير هنا بأنّ المدرسة السياسية للإمام فتحت ساحة واسعة كانت أكثر شمولية وأعظم رحابة من مقولة تأسيس النظام الإسلامي في إيران، إذ أنّ المدرسة السياسية التي تم تصميمها والتخطيط لها ورسم معالمها من قبل الإمام الخميني(سلام الله عليه) والتي كافح وناضل وجاهد من أجلها وتمكّن في النهاية أن يبلورها ويجسّدها على أرض الواقع، فهذه المدرسة قد جاءت بكلام مختلف ورسالة متميّزة واقترحت منهجاً وطريقاً جديداً أمام العالم كلّه والإنسانية جمعاء، حيث أنّ هناك أشياء ومقولات خاصة في هذه المدرسة، تتعطش إليها البشرية ولهذا فهي لا تُصاب بالقدم ولا تبلى أبداً ومن هذا المنطلق أقول بأنّ الذين يحاولون طرح شخصية الإمام كشخصية قد تعلّقت بالتاريخ وترتبط بالماضي، سوف لن ينجحوا ولن يفلحوا في مساعيهم ومهمتهم هذه! لأنّ الإمام (قدس سره الشريف) حيّ ويتمتّع بالحياة والحيوية في مدرسته الفذّة وما دامت هذه المدرسة السياسية حيّة، فسيكون حضور ووجود الإمام خالداً بين الأمّة الإسلامية وحتى بين الأسرة البشرية وسيخلق آثاراً بديعة وإنجازات عملاقة كل حين.

المدرسة السياسية للإمام تحمل خصائص ومواصفات خاصة، وأريد اليوم أن أوضّح لكم بعض الخطوط العريضة والخصائص المهمة في هذه المدرسة:

الخصّيصة الأولى، هي أنّ القيم والمعنويات قد اندمجت هنا بالقضايا السياسية، ففي المدرسة السياسية للإمام، لا يمكن فصل المعنويات والأخلاقيات عن الحكومة والسياسة، فلا تباعد ولا انعزال بين السياسة والعرفان والسياسة والأخلاق، ولهذا نرى شخصية الإمام التي كانت بلّورة كاملة لهذه المدرسة السياسية وعلى نفس الغرار، إذ أنّه كان يتّصف بالسياسية والمعنوية وكان يواصل هذه النهج بجدّ، ولهذا نرى البؤرة المركزية والعمود الفقري لسلوك الإمام يعتمد على المعنوية، إذ أنّ جميع سلوكيات الإمام ومواقفه كانت تتمحور حول المحور الإلهي والمعنوي، حيث أنّ الإمام كان يؤمن بقوة بالإرادة التشريعية لله عزوجل وهكذا كان سماحته يعتمد على الإرادة التكوينية للباري تعالى وكان يعلم جيداً بأنّ الذي يسعى لتحقيق وتطبيق الشريعة الإلهية، فستدعمه قوانين ونواميس الخليقة، لأنّه يعلم: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1]، فالإمام كان يجعل من قوانين الشريعة الإسلامية مجرى وسبيلاً لحركته المباركة وعلائم ولوحات ترشده إلى سواء السبيل، وجميع مساعي الإمام رحمه الله كانت تصبّ لصالح سعادة وتقدّم الشعب والدولة وعلى أساس هداية الشريعة الإسلامية؛ لهذا فإنّ(التكليف الإلهي)

(١) الفتح:٤.

و(الواجب الديني) كان مفتاح السعادة بالنسبة للإمام الراحل﵀ ويمهّد له السبيل لينال أهدافه الكبيرة وتطلعاته المستقبلية.

لقد سمع الجميع هذا الكلام من الإمام حيث قال: (نحن مكلّفون لنقوم بواجباتنا ولسنا مكلّفين لأن ننتصر)، بطبيعة الحال، لم يكن معنى هذا الكلام، بأنّ سماحة الإمام﵀ لم يرغب في النصر والإنتصار.

بل إنّ الإمام كان يطمح ـ لا محالة ـ إلى الفوز والإنتصار لجميع أهدافه العظيمة، لأنّ النصر من نعم الله تعالى والإمام كان يتشوّق إلى النصر ـ ولم يكن يصدف عن تلك العطية الكبيرة، أو أنّه قد رغب عنها ـ في حين أنّ الذي كان يأخذ بيده نحو تلك الأهداف، هو التكليف والقيام بالواجب والمسؤولية الإلهية؛ كانت حركته ونهضته لله عزوجل، لأنّه كان يحمل هذا الدافع في نفسه، وعلى هذا الأساس لم يخف ولم يتردد ولم ييأس ولم يغتر ولم يتذبذب أو يتعب. فمواد هذه المواصفات والخصائص هو القيام بالواجب وأداء التكليف، لأنّ الذي يعمل من أجل القيام بالواجب لم يتردّد ولم يتزلزل ولا يصيبه الخوف والجبن والإعياء ولا يتراجع عن مسيرته التي بدأها، ثم إنّ المصالح الشخصية، لم تكن لتعيّن نهجه واتجاهه.

إنّ الذي يجمع السياسة مع العرفان ويدمج المعنويات بالممارسات السياسية معاً في برامج حياته، فسوف لن يبال بالموت ولا يخاف من

الفشل والهزيمة، حيث أنّ هذه السياسة تشكل النقطة المقابلة وعلى نقيض السياسة البالية والمندرسة والمندثرة الغربية التي تزعم أنّها سياسة راقية وحديثة زوراً وكذباً؛ ألا وهي سياسة فصل الدين عن السياسة وعزل الحكومة عن الأخلاق والمعنويات، إذ أنّ المدنية الغربية قد بنت قواعدها وشيّدت بيتها على أساس مكافحة المعنويات وشطب القيم الأخلاقية، وهذا هو الخطأ الكبير الذي ارتكبه الغربيون في حضارتهم الجديدة ومسارهم العلمي والصناعي الحديث في أوروبا، حيث أنّهم قد اهتموا بالعلم اهتماماً بالغاً ـ وكان ذلك عملاً ايجابياً وجيداً ـ لكنّهم بدؤوا يحاربون القيم والمعنويات وكان هذا سلبياً وسيئاً وانحرافاً وشذوذاً عن الصراط القويم، على هذا الأساس نقول بأنّ هذه الحضارة المادية والبعيدة عن المعنويات، كلّما تقدّمت وتطوّرت سيزداد انحرافها وشذوذها أكثر فأكثر؛ وستجعل الحياة مرّة ومأساوية لهم بالذات ولجميع الإنسانية، كما أنّها أوجدت هذه المرارة والمأساة الآن.

ظاهرة الإستعمار ـ التي قد أغرقت الآن، عشرات الدول والملايين من الشعوب، خلال أعوام طويلة في أصعب وأشد لجج الشقاء والعناء ـ ما هي إلاّ ثمرة سامّة، تمخّضت عن فصل العلم عن المعنويات والسياسة عن القيم والحكومة عن الأخلاق في أوروبا وكذلك الحرب العالمية الأولى والثانية، تعتبر من ثمارها المرّة السامّة، وهكذا ظهور الشيوعية وحكومات القمع والكبت الماركسية، هي من معطيات انفصال الحركة

العلمية والصناعية عن الأخلاق والمعنوية، وأيضاً فإنّ انهدام وتفكّك رحاب العائلة وتيارات التفسّخ الأخلاقي والفساد الجنسي واستيلاء الرأسمالية المتطرّفة، جاءت نتيجة لهذا العزل والفصل.

إنّكم اليوم ترون ذروة هذا الإنفصال وهذه العزلة ـ بأمّ أعينكم ـ في سجن أبو غريب والسجون الأخرى في العراق، حيث أنّ الذين يُشرفون على هذه السجون، يزعمون بأنّهم أصحاب أفكار راقية ومتقدّمة في الحضارة البشرية! أجل لقد شاهد الناس في كل أرجاء العالم ـ عن طريق الصور والأفلام التي التقطت من داخل سجون العراق ـ ثمار ونتائج هذا الرقي والتقدّم واطلعوا عليه، ثم أنّ الكوارث والمصائب التي يواجهها الشعب العراقي وقبله الشعب الأفغاني، لم تقتصر على هذه الأشياء فقط؛ بل إنّ هؤلاء المحتلين الأجانب قد قاموا بقصف مراسم العرس في أفغانستان، قبل حوالي سنتين وهكذا فعلوا في العراق قبل مدة وجيزة، إذ أنّ المقاتلات البريطانية، حوّلت حفلة العرس إلى مجلس عزاء وتأبين! إضافة إلى هذا كله، فنحن نرى في كل يوم استهانة واستحقار الشباب العراقيين وممارسة التعذيب ضد الرجال في العراق والإعتداءات الجنسية التي يرتكبها المحتلون ضد النساء العراقيات وانتهاك الأعراض والنواميس هناك ومداهمة الحرمات الآمنة للعوائل العراقية وتشكيل حكومة عميلة للشعب العراقي و.. كل هذا لم يأت إلاّ بفضل تلك الحركة التي بدأت

وشرعت على فصل الأخلاق عن السياسة، فهذه النتائج تتّبع تلك الرؤية بشكل قسري، لأنّ المعنويات والقيم قد أُلغيت وشطبت من الجهاز السياسي ولا ينكر أنّ الحكّام المستبدين والمتجبّرين وأصحاب الدكتاتوريات التعسفية في شرق وغرب العالم، كانوا يمارسون نفس الأعمال، فيما مضى، ولكن لما ظهرت هذه الشعارات الملفتة والجميلة كحقوق الإنسان ورأي الإنسان للأوروبيين ولما دخلوا ساحة العلم والتقنيات، فالإبتعاد عن القيم والمعنويات لم يسمح لهذه الشعارات الرنّانة التي كان يتوقّع منها وكانت تُفسّر، أن تجلب الخير والفائدة للإنسانية، كما كان ينبغي، بل إنّها أمست مدّعاة للشر والفساد، لكن الخطاب الجديد والنظرية الحديثة في المدرسة السياسية لإمامنا الأغر، المطروح والمعروض على العالم كلّه، هو أنّ جميع أركان وأجزاء البرامج والتخطيط للقوة السياسية، لا بد أن يواكب المعنويات والقيم ومن الضروري مراعاة المبادئ الأخلاقية، فهذه هي الخصيصة الأولى من خصائص المدرسة السياسية للإمام رحمه الله.

الخصيصة الثانية، هي الإعتقاد الراسخ والحقيقي بدور الشعب، حيث كان الإمام رحمه الله يؤكّد على كرامة الإنسان من جهة وإرادته المصيرية التي يقوم بها من جهة أخرى، ففي المدرسة السياسية للإمام تعتبر هوية الإنسان أصيلة، قيّمة، كريمة، قوية وفي نفس الوقت قادرة على العمل

ومؤثّرة، ولهذا فإنّ النتيجة الطيّبة والحصيلة القيّمة لمدرسة الإمام الأغر في السياسة هي أن تُحيل آراء الشعب، المرتبة الأولى في إدارة مصير الإنسانية والمجتمع ولهذا فقضية سيادة الشعب في هذه المدرسة والتي قد انبعثت من صلب الإسلام، هي سيادة الشعب والديمقراطية الحقيقية ولم تكن، بالطبع على غرار الديمقراطيات الأمريكية وما شاكلها التي تعتمد على المخادعات وتضليل الأفكار والآراء، بل إنّ الشعب هنا هو الذي يختار طريقه ومنهجه في الحياة، برأيه وبإرادته وإيمانه وهكذا فهو ينتخب المسؤولين في البلاد بنفسه، واستناداً على هذه الرؤية نرى سماحة الإمام رحمه الله بعد شهرين فقط من انتصار الثورة الإسلامية، يضع موضوع اختيار نوع النظام الحاكم على طاولة الإنتخابات الشعبية ولا بد من مقارنة هذا الإجراء الشجاع مع سلوك زعماء الإنقلابات العسكرية في العالم وكذلك السلوك الذي كانت الحكومات الشيوعية تعتمدها في الماضي وهكذا نوع التعامل الذي تقوم به أمريكا، حيث أنّها لا تسمح للشعب العراقي أن يبدي رأيه تجاه حكومته وأعضاءها ـ بعد مضي أكثر من شهراً ـ ثم أنّ ممثل الأمم المتحدة أقام أمس، مقابلة صحيفة قال فيها: لأنّ الأمريكيين لهم تواجد عسكري في العراق (قوات إحتلال) لهذا فلا بد للحاكم الأمريكي أن يشير برأيه في انتخاب أعضاء الحكومة! هذه هي ديمقراطيتهم، الديمقراطية لديهم لم تكن إلاّ تدبير الحيل والمراوغات

والديمقراطية لم تكن بصورة حقيقية حتى في بلدانهم، بل هي تظاهر خلاّب! وتفاخر أجوف وإدعاء كاذب يروّجون له عن طريق الإعلام والدعايات المنوّعة والملوّنة والأموال الطائلة التي ينفقونها في هذا المجال على هذا فإنّ أصوات الشعب هناك ضائعة وغير فاعلة في الواقع، في حين أنّ آراء الشعب في المدرسة السياسية للإمام حاسمة ومؤثرة بصورة حقيقية وهذا هو التثمين الصادق والكرامة الواقعية للشعب، ثم أنّ الإمام ﷺ بإتكاءه واستناده على قدرة أصوات الشعب، كان يؤمن بالإرادة الفولاذية الجبّارة للشعب، تلك الإرادة التي بإمكانها أن تقف وجهاً لوجه أمام جميع القوات المعتدية والغاصبة في العالم وقد تحدّت هذه القوات الغاشمة بالفعل وعلى أرض الواقع.

الديمقراطية في المدرسة السياسية للإمام، نابعة من صلب الدّين ومن: ﴿أمرهم شورى بينهم﴾ وكذلك من: ﴿هو الذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين﴾، إذ أنّنا لن نستلف هذه الفكرة والرؤية من أحد، فالبعض يتصور بأنّ الغربيين هم الذين يجب أن يقوموا بتعليمنا وتدريبنا حيث أنّهم لم يسألوا من أنفسهم كيف يجب أن يكون للشعب دوراً في إدارة الحكومات! في حين أنّ الغربيين هم لا زالوا في المنعطف الأول من هذا الطريق الطويل الشائك! فهؤلاء الأمريكان وهؤلاء الذي يدّعون الديمقراطية ويتشدّقون بها هنا وهناك، قد احتضنوا ودافعوا عن حكّام

دكتاتوريين، من مثل (محمد رضا بهلوي / شاه إيران المقبور) الذي حكم إيران طوال ٣٥ سنة بالنار والحديد والتعذيب والتشريد ومارس النظام الدكتاتوري المطلق في إيران وقبل هذا الشاه، فقد كان والده أيضاً قد ترّبع على عرش الملوكية ما يقارب العشرين سنة بالكبت والقمع والإستبداد، أجل هؤلاء هم أنصار الديمقراطية؟! إنّهم يكذبون ويزيفون ويقلبون الحقائق.

وفيما لو رغب شخص في مشاهدة ديمقراطية هؤلاء، فعليه أن يذهب إلى العراق، ثم إلى أفغانستان حتى يشاهد هناك سلوك هؤلاء مع الشعب الأفغاني المظلوم، وعليه أن يدقق في الدعم الشامل والكامل للديمقراطية الأمريكية مبتدءاً من (شارون) المجرم ومنتهياً بجميع الطغاة.

هذه هي ديمقراطيتهم، فهل باستطاعة الأفراد والشعوب أن تتعلّم الديمقراطية من هؤلاء؟! وهل هؤلاء يقيمون وزناً للإنسان؟! حتى يتكلّموا عن (حقوق الإنسان).

أُنظروا الجرائم البشعة التي ترتكبونها اليوم في فلسطين المحتلة، ألم يكن الفلسطيني إنساناً وله حقوق إنسانية؟! وألم يكونوا الأصحاب الشرعيين لأراضيهم ووطنهم المغتصب؟ وألا يحق لهم أن يكونوا أصحاب رأي وعقيدة؟ فاليوم تُمارس أبشع ألوان التنكيل والتعذيب

والتقتيل والتجريف والتهجير بحق الفلسطينيين والعراقيين وقبل ذلك أيضاً كانت تمارس بحق الآخرين في بلدان كثيرة أخرى، والملفت للنظر والغريب هو أنّ هؤلاء الذين يقومون بمثل هذه الأعمال المروّعة والمجازر والجرائم البشعة، هم الذين يزعمون ويدّعون حقوق الإنسان والديمقراطية بوقاحة وصلافة تامة! حيث أنّ الرئيس الأمريكي يدّعي بوقاحة كاملة بأنّ مسؤولية نشر الديمقراطية في العالم وفي الشرق الأوسط تُثقل كاهله!

أجل إنّ شعوب العالم تشاهد اليوم آثار هذه الديمقراطية الأمريكية في سجون ومعتقلات أبو غريب ونظائرها التي تتواجد وتنتشر بكثرة في العراق وأفغانستان وغوانتانامو و.. هذه هي ديمقراطيتهم وما يتشدّقون به في مجال حقوق الإنسان! ومن آلتيه والغفلة بمكان أن يتصور أحد من مجتمعنا أو من الأمّة الإسلامية بأنّ على الغربيين أن يقوموا بتعليم شعوبنا الديمقراطية وسيادة الشعب! لكنّنا نتوقع من أهل المنابر والأقلام وأصحاب الخطاب والكتّاب ومن الذين يلتزمون بالحق والإنصاف، أن لا يكون كلامهم ولا تكون كتاباتهم بشكل يخيّل للمرء بأنّ هؤلاء هم الذين يبعثون برسالة الديمقراطية إلى شعبنا، في حين أنّ الإمام الراحل رحمه الله هو الذي جاء بالديمقراطية وكذلك الثورة الإسلامية المجيدة هي التي جاءت بالديمقراطية الحقيقية.

في إيران وخلال قرون متتالية ومتمادية ـ باستثناء فترات قصيرة جداً، انقضت كلحظات عابرة وسريعة ـ كان لا يُعترف للشعب الإيراني بأي رأي وصوت(حتى طوال حياتنا المعاصرة، فنحن لم نشاهد صندوقاً للإقتراع في هذا البلد! إذ لم يقدر ولم يهتم أحد بآراء وأصواب الشعب الإيراني وقد كان الجفاء والإنتهاك من قبل المستبدّين يطال الناس خلال حكوماتهم الدكتاتورية بشكل متزايد. الحقيقة هي أنّ الإمام والثورة ونظامنا الإسلامي هم الذين منحوا الديمقراطية وسيادة الشعب لنا، في حين أنّ بعض الأفراد يتكلّمون بصورة، يخيّل للإنسان بأنّنا نريد خوض الديمقراطية توّاً ألم يعارض هذا مبدأ العدالة والإنصاف؟ وألم تعتبر غضّ الطرف والتغافل عن رؤية الحقائق على الأرض؟

الخصيصة الثالثة، من مواصفات المدرسة السياسية للإمام هي النظرة العالمية والرؤية الدولية التي تتّصف بها هذه المدرسة، وخطاب الإمام، في كلامه ونظريته السياسية، موجه إلى جميع البشر، فضلاً عن الشعب الإيراني الذي قد أصغى وأنصت واستوعب رسالة الإمام بكل كيانه وقد تحمّل المسؤولية كاملة وناضل من أجلها وتمكّن من استعادة عزّته واستقلاله؛ فهذه الرسالة موجّهة إلى جميع أبناء البشر كافة، إذ أنّ هذه المدرسة السياسية للإمام رحمه الله تريد الخير والإستقلال والعزّة والإيمان لكافة الأمة الإسلامية وجميع البشرية، فهذه رسالة قد حملها إنسان مسلم؛

بطبيعة الحال الفرق بين سماحة الإمام﵀ والذين كانوا يعتبرون لأنفسهم رسالة عالمية هو أنّ المدرسة السياسية للإمام لا تريد أن تجبر شعباً على الإيمان برسالته وانتهاج طريقه عنوة، عن طريق المدفعية والدبابة والأسلحة الفتّاكة والتعذيب، فالأمريكيون أيضاً يدّعون بأنّهم أصحاب رسالة ويهدفون إلى توسعة وتطوير حقوق الإنسان والديمقراطية.

أجل لقد فهمنا بأن طريق توسعة الديمقراطية، هو استعمال القنابل الذرية في (هيروشيما)؟! واستخدام المدافع والدبابات وإشعال نار الحرب والقيام بالإنقلابات العسكرية في أمريكا اللاتينية وأفريقيا و...؟! اليوم أيضاً نرى نفس المخادعات والمراوغات والأعمال التعسفية والجرائم الوحشية في منطقة الشرق الأوسط، إنّهم يريدون بسط حقوق الإنسان ورسالتهم العالمية! في حين أنّ المدرسة السياسية في الإسلام تسعى لنشر وبثّ الفكرة الصائبة والأطروحة الصحيحة والكلام الجديد في أجواء أذهان البشر، عندها يفوح عطرها كنسائم الربيع وعبير الأزهار، في كل مكان، فالذين يمتلكون حاسّة الشمّ السليمة، سيتمكّنون من استشمام هذه العطور والإستمتاع بها، كما أنّ الكثيرين من الشعوب في العديد من دول العالم قد استمتعوا بها، فالفلسطينيون مثلاً يقولون بأنّنا قد استعدنا حياتنا وجدّدنا وعينا ويقظتنا من خلال رسالة الإمام الخميني﵀ واللبنانيون أيضاً يصرّحون بأنّنا لم نتعلّم طريق النصر والإنتصار على جيش العدو

الإسرائيلي وطرد الصهاينة من لبنان إلاّ من مدرسة الإمام، ثم أنّ المسلمين، في كل أرجاء العالم والشاب المسلم والمثقّفون من أبناء الأمّة الإسلامية والنخب والرموز الإسلامية، يعتبرون فتوحاتهم الفكرية في المجالات السياسية، نابعة ومنبعثة من مدرسة الإمام رحمه الله الفكرية، وجماهير الأمة الإسلامية، يشعرون بالعزّة والكرامة باسم الإسلام، وهذه هي الرؤية العالمية لمدرسة الإمام الراحل بشأن القضايا الإنسانية في المجتمع الإسلامي، ولم يقتصر الموضوع على العالم الإسلامي من خلال هذه النظرة، والقضية الفلسطينية اليوم، تعتبر قضية أساسية وإستراتيجية بالنسبة لنا، لهذا فالمصائب والأزمات التي تواجهها الأمة الإسلامية، مؤلمة ومريرة بالنسبة لنا، وكل ما يحصل في العالم الإسلامي، هو مهم وأساسي بالنسبة إلى الشعب الإيراني وكل الذين يعشقون إسم الإمام الخميني الكبير وذكراه العزيزة، وليس بإمكانهم أن يقفوا أمام هذه القضايا، موقف المتفرج، من دون أي اهتمام واكتراث، ولهذا نرى بأن العالم الإستكباري يريد أن يمارس أبشع أنواع الجرائم، في حق الشعوب الإسلامية، في حين أنّ باقي الشعوب الإسلامية، لا ترى ولا تدرك ولا تعتزم على أمر ما وحتى أنّها لا تعارض على شيء، لكنّ الشعب الإيراني يرى ويدرك ويعارض ويندّد ويتّخذ مواقف بطولية تجاه قضايا العالم الإسلامي ولهذا فلا يبقى متفرّجاً، مكتوف الأيدي من دون اكتراث واهتمام يُذكر.

الخصيصة الرابعة، لمدرسة الإمام السياسية،هي الصيانة والدفاع عن القيم، التي قد شرحها وبيّنها سماحته ﵀ في مسار توضيحاته حول موضوع ولاية الفقيه، حيث أنّ الكثيرين حاولوا ـ منذ بداية الثورة الإسلامية وانتصار الشعب وتأسيس النظام الإسلامي ـ لتشويه موضوع ولاية الفقيه وتهميش هذه الفكرة على أساس مخالفة للواقع، وعرض الرؤى المشوّشة والكاذبة التي لا تنطبق على واقع الأمور والتوقّعات المعارضة لصلب النظام السياسي الإسلامي والفكر السياسي لسماحة الإمام العزيز ﵀، فإذا ما سمعتم بأنّ القائمين على الإعلام من الذين قد انحازوا وانجذبوا للأعداء، ينشرون مثل هذه الموضوعات، عليكم أن تعلموا بأنّ هذه الأمور لم تكن وليدة اليوم، بل إن هذه الحوادث وهؤلاء العملاء المدرّبين واستخدام الإعلام المضلّل كل ذلك كان موجوداً فيما مضى، إذ أنّ هناك بعض الأشخاص يحاولون عرض قضية ولاية الفقيه على غرار الحكومة المطلقة الفردية وهذا كذب وافتراء كبير لأنّ ولاية الفقيه ـ حسب ما جاء في الدستور ـ لم ينفِ ولم يشطب مسؤولية أركان البلاد، إذ أنّ المسؤولية التي تتحملها لها مكانة خاصة في تركيبة وهندسة النظام والحفاظ على خط ومسار النظام الحيلولة دون الإنحراف إلى اليسار أو اليمين، حيث أنّ هذه الوظائف تعتبر من أهم المحاور الرئيسية لمفهوم ومعنى ولاية الفقيه، لهذا نقول بأنّ ولاية الفقيه لم تكن قضية

رمزية أو من صنف الأمور الشكلية البحتة أو التصوّر بأنّها منصب يقوم بإلقاء النصائح والمواعظ فقط ـ كما كان يريده البعض منذ البدايات الأولى من انتصار الثورة الإسلامية وكانوا يروّجون له وفي نفس الوقت لا تلعب قضية ولاية الفقيه دور الحاكم أو السلطة التنفيذية في النظام الحكومي، لأنّ في البلاد توجد سلطات تنفيذية وقضائية وتقنينيّة والكل يجب أن يقوم بوظائفه ومسؤولياته المحوّلة إليه ولا بد أن يكون مسؤولاً عن مواقفه وقراراته.

بل إنّ الدور الذي تقوم به ولاية الفقيه، هو أن تراقب وتشرف على أعمال هذه المجموعة والتشكيلة المعقّدة والمتداخلة من حيث المساعي المختلفة، حتى لا تصاب مسيرة النظام وحركته العامة بالإنحراف والإبتعاد عن الأهداف والقيم ولا تنخرط صوب اليسار أو اليمين.

إنّ الحراسة والمراقبة لحركة النظام العامة نحو الأهداف المثالية العالية، تعتبر من أهم وأقوى أدوار ولاية الفقيه، حيث أنّ سماحة الإمام﵀ قد استنبط واستخرج هذا الدور من نصوص الفقه السياسي للإسلام ومن صلب الدين الإسلامي كما أنّ فقهاء الشيعة قد أدركوا ذلك من النصوص الدينية، على امتداد تاريخ الشيعة وتاريخ الفقه الشيعي، في كل الأدوار والمراحل وقاموا بفهمه والتصريح به، في حين أنّ الفقهاء العظام لن تسنح

لهم الفرصة لتحقيق وتطبيق ذلك على الأرض، لكنّهم كانوا يعتبرون الموضوع من بديهيات ومسلمات الفقه الإسلامي وهو في الواقع كذلك، وهذه المسؤولية الخطيرة جداً والحسّاسة للغاية، لا بد لها أن تتأثّر وتستفيد من المعايير والقوانين الدينية من جهة وكذلك من رأي وإرادة الشعب من جهة ثانية؛ أي أنّ القوانين والمقرّرات الخاصة بالقيادة وولاية الفقيه، حسب المدرسة السياسية لإمامنا الكبير رحمه الله، وما هي إلاّ قوانين شرعية ومقرّرات دينية ولم تكن كمقرّرات الدول الرأسمالية حيث أنّها تكون عادة منتمية وموالية لتكتّل مقتدر وثريّ، وحتى أنّ هذه الدول لديها مقرّرات خاصة ولهذا يتم الإختيار والإنتخاب في إطار تلك المقرّرات وهذه هي مقرّراتهم ولا بد أن يكونوا ضمن مجموعة واتحاد قوي وثري، ومن كان خارج هذا الإتحاد وهذه التشكيلة، إذاً سيكون فاقداً لتلك القوانين والمقرّرات، لكن الموضوع في المدرسة السياسية للإسلام، ليس بهذا الشكل ولم تكن القوانين بهذه الصورة، بل إنّ المقررات تحمل حالة معنوية بين طيّاتها وهي عبارة عن العلم والتقوى والدراية.

فالعلم سيأتي بالوعي وستتمخّض عن التقوى الشجاعة، ثم أنّ الحكمة والدراية ستؤمّن مصالح الوطن والشعب، فهذه هي المقرّرات الرئيسية على أساس المدرسة السياسية للإسلام. ومن يجلس على مسند هذه المسؤولية الحسّاسة، إنْ فقد إحدى تلك الشروط والمستلزمات الخاصة

بالقيادة وولاية الفقيه، ستُسلب الأهلية والصلاحية منه، ولو أنّ جميع أفراد الشعب كانوا من أنصاره ومواليه، صحيح أنّ آراء الشعب مؤثرة في انتخاب الولي الفقيه، إلاّ أنّه مفيد ونافذ المفعول في إطار هذه الشروط والمقررات، فمن يقوم بهذا الدور القيادي والإستقرار في موقع ولاية الفقيه، إذا ما فقد شرط العلم أو التقوى أو الدراية والحكمة، ولو أنّ الشعب يهتف باسمه ويطلق الشعارات لصالحه، سيسقط عن الأهلية وسوف لا يستطيع الإستمرار في هذه المسؤولية، ومن جهة أخرى فإنّ الذي يمتلك هذه الشروط والمواصفات ومن ثم يتم اختياره عن طريق مجالس الخبراء، المنتخبين بدورهم من قبل الشعب، هذا الشخص لا يقدر أن يقول: لقد حصلت على هذه الشروط والمقرّرات ولهذا فلا بد للناس أن يوافقوا على دوري في القيادة وولاية الفقيه، هنا لا يمكن المطالبة من الشعب بأنّكم (لا بد) أن تفعلوا كذا وكذا، بل إنّ الشعب هو الذي يتّخذ قراره، ثم ينتخب ويختار، لأنّ حق الاختيار يرتبط بالشعب.

لاحظوا كيف أنّ مراعاة الشروط والمقرّرات الدينية وإجراء الإدارة الشعبية قد امتزجت هنا بشكل رائع وبديع، خاصة وأنّه يتعلّق بمركز إدارة النظام، الأكثر أهمية وحساسية من بقية مراكز النظام، لقد عرض الإمام الراحل رحمه الله هذه الأمور العظيمة علينا، فمن الطبيعي أن لا يرضى أعداء الإمام الخميني وأعداء مدرسته السياسية، بل يستاؤوا من ذلك، عندها

سيوجهون له أنواع العداوات والأحقاد، وعلى رأس هؤلاء، هم أولئك الذين اقتطعت أيديهم من نهب المصادر المادية والمعنوية للبلاد ـ بفضل حركة الإمام الأغر ومدرسته السياسية، أجل إنّ هؤلاء كان لهم دور ريادي وكان البعض الآخر يتّبعونهم ويمشون وراءهم، هذا والبعض من هؤلاء يدركون تماماً ما يقومون به والبعض الآخر لا يفهمون ما يقومون به.

الخصيصة الخامسة، للمدرسة السياسية التابعة لرؤية الإمام الخميني الكبير قدس سره، هي العدالة الإجتماعية، إذ أنّ العدالة الإجتماعية تُعتبر من أهم الخطوط العريضة والرئيسية في مدرسة الإمام العزيز. المفروض أن تكون العدالة الإجتماعية شاملة ولا بد لها أن تغطّي جميع مشاريع وأقسام الدولة، في مجال التقنين والتنفيذ والقضاء ولا بد أن يكون ملأ الفجوة الطبقية على صدر جدول الأعمال. وقولنا بأنّنا سنجعل البلاد ثرية ـ يعني أنّنا سنرفع من مستوى الإنتاج غير الإجمالي القومي ـ في حين إذا كانت الثروات الطائلة مكدّسة في مكان واحد ولصالح البعض القليل، ثم لو كانت الأغلبية الساحقة من الناس محرومة، معدومة وصفرة اليدين، فهذا لا يتناسب ولا يتطابق مع المدرسة السياسية للإمام. ومن هذا المنطلق نقول بأنّ ملأ الفراغ الإقتصادي بين قطاعات الشعب وإزالة وإلغاء التمييز في الإستفادة من المصادر والموارد القومية المختلفة لصالح جميع الناس،

هي من أكبر وأصعب المسؤوليات التي يجب أن نتحمّلها ومن واجب جميع الذين يعملون في مجال التخطيط والمقنّنين وأصحاب القوة التنفيذيّة وجميع الذين يعملون في الدوائر والمؤسسات المختلفة لجهاز الحكومة، من واجبهم أن يلتفتوا إلى هذه النقطة المهمّة جداً، ثم يجعلوا موضوع العدالة في أعلى مستوى لمواصفات حركتهم)[1].

إنشاء نظام يرتكز على الدّين والقيم الروحية السامية

لقد أعزَّ الإمام الخميني رحمه الله الإسلام ورفع راية القرآن في العالم عالياً، وأنقذ الشعب الإيراني من الأسر وعبودية الأجانب ومنحهم احترام الذات والإباء والشخصية والإعتماد على النفس، وقد رفع شعارات الإستقلال والحرية في كل أنحاء العالم وبعث على إحياء روح الأمل والبشرى في قلوب الشعوب المضطهدة في العالم، فهو قد أبرز نظاماً يستند على الدّين والمعنويات والقيم الأخلاقية، في عصر كان يحاول فيه جميع المتكبّرين والمتحكّمين لإقصاء وطرد الدين والقيم الروحية عن الساحة، فبادر بتأسيس حكومة وسياسة إسلامية، وقام بإدارة وصيانة وقيادة الجمهورية الإسلامية، خلال عشر سنوات في خضم الأعاصير المرعبة والحوادث

(١) كلمة قائد الثورة الإسلامية المعظم (حفظه الله) في مراسم الذكرى السنوية الخامسة عشر لرحيل الإمام الخميني الكبير(رحمه الله) في ض١٤/٣/١٣٨٣هـ ش(٣/٦/٢٠٠٤م).

المصيرية، بقوة وجدارة حيث قادها إلى نقطة آمنة في ساحل الأمان. عشر سنوات مرت على هذه القيادة الحكيمة التي أصبحت تذكاراً خالداً لا يُنسى وكنزاً غالياً لا يفنى لشعبنا الأغر ومسؤولينا في المؤسسات الحكومية وغير الحكومية.

تحطيم الأوثان وزعزعة العروش الفرعونية ومنح العزّة للمسلمين في العالم

أنّه(روح الله) الذي أخذ العصا واليد البيضاء من سيدنا موسى عليه السلام واستلهم البيان والفرقان من سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم استعدّ لإنقاذ المضطهدين والمحرومين وقد هزّ عرش فرعون العصر في إيران وأنار قلوب المستضعفين بنور الأمل، ومنح الكرامة للإنسان والعزة للمؤمنين والقوة والشوكة للمسلمين والمعنوية للعالم المادي الفاقد للحياة والحيوية وشحذ العالم الإسلامي بالحركة والحماس وعلّم المناضلين والمجاهدين في سبيل الله، الشهامة والشهادة.

لقد حطّم الإمام رحمه الله الأصنام والأوثان وبدّد الأفكار المشركة وفهّم الجميع بأنّ الوصول إلى كمال الإنسانية والعيش على غرار القدوة العلوية والمضي نحو أسوار الأسوة ومشارف العصمة، ليست أسطورة لا يمكن التقرّب منها والوصول إليها، وقد أفصح لشعوب العالم أيضاً بأنّ العمل

على كسب القوة وكسر قيود الأسارة ومصارعة أهل السلطة والجبروت، أمر ممكن ولقد شاهد أصحاب البصائر والإدراك الذي كان يمطر عليه في حياته ومماته رذاذاً لا ينقطع عطفه، فاستجاب الله دعاءه حيث كان يقول: (الهي لم يزل برّك عليّ أيام حياتي، فلا تقطع برّك عني في مماتي).

وما إن ارتحل الإمام، اندلعت ثورة أخرى مع رحيله.. فاستقطب أكثر من عشرة ملايين، من القلوب الوالهة والحناجر الناحبة وهم يطوفون حول جثمانه الشريف، وقد شحن نفوس مئات الملايين من المسلمين في أرجاء العالم المترامي بالحزن والعزاء وكما هزّ العروش الفرعونية في حياته، قد قضَّ مضاجع الأعداء برحيله وأقلقهم وسلب منهم الراحة والأمان.

فمن الآنّ وصاعداً، العالم سيشهد ازدهاراً متزايداً ورائعاً لمنهج الإمام الخميني الكبير قدس سره لأنّ الغرسة التي شتلها بيده الشريفة والحبّ الذي نشره بفكرته الصائبة، ستكون الكلمة الطيبة التي قال عنها الله عزوجل: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ* تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[1].

أجل وهل هناك شخص لا يعرف إمامنا الخميني العزيز؟ وفي نفس الوقت، هل هناك شخص تمكّن من معرفته كما ينبغي؟ فالتعابير والألفاظ

---

(١) إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٥.

لا تتحمّل ولا تطيق أن تعكس تلك الحقيقة الرائعة والدرّة النفيسة وتشرف على ذلك الوجود العظيم ولهذا فإنّ قلمي أضعف من ذلك من أن يتمكّن رسم هذه الشخصية الملكوتية والأمثل أن أحجب قلمي عن الكتابة!

العمل على إثمار الجهود وقيادة الثورة الإسلامية عن طريق نداءات وبيانات الإمام الخميني رحمه الله وقيادته الإلهية الرشيدة

هذه الشخصية العظيمة وهذه الصرامة القاطعة الفذّة لهذا القائد الكبير، في النهاية أدّت إلى حدوث وظهور أروع ظاهرة في التاريخ المعاصر، وهي الثورة الإسلامية حيث جاء بالإستقلال والحرية ليجعلها مستقرّة في إيران التي هجرت منها الحرية والإستقلال لعقود طويلة.

فهو الذي ابتدع الثورة الإسلامية وهيَّأ لها نشاطها وازدهارها بالمقابل فإنّ الثورة الإسلامية قد أجلسته في أعلى مقصورة للإنسان المثالي والشخصية الأساطيرية وجعلت منه وجهاً خالداً وإنساناً رائعاً، ولم يحصل هذا ـ طبعاً ـ إلاّ عن طريق التوفيق الإلهي وبفضل التعاطف بين الإمام والأمّة في إيران.

لقد قام سماحة الإمام الخميني رحمه الله على تغيير ثقافة (الإستسلام) في المجتمع وأقدم، على خرق جدار الخوف وقاد الشعب إلى ينبوع الفطرة

الإلهية الطاهرة النقية، فهو المعمار والقائد والمعلّم والأب الروحي لهذه الثورة التي تعتبر أكبر ظاهرة في عصرنا الحاضر.

لا يمكن التعرف على الثورة الإسلامية ـ في أي نقطة من العالم ـ من دون اسم الخميني الكبير، لأنّه هو الذي بدأ يترنّم بنشيد الثورة، ثم قام بقيادة الثورة الإسلامية في أصعب الظروف الحرجة، فعمل على تخليصها من الأزمات والمشاكل العويصة وقد خلق من الثورة الإسلامية للشعب الإيراني، ظاهرة عملاقة ومثالاً عالمياً يقتدى به.

كان الإمام الخميني رحمه الله إلى جانب قيادته الثورية الحكيمة، فقيهاً إسلامياً بارزاً؛ أي أنّه كان رمزاً متألّقاً و(مظهراً واضحاً للإيمان) ومرجعاً دينياً رفيع المستوى، أي أنّه كان (يمثل بلّورة الثقة والحب بين الناس)، وكان سماحته كالأنبياء، حيث أنّه ظلّ يجسّد بوجوده الشريف، مضمون اندماج الدين والسياسة وكذلك الثورة والله وهكذا الشعب والإسلام، في تشكيلة منسقة ومنمّقة واحدة لكل باحث وناظر، ثم أنّ نهضته المباركة تذكّرنا بنهضة الأنبياء عليهم السلام.

فهو الذي بعث روح الحياة في الرؤية الدينية والنظرة الأخلاقية وأوقد مشعل الإيمان وخلق أضخم حماسة شعبية في زماننا الحاضر.

إنّ رسالة الإمام الخميني التي طالما كانت تشدّ أَزْرَ المناضلين وترفع من معنوياتهم ـ منذ سنوات الماضي ولحد الآن ـ والتي قد أدتّ إلى إضرام نار الشوق والنشاط في بيدر الكفاح وجعلته مشتعلاً وملتهباً، وهذه الرسالة تنطوي على ثلاث خصائص رئيسية:

١ـ إيجاد الإندفاع والحماس بين الجماهير المسلمة في العالم.

٢ـ قيادة خط الثورة الإسلامية والقيام برسم معالمه الواضحة.

٣ـ تدوين وصيانة تاريخ النهضة والكفاح الشعبي بدقة وأمانة.

إنّ من أبرز خصوصيات رسائل ونداءات الإمام رحمه الله، هو التأثير البالغ والقاطع في إثارة الناس أثناء الفترات الماضية والوقت الحاضر، حيث أنّ الكلام السهل والبسيط والنزيه لهذا المرشد والقائد كان يبعثُ على الحماس والحرارة والإهتياج في نفوس عشّاق الحق والعدل.

لقد قام الإمام رحمه الله على إثارة هذه الأمواج العاتية والزوابع العارمة والعواصف الهائلة في بحر الملايين من أفراد الشعب الإيراني، بعد أن كان هادئاً وساكناً ـ خلال سنوات طويلة، إذ تعوّد على الإستسلام والسكون والركون كخصيصة طبيعية في ذاته، لكن هذه الصراحة

الواضحة والحماسة الجبّارة هي وحدها التي تمكّنت من خلق هذا الإندفاع والحماس.

والجدير بالذكر أنّ الحكام المستبدين والقادة الظالمين قد أنفقوا طاقات عظيمة وأوقات كثيرة ـ خلال القرون والأعصار الماضية ـ ليصنعوا منّا شعباً حزين القلب وفاقد الأمل، فاشلاً منتكساً، لا يرى أمامه إزاء تلك النتائج الحاصلة لأي نوع من أنواع مكافحة الظلم والإضطهاد إلاّ المحيط المظلم والجو المليء بالإحباط والهزيمة، فكانوا يروّجون لهذه الإشاعة في مناخ فكري يعتمد على الخوف والخيبة ويخيّم على العلاقات الإجتماعية، بأنّ الصراع بين كفاح الشعب وقدرة الطاغوت لا تنطبق إلاّ على قضية (القبضة والسندان) والعجب كل العجب بأنّ هؤلاء قد أفلحوا في ترويج وانتشار هذه النظرية التافهة، وقد سيطرت أسطورة القوّة الهائلة والطاقة العظيمة ـ التي لا ينازعها شيء والصادرة عن حكومة السلاطين الجائرين ـ على جميع المجالات الأدبية والشعرية والأناشيد والأغاني والقصص الخيالية والأمثال السائرة وكل ظواهر الحياة الثقافية للمجتمع.

ففي هذه الثقافة المنحطة، صوّروا لنا شخصية المستضعفين كفئة جاهلة فاشلة ومن دون أي مستقبل أو أمل، وكانت هذه النظرية الباطلة تطرح بشكل الأصل الثابت والمقطوع منه بأنّ الظالمين قد خُلقوا ليحكموا

والمظلومين أيضاً قد خلقوا ليحكم عليهم، وهذا ما روّجوا له في الفترات البعيدة من التاريخ، وحتى يومنا هذا.

ففي عهد السلطة والإستيلاء، كانت ثقافة إثارة الشعب نحو الكفاح والتصدّي للحكومات الجائرة المتحكّمة، تحتاج إلى لسان ناطق ويراع ويواكب قلم ولسان الأنبياء، ومن هنا نرى الإمام﵀، يقوم بتحطيم جدار الصمت طوال القرون الماضية ليستهين الناس بالموت والجلاد معاً من وجهة نظر من علّق آماله على هذا الإمام الباسل. ولن نبالغ في الأمر لو قلنا بأنّ نظام الشاه الوحشي قد أطلق المئات من الرصاصات القاتلة صوب أنصاره ومحبيه لكنّه فشل في مهمّته الدنيئة هذه، لهذا كان يحاول إحباط كل جملة من كلام ونداء الإمام.

إذا ما تأمّلنا في الأيام التاريخية الأخيرة للفترة المنصرمة، لتوصلنا إلى هذه النتيجة بأنّ كلام الإمام كان يوقد النار في صدور طلاّب وعشاق الحق والعدل والحرية وكيف كانت تحدث ردود الفعل عند جلاوزة النظام.

فمن واقعة الخامس عشر من خرداد وحتى السابع عشر من شهريور، مرّت مئات الأيام المصيرية في المدن والقرى الإيرانية، حيث كانت رشاشات عملاء الشاه تطلق وابلاً من الرصاص على الناس لتُسكت

صراخ وهتاف الجماهير، لكن ما حصل هو عكس ذلك، إذ تصاعدت ألسنة اللهب أكثر وأكثر وصارت الصرخة الثورية مدوّية ومجلجلة عن طريق كلام الإمام الذي كان يدعو إلى إشعال نار الكفاح واستقواء هتاف الجماهير.

فهذه الخطابات النارية والكلمات الحماسية التي كانت تبعث على الصحوة والتوعية والحياة والحيوية لم تصدر، في العهد السابق عن الإمام ﵀ إلاّ في محاضرات دروس الحوزة العلمية وأثناء التدريس لتصل إلى آذان المستمعين وتروي قلوب هؤلاء التلاميذ المتعطشين لكلام الإمام في حين أنّ الإمام كان يعتبر في هذه الفترة لسان الحال ومظهر الآمال للملايين من المسلمين الثوريين في العالم.

كان كلام الإمام الآخاذ والخلاّب، يُزيل الشكوك والإبهامات من القلوب الكسيرة ـ في اللحظات الحسّاسة والقرارات الحاسمة ـ وكان يهدي الجميع إلى الطريق الواضح المنير.

طوال المسيرة الثورية، حدثت بعض اللحظات والمنعطفات الخاصة التي كانت تغلق الطريق أمام الثوريين، خاصة وأنّ هذه اللحظات الخاصة، إن خرجت من النطاق الضيّق لاجتماع صغير وخاص إلى مستوى المجتمع الواسع الكبير، عندها ستتزايد هذه اللحظات الحسّاسة

والقرارات الحاسمة، والجدير بالذكر أيضاً هو أنّ نهضتنا الدامية قد عانت الأمرّين من هؤلاء الذين نشروا بذور الشكوك والظنون.

ففي بداية بوادر ظهور الثورة، في عام ١٣٤١هـ.ش(١٩٦٢م) وحدوث أوّل اصطدام عنيف وجادّ، في الإستفتاء العام الذي أجراه(محمد رضا شاه) حول لائحة المدن والمحافظات (أيالتي وولايتي) وكذلك الأحداث المتتالية التي لم يسبق لها مثيل في عام ١٣٤٢هـ.ش (١٩٦٣م) والمنعطفات الخطرة التي أوجدها رجال الدين والذين يحومون في مسارهم ومن ثم جميع جماهير الشعب التي كانت قد تعرّفت على الموضوع، لكنّ الأعداء لم يتكهّنوا ذلك ولم يذكروا مثيله منذ الأزمنة الماضية ولحد الآن، ففي واقعة عاشوراء الإستثنائية التي انتهت إلى قيام الـ ١٥ من خرداد عام ١٣٤٢هـ.ش(١٩٦٣م) وكذلك خلال الأحداث المريرة والدامية بعد الـ١٥ من خرداد، ثم في جميع الفترات المهمة الأخرى خلال تلك السنوات التي تلت تلك الحادثة وحتى انبثاق الثورة الإسلامية، خلال هذه الفترة، يمكن العثور على نماذج عديدة، حيث وصلت قافلة أنصار الثورة بسعي جاد ومثابرة عظيمة وبدافع قوي إلى مفترق طريق صعب وحرج للغاية، لهذا ضلّت الطريق وضيّعت سبيل الرشاد نحو الخلاص.

إنّ مصير النهضة ـ في مثل هذه الفترات والظروف ـ مقلق جداً، واحتمال الخروج عن السبيل والإنحراف من الطريق والتساوم أو القيام بأعمال غير متّزنة وغير منطقية ومضرّة أصبح وارداً أو أنّها قد تؤدي إلى الإختلاف والفرقة بين العناصر الرئيسية لمسيرة الكفاح وبالتالي بين جميع أفراد المجتمع وهذه قضايا تتواجد في جميع الثورات كثيراً وعقد الأمل بأن يتسنى لثورة أن تنجو من خضم هذه الأحداث المخيفة من دون دليل ومعلّم حكيم، فهو نادر وقليل للغاية.

ففي هذه اللحظات الحسّاسة وأثناء هذه المعمعة الحافلة بالأبهام والإيهام وأحياناً الشعور باليأس الناتج عن الجهل والغفلة، تأتي مداخلة قيادة الإمام الخميني رحمه الله لتحل الأزمة دوماً وتبيّن معالم الطريق باستمرار، ولهذا فإنّ كلام الإمام والبيانات المجملة والمفصّلة لسماحته وأشرطة محاضراته كانت كنداء حازم وحاسم يوزّع في كل مكان ويصل إلى ما وراء الأبواب المغلقة ويقوم على إزالة الشكوك ودفع عوامل التفرقة والإختلاف.

ولهذا قد أدرك الكل ماذا يفعل وماذا يقول وكيف.. إذ أنّ (بيان) أو (كلمة) الإمام كانت تغلق فم المعارضين، وتضعف منطقهم وكانت تبعث بالإيمان الواضح والقطعي في قلوب الموالين لسماحة الإمام رحمه الله.

بعد حادث ١٥ من خرداد ـ أي أوّل حادثة دموية وجماعية والتي بلغ شهداؤها الآلاف من أبناء الشعب ـ هنا بدأت الشكوك والذبذبات من اليسار المتعجرف إلى اليمين المتطرّف ومن العناصر والتكتلات المختلفة، حيث أنّ اليساريين الذين تمكّنوا من إذاعة صوتهم ونشر شعاراتهم في كل مكان وذلك عن طريق تلقي الدعم الأجنبي الكبير، هؤلاء حكموا على نهضة ١٥ خرداد بأنّها (حركة عشوائية عمياء) ولا بد الندم على إيجادها وقطع الطريق عليها، ثم كانت هناك شخصيات إسلامية بارزة اعتبرت تلك الإنتفاضة بأنّها(خسارة) أدّت إلى مقتل أفضل وأحسن الشباب الملتزمين؛ في حين كان بإمكان هؤلاء أن يكونوا دعاة للإسلام، لكنّهم تركونا وحيدين!

بين هذين القطبين الأساسيين، كانت هناك عناصر تدعم وتدافع كلام هذا أو ذاك، حيث أنّها لم تقتصر على الماضي، بل وتشمل الحال والمستقبل أيضاً ومن هذه القاعدة انطلقت الشائعات والإشاعات الغير موثوق بها. فهذه الأقوال كانت تلوّث الجو بالشك والترديد..

وسماحة الإمام، بعد خروجه من السجن والإعتقال ـ حيث تمّ هذا العمل القبيح في ليلة الـ ١٥ من خرداد واستغرق لعدة شهور ـ قد أزال سماحته، الشكوك وبدّد كل آثار الحيرة، في أول خطاب له بعد التعطّش

الشديد الذي طال لعدة أشهر، من قبل الناس، حيث روى الإمام بكلامه العذب كل خلية من خلايا وجودهم ولقد شرع بالثناء والإشادة لما قام به الشعب في الـ١٥ من خرداد وتكريم وتجليل شهداء هذا الحدث الخطير وعوائلهم الشريفة، في ذلك اليوم وتلك النهضة، حيث قام بتكريمهم وتخليدهم وقد وصفهم بأنّهم من صنع تاريخ الثورة الإسلامية والفاتحين لطريق النصر المستقبلي.

وفي السنة التي تلت واقعة الـ ١٥ من خرداد، في قضية المصادقة على حصانة الرعاية الأمريكيين في إيران والتي كانت تذكاراً لقضية (الكابيتلاسيون) الفظيعة المعروفة بشأن منح حق الحصانة التامة للأجانب وخاصة الأمريكيين، لم يعرف الناس والمناضلون آنذاك ماذا عليهم فعله وأي طريق يسلكون؟ فأهل الإصلاحات الإجتماعية والمتمرّسين والمحنّكين، من الذين أقاموا برهة من الزمن في بلاد الإفرنج وأهل المعرفة بالقانون وكذلك القوميين المتشدّدين لن يفحلوا في هذه المضمار شيئاً، بل حتى الذين كانوا يزعمون الثورية ومكافحة الإمبريالية والدكتاتورية وما شاكلها، فمع كل تلك الإدعاءات والمزاعم الصاخبة والتشدّقات الرنانة، لم يتجرؤا على أن ينبسوا بكلمة أو أن يقوموا بأقل معارضة، بل التزاموا الصمت والجبن والسكون والتشكيك إزاء هذه الخيانة التي استحقرت الجميع وأضاعت الشرف والكرامة، ولم يكن هناك

أي توجيه وإرشاد من قبل أصحاب هذه المزاعم الواهية والأقاويل الفارغة، في حين أنّ الصرخة الجبارة الوحيدة التي دوّت في هذا المجال، هي صرخة الإمام الخميني رحمه الله وخطابه الذي فضح نوايا النظام وأنار معالم الطريق، وقام بالكشف عن كل شيء للناس بشكل تام وكامل، عن طريق ذكر التفاصيل ومن هنا بادر بقيادة الشعب بصورة حقيقية وحكيمة.

وخلال فترة النفي والإبعاد، قام سماحة الإمام رحمه الله بتدريس الفقه الإسلامي في خندق الحوزة العلمية في النجف وفي أعلى المستويات والمواقع الحوزوية ومن حنجرة مرجع التقليد، المحبوب لدى الشعب والشجاع الباسل طوال سنوات الكبت والقمع، حيث أنّه كان يوضح للشعب الإيراني الطريق الطويل والشاق أمامهم ويبيّن لهم المسار نحو المستقبل، وكان دائماً يرشد الناس على مفترق الطرقات إلى السبيل السويّ والنهج القويم، وأثناء المشادات والمخادعات التي يصطنعها العدو في داخل البلاد والشعارات التي يطلقها للتشويش والتعتيم على الشعارات الأصيلة والدوافع والنزاعات التي كان يختلقها النظام البائد الفاسد لإيجاد الفرقة والإختلاف بين الناس وكذلك التكتلات الكاذبة التي كان يفتعلها من العناصر الثورية والممارسات العنيفة التي كان يقوم بها والحملات التي كان يوجهها صوب الشرائح المؤثرة من الشعب كرجال الدين وطلاب الجامعات والضغوط المتزايدة هنا وهناك عليهم و.. في خضم

كل هذا، كانت رؤية الإمام الخميني رحمه الله وبياناته ونداءاته تدخل في دور المعالجة الشافية والدواء الحاسم، ففي مثل هذه الظروف، الكل كان في حالة ترقب وانتظار، حيث العيون شاخصة نحو النجف الأشرف لما سيصل إليهم من ناحية سماحة الإمام رحمه الله وعندما كان (إكسير الحياة) يصل إليهم، كانوا يسارعون لشربه وارتشافه وتناقله في مناولات حبيبة، فكانت أنغام صوته الرخيم تسود الأجواء وتستحوذ على القلوب وكان الكل في كل أرجاء البلاد، يتمتّع بكلامه ونداءه وكذلك أنصاره ومحبيه كانوا لا يتركون محلاً إلاّ وبعثوا بأشرطته ورسائله إلى هناك.

وخلال السنوات الأخيرة من فترة القهر والكبت، أخذت هذه الإرشادات تتسارع أكثر فأكثر وتبدو حاسمة وصريحة ومشابهة لما كان يقوم به الأنبياء والصلحاء، ولهذا كانت تتغلّب على جميع وجهات النظر والأذواق والسلائق وكانت تبدّد كل أنواع الترديد والتشكيك والإنتكاسات والتنازلات ومن خلال إعصار مرعب وهائل من المصائب والمشاكل، كان رحمه الله يشيّد جسراً عريضاً لتعبر عليه الجماهير نحو ساحل التحرّر والإنقاذ.

وآخر فصل في كتاب النضال المرير ضد النظام الملكي المفروض، بدأ من طليعة عام ١٣٥٦ وحتى ٢٢ من بهمن عام ١٣٥٧هـ.ش(من شهر

مارس عام ١٩٧٧ حتى العاشر من فبراير ١٩٧٩)، حيث أنّ هذه الفترة كانت مشحونة بأحداث جسيمة تشير كل واحدة منها إلى الدور البارز والقيادة الحكيمة والإجراءات المتميزة التي ظهرت وتجسدت وتجلّت في رسائل الإمام وكلماته وبياناته أكثر من ذي قبل، وإليك نبذة منها:

ـ العمل على حضور الجماهير في ساحة الكفاح والمقاومة والتصدي للمجازر الجماعية والسعي على إيجاد سلسلة من مراسم الأربعين المكرّرة لشهداء الثورة الإسلامية.

ـ تنوير وتفهيم المجتمع بصدد دور النظام الشاهي الفاسد وضلوعه في حادث إضرام النار في سينما (ركس) بآبادان والتي راح ضحيتها العشرات من المواطنين الأبرياء.

ـ دفع الشعب الإيراني إلى المقاومة المسلحة لصدّ الهجوم المسلّح والدامي لنظام الشاه.

ـ إعداد وتحضير الشعب لتوظيفه واستثماره في شهر محرم الحرام عام ١٣٥٧هـ.ش (١٩٧٨م) والإعلان عن نظرية (إنتصار الدم على السيف).

ـ طرح الشعار الذي كان يقول: (لا بد للشاه أن يرحل من إيران)، في حين لم يفكّر أحد بهذه الوصفة لمعالجة آلام الشعب الإيراني، لا في

الداخل ولا في خارج إيران وحتى لم يتجرأ أحد على طرح مثل هذه الفكرة ولو بصورة مبادرة شكلية واقتراح نظري.

ـ إتخاذ مواقف صلبة وحاسمة أمام الحكومات المهزوزة في الأشهر الأخيرة من بقاء نظام الشاه وتحطيم شوكة وهيبة الحكومة العسكرية والأحكام العرفية والمؤسسات النظامية آنذاك.

ـ إماطة اللثام عن الوجوه المخادعة الكريهة والشخصيات المراوغة في (الحكومة الوطنية) المزعومة والوقوف أمام رئيس تلك الحكومات، حيث أنّه كان يحاول أن يلتقي بالإمام في باريس عن طريق الخدعة والمكر.

ـ وبعد أن وصل الإمام رحمه الله إلى إيران، أعلن عن عزل حكومة (شابور بختيار) العميلة وتعيين حكومة إنتقالية، ثم اتخاذ المواقف المتتالية إزاء الأحداث والمستجدات في كل لحظة من مسار الثورة الإسلامية وتبيين الطريق الصحيح والخط القويم للناس حتى يكون بإمكانهم أن يجتازوا أخطر وأهم المعابر في تاريخ هذا البلد، خلال عدة قرون.

في كل هذه الأحداث الصاخبة، كان كلام الإمام رحمه الله ونداءه الواضح والشفّاف في خضم الإضطراب والتشويش الذي أصيب به جمع والحيرة والجهالة التي أصابت جمع آخر، هو الفصل الحاسم والكلام الأول

والأخير الذي كان يقبله الشعب وينتج طريقه من دون أي استثناء أو تلكؤ.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية المجيدة، كان كلام الإمام المتين والمدروس هو الذي يعين خط الثورة عن باقي الخطوط والتيارات ويهدي الناس إليه في عشرات الحوادث الضخمة والمصيرية ومن هذا المنطلق كان الشعب يتعرّف دوماً على الإرادة الإلهية ورفع الشبهات وأخذ الرد الوافي على استفساراته وتساؤلاته.

فإلى أين كانت تذهب قافلة الثورة يا ترى فيما لو لم يكن هذا القائد الإلهي موجوداً ولم يكن كلامه الحق صادراً من ناطقته الربانية؟!

تعتبر نداءات وبيانات الإمام﵀ تقريراً صادقاً ومرآة واضحة للتاريخ ومدرسة لشعب خاض الأحداث الجسام التي اندمجت مع وجوده وذاته.

إنّك ترى في هذه المرآة، الآيات الصادقة والأداء الصحيح للثورة، حيث تمتد جذورها إلى صدر الإسلام وإذ كانت فرصة ذهبية للشعب الإيراني الثوري لأن يحافظ ويصون الثورة الإسلامية من التحريف التاريخي الذي تعرّض الثورات عادة إلى الآفات والتشويهات. ثم أنّ هذه المستندات والوثائق القيّمة، تعتبر من أوثق الروايات التاريخية لهذه الثورة

العظيمة، وهي الآن متناول يد المراقبين والمحللين، حتى يقوموا بمناقشتها والإستفادة منها.

لقد قام طلاّب الحق والعدالة خلال ١٤ قرناً الماضية، ضد الظلم والإستكبار، لكن القسم الأعظم من هذه الثورات، إمّا سُحقت وهوجمت من قبل الطغاة والمتعسفين وإما انحرفت عن مسيرها الحقيقي بواسطة المنافقين والمعاندين وإمّا أُدخل فيها التحريف والتغيير عن طريق ثلّة من المؤرّخين العملاء والمرتزقة الخونة لدى الحكام الظالمين.

وهكذا فإنّ أعداء الثورة الإسلامية، منذ بداية الثورة ولحد الآن، قاموا بتجربة هذه الدسائس والآفات الثلاثة في مواجهة الثورة الإسلامية مراراً وتكراراً وسيمارسون هذه المخططات في المستقبل أيضاً.

إنّ أئمة الكفر في عصرنا الحاضر يتمثلون بالقوى العظمى في الشرق والغرب وعناصرهم وأتباعهم وإن لم يفلحوا في إبادة هذه النهضة الحرّة المستقلة، التي لا تنتمي إلى القوى الأجنبية، عندها سيلجأون إلى الأسلوبين الآخرين، لنسف وتقويض هذه النهضة المباركة والثورة المجيدة.

في البداية سيكون جلّ جهدهم لتحريف الثورة عن مسيرها الحقيقي وكما تعلمون أنّ العملاء في الداخل، الذين يعملون لصالح الأجانب في

الخارج، لا يغضون طرفهم عن تحريف وتهميش الثورة الإسلامية وفي المستقبل أيضاً سوف لن يتخلّوا عن هذه المساعي الدنيئة.

هناك نماذج كثيرة في مجموعة الرسائل والبيانات التي أصدرها سماحة الإمام رحمه الله، تقوم بكشف وإفشاء مخططات هؤلاء العملاء وكذلك العمل على إحباطها ولا بد لهذا الخط أن يبقى مصوناً محفوظاً ومضبوطاً للجيل القادم في المستقبل.

وفيما لو اندمجت هذه التوجيهات والإرشادات مع ذكاء وحكمة الأمّة فستكون المحاولة ناجحة تماماً في مجال التصدي لأسلوب التحريف، لهذا سيقوم الأعداء على تحريف الثورة الإسلامية.

إنّهم سيستعملون المؤرخين العملاء لأغراضهم الدنيئة حتى يلطّخوا حقائق ووقائع تاريخ الثورة الإسلامية بالكذب والتحريف وعن طريق غبار الجعل والزيف سيقومون بتعتيم تلك المرآة الصافية، وقد قام بهذا العمل الشنيع، المتغربون والمتشرقون في القرن العشرين حيال (النهضة الدستورية الشرعية) في إيران أيضاً، فحرّموا الناس من أن يصلوا إلى المصادر الأوّلية الحقيقية لوقائع تاريخ هذه النهضة الإسلامية البحتة، لأنّهم قد أبعدوها عن أصالتها وخطها الحقيقي.

ثم لم تدع هذه الظاهرة المشؤومة الحقائق في كل النهضات التي قامت بها الشيعة العلوية سابقاً ونهضة السيد جمال الدين الأسد آبادي وقيام التنباك بزعامة المرجع الديني المناضل آية الله العظمى الشيرازي ونهضة الغاب بقيادة الميرزا كوجك جان في شمال إيران وحتى نهضة تأميم النفط لاحقاً وكذلك الكثير من النهضات والثورات الإسلامية، لم تدعها سالمة وبعيدة عن الإنحراف والتحريف والتهميش.[1]

إحياء الإسلام والقيم الدينية، أوّل عمل عملاق قام به الإمام رحمه الله

أول عمل قام به سماحة الإمام الخميني رحمه الله هو إحياء وتخليد الإسلام، حيث أنّ الأجهزة الإستعمارية كانت تحاول بجدّ وجهد كبيرين ـ طوال القرنين الماضيين ـ لشطب الإسلام من ذاكرة الأمّة، إلى درجة أنّ أحد رؤساء الوزراء البريطانيين، قال مخاطباً رجال السياسة المستعمرين في العالم، معلناً بصراحة بأنّنا يجب أن نجعل من الإسلام فكرة منعزلة عن الحياة، في الدول الإسلامية! ولهذا أنفقت أموال طائلة في هذا الصدد وذلك لشطب وطرد الإسلام، أولاً من معترك الحياة الإجتماعية وثانياً من ساحة الأفكار والأعمال الفردية للناس، لأنّهم كانوا على ثقة بأنّ هذا الدّين سيكون المانع الأكبر والرادع الأقدر على التصدي أمام سلب ونهب ثروات المسلمين بيد القوى الإستكبارية الكبرى، وإمامنا العزيز قد أحيا

(١) نقلاً من مقدمة كتاب(صحيفة النور)، ج١، ص ٣ ـ ١١.

الإسلام وعاد به إلى مجال الأذهان ووقائع الأعمال المرتبطة بالناس والى الميادين السياسية في العالم.[1]

في البداية لم يكن الإمام ﵀ سوى أحد المدرسين المنعزلين في الحوزة العلمية بقم، فكان يلقي دروسه في (مسجد سلماسي)، داخل الزقاق ـ أي أنّه لم يكن في مركز الحوزة ـ وكذلك كان بيته أيضاً في انتهاء نفس الزقاق؛ أي أنّه كان لا يحتاج للمجيء إلى الشارع، في ذهابه وإيابه إلى محل درسه، حيث كان يتكرّر هذا مرتين في اليوم ومن الطبيعي أنّه كان يقطع هذه المسافة؛ من البيت إلى المسجد ومن المسجد إلى البيت مشياً على الأقدام وكان سماحته ـ حسب الظاهر ـ منعزلاً، لكنّه كان يُعتبر مدرساً كبيراً وقطباً جذاباً لطلاب الحوزة العلمية والجيل الشاب الفاضل والمشحون بالخصال الإيجابية المتميّزة في الحوزة.

وحسب اعتقادي أنا بالذات بأنّ الإخلاص وصفاء الباطن والعلاقة المعنوية والإتصال القوي والمتين بين قلب الإمام ﵀ والله عزوجل، الذي هو (مقلِّب القلوب)، قد أدى إلى أن يخرج هذا الرجل الفذّ من عزلته الظاهرية، ثم يتحول إلى يد قوية وقبضة فولاذية لقلب أساس القيم المادية في إيران على الصعيد العالمي.

---

(١) كتاب (حديث الولاية) ج١، ص ٢٩٤.

الواقع هو أنّ الإمام الخميني رحمه الله قد هزّ أساس القيم المادية في العالم، حيث أنّ الزعيم الشيوعي (غورباتشوف) الذي كان يرأس بلداً كبيراً وشاسعاً الإتحاد السوفيتي، مزوّداً بالقدرات المادية الضخمة والتقنيات الحديثة قال مخاطباً الإمام: (أرجوك أن تعطيني كتاباً حول الإسلام لأطالعه) في حين قبل الثورة الإسلامية، كان من المستحيل أن تسنح لكم فرصة كهذه، تتمكّنوا فيها إعطاء كتاب إسلامي لشاب شيوعي في أوّل مدارج تحزّبه، ثم تطلب منه أن يطالع هذا الكتاب! إذ أنّنا كنّا نقوم آنذاك بعقد بعض الجلسات البسيطة لنجمع ثلة من الشباب وبمساعي حثيثة ومصاعب شديدة وعن طريق ومحاولات عديدة وبلسان طيّب وأسلوب شيق، حتى نتمكن أن نذكر وننقل لهم بعض المفاهيم من المبادئ الإسلامية بصورة خطاب مفتوح أو كتاب مكتوب، مع هذا كنّا نفشل في مهمّتنا هذه، في ذلك الوقت وفي تلك الأيام مع أنّنا كنّا جميعاً على أهبة الإستعداد ومعبئين للعمل التبليغي الإسلامي ـ الحوزة العلمية والعلماء العظام وهيئة التدريس والفضلاء و.. لكنّنا ـ مع هذا ـ كنّا لن نتوصل إلى ما نبغي إليه ونأمل ونطمح به، على أرض الواقع، في حين أنّ الفضل كان بارزاً في قيام سماحة الإمام الخميني رحمه الله الذي دفع الشعب الإيراني والعالم بأسره إلى حركة عظيمة وتطور هائل في الأفكار والمعتقدات بين الناس والشباب.

واليوم أيضاً يقول لي نائب في أحد برلمانات الدول الشيوعية المادية التي طالما كانت النظرية المادية الجدلية(الديالقطيقية) تسير الأمور هناك، قال لي: (بفضل إمامكم، أصبحت الخطابات والكلمات التي تلقى اليوم في البرلمانات، تبدأ (بسم الله الرحمن الرحيم) وكذلك الحال بالنسبة للشخصيات الفكرية المعروفة في العالم، فإنّهم متعطّشون إلى ما كان عند هذا الرجل الكبير من أفكار وطروحات ولهذا أقول بأنّ الحركة والنهضة التي قام بها الإمام﵀ قد قلبت أساس القيم الدنيوية والمقرّرات المتّفق عليها والثوابت المادية، رأساً على عقب؛ بل وعصفت بكل ما هو (موجود) لدفعه نحو (المطلوب).

لا يقتصر الموضوع على إغلاق بعض الحوانيت لبيع المشروبات الروحية، أو منع ممارسة المنكرات؛ لأنّ ذلك يدل على ظاهر الموضوع، لكنّ القضية أعمق من هذا بكثير، وبفضل قيام هذا الرجل العظيم، اهتزت إيران واضطرب العالم، صحيح أنّنا نعتبر دور الشعب الإيراني في انبثاق الثورة الإسلامية دوراً رائداً، يتصدّر هذه النهضة العظيمة، في حين أنّ هناك سؤال يطرح نفسه وهو من الذي أرشد وهدى الشعب إلى هذه المسيرة المباركة؟ من الذي دفّق فيهم الينبوع الفوّار وقام بإحياء هذه المواهب الفذّة والخصال الحميدة؟ ألم يكن ذلك الروح الكبير والإنسان العظيم؟

إستعادة روح العزّة إلى المسلمين؛ هو ثاني عمل عملاق قام به الإمام رحمه الله

الخطوة العملاقة الثانية التي قام بها الإمام رحمه الله، هي إعادة العزّة والكرامة للمسلمين، لم يكن الأمر يقتصر على طرح القضية الإسلامية في الدراسات والبحوث والتحليلات ومحاضرات الجامعات وكذلك في الساحة الإجتماعية وحياة الناس، بل إنّ نهضة إمامنا العزيز قد أثّرت على المسلمين في كل أنحاء العالم بأن يشعروا بالعزّة والكرامة.

قال لي أحد المسلمين والذي كان يعيش في دولة كبيرة جداً، في حين أنّ المسلمين كانوا يشكّلون الأقلية الضئيلة فيها، قال بالحرف الواحد: (قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران، لم أكن أتجرأ أن أعلن عن إسلامي وحسب الرسوم والتقاليد الرائجة في البلاد، كان كل فرد من أبناء الوطن يحمل إسماً محلياً ولو أنّ العائلات المسلمة كانت تسمي أولادها بأسماء إسلامية وإيرانية، لكنّها لم تكن تتجرّأ أن تعلن عن أسماءهم بشكل صريح، بل كانت تعاني من الخجل والحرج في ذلك! في حين بعد الثورة الإسلامية التي أنتم أوجدتموها، بدأت الناس تنطق وتصرّح بأسماءهم الإسلامية بكل فخر وعزّ وشموخ وإن أحد سألهم من أنت؟ يعرّفون أنفسهم بأسماءهم الإسلامية أولاً، فخورين ومعتزين بذلك الأسم).

من هنا نفهم بأنّ سماحة الإمام رحمه الله قد قام بعمل عظيم، حيث شعر المسلمون إثره، في كل أنحاء العالم، بالعزّة والكرامة وأصبحوا فخورين بإسلامهم.[1]

فهذه الخطوة العملاقة التي قام بها الإمام الخميني رحمه الله، هي أنّه قد جعل الناس يردّدوا إسم الدين والقيم الإلهية على لسانهم، في مثل هذا العالم الذي امتلأ ببحر من الوحل، حيث أنّهم كانوا يخجلون من ذكر إسم الدّين والقيم الإلهية، لقد تمكّن الإمام من طرح هذه القيم وتكريمها وقد قام باهتزاز رايته في العالم، فالعمل الذي قام به الإمام، لا يمكن مقارنته إلاّ بأعمال الأنبياء عليهم السلام حتى أنّه لا يمكن قياسه ومقارنته بالمبادرات والإجراءات التي كان يقوم بها المصلحون في التاريخ.

القرن الحاضر هو قرن ظهور المصلحين الكبار، ففي النصف الثاني من القرن الماضي ولحد الآن، نرى الكثير من الصلحاء الكبار والثوريين والسياسيين قد ظهروا وأوجدوا حركات عظيمة ونهضات مهمة في العالم أو في قسم منه، مع هذا، لا يمكن مقارنة أي من تلك الحركات مع هذه الحركة الجبّارة والنهضة المعنوية العالمية للإمام رحمه الله.

---

(١) نفس المصدر، ص ٢٩٥.

لقد ذكر اسم الله عزوجل في الكثير من البرلمانات التي مضى على نسخ الدّين فيها بصورة رسمية عشرات السنين، بل كان الدّين والترويج له يعتبر جريمة يعاقب عليها والعمل به ممنوع والدّين ما هو إلا ظاهرة قديمة، بالية وإضافية وخارجة عن حيزّ الإستفادة ومضرة بحال الفرد والمجتمع؛ جرى اسم الله على الألسن، وأثناء إلقاء الكلمات بطليعة (بسم الله الرحمن الرحيم) ففي هذا العالم المادي، إرتفع عَلَم القيم المعنوية والآيدلوجية الإسلامية، ولم يكن هذا النصر بالشيء القليل، حيث أنّ جميع هذه الإنتصارات حدثت على يد ذلك القائد العظيم، بطبيعة الحال لا ننسى بأنّ الشعب الإيراني هو الذي أوجد هذه الحركة المباركة، لكنّه لم يكن بإمكانه أن يتحرّك، لولا تلك الشخصية العظيمة، بكل خصالها ومواصفاتها الخاصة والمتميّزة.[1]

أنا شخصياً، أعتبر هذه الفترة، بعد انتصار الثورة الإسلامية لحد الآن، خلال عشر سنوات، في خضم قضايا الثورة، أعتبرها فترة متميّزة واستثنائية وذلك لحضور شخصية الإمام في الساحة، وهكذا فإنّ الثورة والشعب والأهداف والعداوات التي كانت تطرح ضدّنا تعدّ إستثنائية، ولكن الظاهرة الأكثر إستثنائية، هو شخصية الإمام رحمه الله الذي قد حرمنا من

(١) نفس المصدر، ص ٥٦ و ٥٧.

وجوده الشريف ببالغ الأسف، لأنّه كان يشكّل نعمة عظيمة جداً ولهذا فنحن نتحسّر على فقده، في حين أنّ العالم الإسلامي لا زال محتاجاً إلى قياداته وإرشاداته وشخصيته الفذّة التي بعثت الحياة والحيوية في صدور المظلومين والمستضعفين والشعوب المستحقرة والمهانة في العالم.

اليوم إلتقيت بمجموعة من زعماء النهضات الإسلامية المعروفة الكبيرة في العالم، وذلك ليقوموا بمراسم العزاء ويعبّروا عن مواساتهم ومشاطرتهم، بمناسبة الحدث الجلل لرحيل الإمام الخميني رحمه الله. ليت شعري، لو كانت أحاديثهم وتصريحاتهم تسجّل بصورة مباشرة، ثم تنقل لشعبنا حتى يشاهدوا كيف أنّ الأمواج المنبعثة من تلك النقطة الوهّاجة والعين النضّاحة الهادرة ومن مركز النور والحرارة، يبعث الروح والحياة والقدرة والعزة في المسلمين والشعوب المظلومة والمستضعفة والمهانة في العالم، بحيث تمكّنوا من الوقوف أمام تيار الهجوم والعداء وحتى أنّ الرموز الشهيرة في الحركات الإسلامية في لبنان وفلسطين وأفغانستان وباقي الدول الأخرى التي تعرفون أسمائها، قالوا لي: (بأنّنا قد تيتّمنا وأصبحنا يتامى)، لأنّنا فقدنا أبانا، وفي الحقيقة أنّنا قد تيتّمنا جميعاً وفقدنا ثقلاً عظيماً في عصرنا الحاضر.[1]

(١) نفس المصدر، ص ٣١.

إيجاد الوعي والإدراك في الأمّة الإسلامية، هو ثالث عمل عملاق قام به الإمام رحمه الله

الخطوة العملاقة الثالثة التي قام بها سماحة الإمام رحمه الله هي أنّه منح المسلمين الشعور بمفهوم الأمّة الإسلامية، في حين أنّهم كانوا منتشرين هنا وهناك ـ قبل انبثاق الثورة الإسلامية وقبل ظهور شخصية الإمام رحمه الله ـ ولم يكن هناك شيء يُقال ويُطرح تحت عنوان(الأمّة الإسلامية الواحدة)، أو أنّ الموضوع كان لا يؤخذ على محمل الجدّ أبداً، لكن جميع المسلمين اليوم، من أقصى آسيا إلى قلب أفريقيا وكل منطقة الشرق الأوسط وأوروبا وأمريكا يشعرون بأنّهم أجزاء وأعضاء ينتمون إلى أسرة دولية كبيرة واحدة تسمى الأمة الإسلامية، فالإمام الخميني هو الذي أوجد هذا الإحساس والشعور في الأمّة الإسلامية وهو يُعتبر من أقوى الآليات للدفاع عن الشعوب والمجتمعات الإسلامية حيال هجوم الإستكبار العالمي.[1]

(١) نفس المصدر، ج١، ص ٢٩٥.

إنهيار وتحطُّم معقل الإستكبار في إيران، هو رابع عمل عملاق قام به الإمام رحمه الله

الخطوة المباركة والعظيمة الرابعة التي قام بها الإمام رحمه الله، هي إزالة وإسقاط أسوء وأفظع نظام في المنطقة والعالم من حيث المواصفات الرجعية والتبعية المقيتة، فالإحاطة بالحكومة الملكية في إيران، تعتبر خطوة جبّارة لم يكن يتصورها أحد آنذاك، فهذه القلعة الحصينة اقتلعت من الأساس ونسف كيانها بيد الإمام رحمه الله.[1]

إنشاء وتأسيس الحكومة الإسلامية في إيران، هو خامس عمل عملاق قام به الإمام رحمه الله

إنشاء حكومة على أساس الإسلام، كانت الخطوة المهمّة الخامسة التي قام بها الإمام رحمه الله؛ تلك المبادرة التي لم تخطر على بال المسلمين وغير المسلمين وكان ذلك في مستوى الحُلُم الجميل الذي لم يصدّقه المسلمون الطيّبون والبسطاء ولم يحلموا به بالمرة، لكن سماحة الإمام الخميني قدس سره حقّق هذا الحُلُم الجميل وألبس هذه الرؤى الأساطيرية لباس الواقع والحقيقة وقام بوثبة عملاقة وعمل جبّار يشبه الإعجاز إلى حد بعيد.[2]

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر،

لم يكن تشكيل وتأسيس الجمهورية الإسلامية ـ في الواقع ـ مجرّد إنشاء حكومة جديدة وإبادة حكومة قديمة، بل كان الموضوع، أكثر تعقيداً من هذا، ففي هذا العالم الذي يخوض ويغوص في الماديات ومع وجود البرامج المكثّفة والمخططات المدروسة ـ منذ أكثر من قرنين ـ ضدّ الأديان بصورة عامة والإسلام بصورة خاصة، حيث أنّ تأسيس حكومة إسلامية في إيران التي تعتبر من أكثر نقاط العالم إستراتيجية، كان عملاً معجزاً ومأثّرة لم يسبق لها مثيل، لأنّ الإمام تمكّن من تحقيق ذلك بعزمه وإرادته القوية واستطاع أن يقوم بتفعيل واستخدام طاقات الجماهير الهائلة لبلورة هذا الإعجاز بالإستعانة من الباري عزوجل.[1]

إيجاد وترويج الحركة الإسلامية الفاعلة في العالم، هو سادس عمل عملاق قام به الإمام رحمه الله

الخطوة المباركة السادسة التي قام بها سماحة الإمام الخميني، هي إيجاد نهضة إسلامية شاملة في العالم، فقبل انتصار الثورة الإسلامية، كان الكثير من الشباب والمعارضين والأحرار والأحزاب والتنظيمات يدخلون ساحة المعركة بأفكار وأيدلوجيات شيوعية ويسارية عادةً، في حين بعد انتصار الثورة الإسلامية، أصبح الإسلام هو القاعدة الأساسية والركيزة

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٣١٦.

المبدئية ونقطة الإنطلاق للحركات التحرّرية، واليوم أيضاً، ففي كل نقطة من نقاط العالم الإسلامي الشاسع، نرى جماعة أو تنظيم يقوم بمحاربة الإستكبار بدافع تحرّري، لكنّه يعتمد في أفكاره وأعماله وطموحاته المستقبلية على الطروحات الإسلامية.[1]

تطوير فقه الشيعة وتنشيط الحوزات العلمية، هو سابع عمل عملاق قام به الإمام رحمه الله

الخطوة الجبّارة السابعة التي قام بها سماحة الإمام رحمه الله هي نظرته المتطوّرة الحديثة لفقه الشيعة، ولا بد من التذكير هنا بأنّ قواعد فقهنا كانت ولا زالت قوّية وراسخة وتعتبر من أكثر مدارس الفقه قوّة واستحكاماً لأنها تستند إلى دعائم وأصول ومباني ثابتة وراسخة جداً، حيث أنّ الإمام العزيز قد طرح هذا الفقه القوي في ساحة عريضة وبنظرة عالمية شاملة ومن زاوية حكومية وقد بيّن جوانب منسية من هذا الفقه كانت غير واضحة لنا، فيما سبق.[2]

إنّ الله عزوجل هو الذي يعلم تماماً نسبة الفضائل والبركات التي منّ علينا بها، بوجود شخصية الإمام الشريفة، قبل نهضة الإمام، لم تكن

---

(١) نفس المصدر، ص ٢٩٦.

(٢) نفس المصدر.

الحوزات العلمية تتمتّع بالحيوية والنشاط، حيث كان يوجد في مثل هذه المراكز الدراسة والعلم والتحقيقات الأصولية والمطالعات والتدقيقات بطبيعة الحال من واجبنا أن نقدّم الشكر والإمتنان لمشايخنا القدماء وأسلافنا العظام، الذين تحمّلوا تلك المتاعب والزحمات، حيث لا يمكن إنكار ذلك كله؛ لأنّ جميع هذه العلوم والمعارف قد أخذت منهم. لكن القضية المحورية، أي الحركة باتجاه إقامة الدين على مسرح الحياة وإنشاء الحكومة، لم تكن موجدة آنذاك؛ ذلك الدّين الذي من أجله ندرس في الحوزة ونقوم بجهادنا وسعينا ونتلبس بلباس رجال الدين من أجله أيضاً والناس يدافعون عنا من أجل الإلتزام به، فالإمام الخميني في الواقع بعث الروح والحياة في هيكل الحوزات العلمية المقدّسة وأعاد النشاط إليها مرة أُخرى.

إلغاء الأفكار الخاطئة بشأن الأخلاق القيادية، هو ثامن عمل عملاق قام به الإمام رحمه الله

الخطوة العملاقة الثامنة التي قام بها الإمام رحمه الله هي إلغاء العقائد الباطلة والأفكار الواهية بشأن الأخلاق الفردية للحكام حيث يبدو أنّ العالم قد فرغ من هذه القضية وهي أنّ القادة والزعماء الذين يتصدّرون الدول والمجتمعات، لا بد أن يتمتّعوا بأخلاق فردية خاصة! كالغطرسة والحياة الرغيدة والمليئة بالإسراف والترف والبهرجة والكماليات والتحكّم

والأنانية وما شاكلها، فهي خصال وافق عليها الناس في العالم بـأنّ لا بـد للرؤساء والحكام أن يتّصفوا بها! وحتى أنّها موجودة في الكثير من الدول الثورية أيضاً! حيث أنّ سلوك الحياة لدى الثوار الذين كانوا يعيشون فـي الخيام ويختفون في السراديب والمخابي، قـد تغيّـر تمامـاً، وذلـك فـور استلامهم مقاليد الحكم واستيلائهم على الأوضاع، لهـذا تـراهم يقومـون بنفس الأعمال والتصرفات التي كان يقوم بها الملوك والرؤساء الفاسدون في العالم، ونحن قد رأينا ذلك من قريب، وبطبيعة الحال فإنّ الكثير مـن الناس أيضاً يمارسون نفس الأعمال ولهذا لا يستغربون من ذلك كثيراً.

في حين أنّ إمامنا الكبير رحمه الله قام بتغيير وتبديل جذري في هذه الفكـرة والعقيدة الخاطئة فأثبت بأنّ القائد المحبوب والمفضّل لدى شعبه وبـاقي المسلمين في العالم، بإمكانه أن يقوم باستقبال ضيوفه في مكان متواضـع ويتصرّف مع الناس بلباس وزي وأخلاق الأنبياء عليهم السلام.

إذا ما تنوّرت قلوب القادة والحكّام بنـور المعرفـة والحقيقـة مـسبقاً، فسوف لا تكون هناك تجمّلات وتـشريفات وإسـراف وامـتلاك الأشـياء الكثيرة الغالية والتحكّم والتكّبر والغطرسة التـي تعتبـر، مـن ضـروريات القيادة! ومن إنجازاته العجاب ومعجزاته الباهرة هي أنّـه قـد طبّـق هـذه الحياة المتواضعة البسيطة والسيرة الترابية على نفـسه أولاً وكـذلك علـى

النظام الذي أوجده، ثانياً حيث جعل نور المعرفة وضياء الحقيقة يشع فيها.[1]

الخصيصة الأخرى، التي أوجدها سماحة الإمام ﷺ في هذا العصر، هي النزعة الجارفة نحو القيم الإنسانية والعدالة الإجتماعية والحرية والأخذ بآراء الشعب والإحترام الفائق تجاه هذه القيم، تلك الشخصية الفذّة التي اعترفت لها شعوب العالم وأعدائه أيضاً بالعظمة والفضل والشموخ كانت تردّد دائماً وتخاطب الشعب: (لا تقولوا لي قائد، بل لو خاطبتموني خادم فهو سيكون أفضل). أجل كان صادقاً في كلامه ولم يتجامل أو يتظاهر مع أحد أبداً، فقد كان يكنّ احتراماً كثيراً للشعب، إلى درجة أنّه قد سمّى نفسه بالخادم، فنحن قد فقدنا مثل هذه القدوة والأسوة في العالم والتاريخ.[2]

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر، ص ٩٩.

تبديل الشعب الإيراني من الضعف إلى حالة القوة، هو تاسع عمل عملاق قام به الإمام قدس سره

المبادرة والخطوة التاسعة التي قام بتطبيقها سماحة الإمام الخميني قدس سره، هي عملية إحياء سمات الإحترام والثقة بالذات في صفوف الشعب الإيراني. إخواني الأعزاء! إنّ الحكومات الدكتاتورية والاتوقراطية، قد قامت باستضعاف واستهانة شعبنا لسنوات طويلة، هذا الشعب الذي يمتلك المواهب الجيّاشة والخصال الحميدة الممتازة والمواصفات المتميّزة، وهو يحمل في ملفه، طوال تاريخ بعد الإسلام، كل هذه المآثر والمفاخر العلمية والسياسية المعروفة.

قامت القوى الأجنبية في إيران ـ البريطانيون في فترة والروس في مرحلة أخرى وبقية الدول الأوروبية في أزمنة أخرى وبعد جميع هؤلاء جاء الأمريكان الذين قاموا باستحقار واستهانة شعبنا ـ وبتهميش شخصية الشعب الإيراني، حيث صدّق شعبنا وللأسف بأنّه غير لائق ويفقد الجدارة والجسارة للقيام بأعمال هامة وكبيرة ولا يمتلك المبادرة ولا بد أن يقوم الآخرون بتسييره والإشراف عليه!

إذاً، فإنّهم قد قتلوا وأبادوا روح الإباء والعزة القومية والكرامة الوطنية في شعبنا؛ لكن إمامنا العزيز والغالي قد جاء وأيقظ روح احترام الذات والإعتزاز بالمآثر القومية في الشعب الإيراني البطل.

في الوقت الذي ننزّه فيه الشعب الإيراني من الأحاسيس المتطرّفة والتعصّبات القومية المرفوضة ـ حيث كان الإستكبار السبب الرئيسي لها والنظام الملكي هو الداعية ـ لكنّه كان يشعر بالعزّة والقدرة، وشعبنا لا يهاب ولا يخاف من تضامن وتظافر المؤامرات المشتركة من ناحية الشرق والغرب والإرتجاع ولا يشعر بالضعف والهوان، فشبابنا يشعرون بأنّهم قادرين على مواجهة الظروف المفروضة العصبية وسلوكيات التحكّم في الشرق والغرب ولا بد التذكير هنا بأنّ سماحة الإمام الخميني رحمه الله هو الذي أحيا هذه الروح الأبية والثقة بالنفس وتصديق المآثر القومية والمفاخر الوطنية الحقيقية في الشعب الإيراني الأبي.[1]

* الحدث الجبار الآخر، هو تغيير الشعب الإيراني قياساً لما كان عليه في الماضي، حيث أنّه كان شعباً ضعيفاً مستسلماً، مهضوماً ومضطهداً فتبدّل إلى شعب مقاوم شجاع وجسور يبعث الأمل والإستبشار في قلوب الشعوب الأخرى.[2]

* والأهم من كل هذه الأمور الهائلة والقضايا العظيمة، هو شخص الإمام الخميني الأغر رحمه الله، فإنّه قد تمكّن من خلق هذا التاريخ البديع.

---

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٩٧.

(٢) نفس المصدر، ص ٣.

صحيح أنّ ثورتنا، هي ثورة شعبية وهذا السيل العارم والطوفان الهادر هو الذي يستطيع أن يخلق كل هذه الطرق المعبّدة والتصرفات السوية من مواد هذه السبل الشائكة والسلوكيات الشاذّة؛ لكن تبديل وتغيير هذا الشعب ورفعه إلى هذا المستوى وهذه الحالة، لم يكن يتحقّق إلاّ بيد جبّارة لإنسان روحي وإلهي كبير، قد اتصل وارتبط بمصدر قوة الباري عزوجل.[1]

* فالعصر الذي بدأه الإمام الخميني الكبير والعظيم، له مواصفات خاصة، من أهمّها: إيجاد روح العزّة والكرامة والإستقلال والإستغناء والإعتماد على الذات في شعب خطّطوا له أن يسلب من هذه الروحيات والمعنويات وأن يكون الأجانب مسلطون على مصيره.

هنا إيران؛ أي نفس البلد الذي قد راهن رئيس الجمهورية الأمريكية على ملكه وهدّده بحظر ومنع المساعدات المالية التي كانت تقدّر بعدة ملايين دولار، فيما لو لم يوافق على اختيار الشخص الذي ترغب فيه الولايات المتحدة كرئيس للوزراء.

هنا إيران؛ اي نفس البلد الذي كانت أمريكا ـ تلك القدرة المتحكمة والسلطة القاهرة في العالم ـ تعتبر ملكها والشخص الأول فيها من رعاياها ورعيتها وكانت تتعامل معه كالرعايا والخدم.

---

(١) نفس المصدر، ص ٤.

وهنا، نفس البلد الذي لم تقدر آراء وأفكار وإيمان ورغبات وإرادة الشعب فيه بشيء ولم تكن لها أقل تأثير في تقرير المصير الإقتصادي والسياسي للبلاد.

لكن تلك اليد القاهرة لمصمّم الثورة وأب الجمهورية الإسلامية، قد حوّل هذا البلد وهذا الشعب إلى بلد وشعب، تمكّن من تقديم أشدّ أنواع التحقير والإهانة إلى تلك القوى العظمى المتجبّرة والمتحكّمة في العالم! ولم يظهر للآن شعب قام باستحقار واستخفاف النظام المستكبر والمتحكّم الأمريكي إلى هذا الحد من التحقير والتخفيف كشعبنا المقدام، وقد اعترف العالم كله بهذا.

أجل هنا نفس البلد ونفس الوطن، لكنّه قد تبدّل وتغيّر رأساً على عقب، فلا بد من صيانة هذه القوة والقدرة والعزّة والكرامة التي ورثناها عن الإمام الخميني رحمه الله، فإن كنّا نحب الإمام حقاً وإن كنّا نشعر بفقده بكل مرارة، علينا أن نواصل طريقه وننتج سبيله.[1]

* ولقد علّمنا الإمام رحمه الله بأنّنا نستطيع القيام بأي عمل نريد وحذّرنا من الخوف والجبن والترديد. فلنسعى أن تكون العزائم واحدة والقلوب متآلفة ـ إن شاء الله ـ وعلينا أن نقطع هذا الطريق الطويل لنصل إلى تلك الغاية

(١) نفس المصدر، ص ٩٨ و ٩٩.

السامية والمقصد الأعلى الذي أرانا إياه ذاك العزيز وهدانا إلى العروج صوبه.

لقد كنّا أمواتاً حقاً؛ فجاء الإمام ﷺ وأحياناً، ولقد كنّا كالظلال والضياع، فهدانا وأرشدنا إلى الطريق الصائب الصحيح، ولقد كنّا في غفلة من واجباتنا الإنسانية والإسلامية الهامة، فأيقظنا وأبان لنا معالم السبيل وأخذ بأيدينا وشجّعنا وسار هو في مقدّمتنا، نحمد الله على هذه النعمة السابغة، لأنّنا قد آمنّا به بكل وجودنا ومن صميم فؤادنا وسرنا من وراءه ولم نتوقف ولم نتركه وحيداً في منتصف الطريق.[1]

*أريد أن أذكر هذه النقطة هنا، فيما لو فرضنا أنّ نظام الجمهورية الإسلامية وهذه الثورة العظيمة والعالمية وهذه الوثبة والإنتفاضة التي ظهرت للعالم والنهضة الهائلة التي حدثت في نفوس وقلوب الناس وهذا التغيير الذي حوّل النحاس فينا إلى ذهب، لو فرضنا أنّ هذه الإنجازات هي تلك الشجرة الطيبة، في حين أنّ أصول وجذور هذه الشجرة الطيبة، ما هي إلاّ هذه الشخصية العملاقة التي قد نما منها كل شيء وهو الذي قد قام بإنماء هذه الشجرة المباركة، فقد كان سماحته ﷺ كل شيء وإن لم يكن بيننا لما حصلنا على شيء أبداً.

---

(١) نفس المصدر، ص ٢٥٠ و ٢٥١.

إنّ إيران والشعب الإيراني والموقع الجغرافي للبلاد ونفس الفقه والقرآن ونهج البلاغة، كل ذلك كان موجوداً في السابق، لكنّنا لم يكن لدينا شيء وكنّا نتأخر ونتخلّف يوماً عن يوم، وكنّا نتلقى الضربات على رؤوسنا والصفعات على وجوهنا أكثر فأكثر وكانت شخصياتنا وكراماتنا تُستهان وتُضيَّع، لكنّه رحمه الله لمّا ظهر وبرز في الساحة، أصبح كالوجود الذي يمنح الماهيات، المصداقية والتعيّن الخارجي وكالشمس الشارقة التي تُظهر الأشياء وكالروح التي نُفخت في جسد، فتقوم بإحياء جوارحها الواحدة تلو الأخرى، فلقد أحياناً الإمام الخميني رحمه الله وأظهرنا إلى حيز الوجود وبعد أن كنّا هامدين حرّكنا، عندها تبلورت القيمة الجغرافية والتاريخية والثقافية التليدة لإيران وكذلك القرآن ونهج البلاغة وباشر شعبنا الحياة والحيوية ونحن قد تمكّنا من توظيف ذلك في حياتنا الكريمة.[1]

لقد ارتحل جميع الأنبياء والأولياء عليهم السلام والتحقوا بالرفيق الأعلى، ولا محيص عن ذلك، والآن وبما أنّ تقديرنا كان هكذا أن نبقى أحياء بعد رحيله، علينا أن نرفع من مستوى تحمّلنا لنطيق هذه الكارثة المريرة جداً في أنفسنا، حيث أنّ الله عزوجل قال لنبيّه العزيز في القرآن الكريم: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[2]، فلا مهرب ولا مفر من هذه الحوادث المرّة

---

(١) نفس المصدر، ص ٣٦٣.

(٢) الزمر: ٣٠.

الصعبة؛ لكنّنا معتزون بتراثه الغالي وأثره العالي الذي بقي في أيدينا وهو (الجمهورية الإسلامية)، إضافة إلى تلك القيم الثمينة التي أوجدها (رحمه الله) في الجمهورية وبالأحرى، جدير بنا أن نقول بأنّ القيم التي صنع منها الإمام ﷺ نظام الجمهورية الإسلامية، غيّرت نحاس وجودنا ذهباً، ولقد كان بمثابة الكيمياء والإكسير بالنسبة لنا، إذ كنّا منشغلين بحياة إعتيادية وعلى وتيرة واحدة، لكنّه جاء وبدّل التكاسل والتثاؤب إلى حياة وحيوية، فصنع منا بشراً جديداً وأشخاصاً متميزين رائعين.

قال سماحته في إحدى نداءاته، في مناسبة واحدة من تلك الإنتصارات الكبيرة التي حصلتم عليها أنتم في جبهات القتال، حيث سمّاها الإمام ﷺ بـ(فتح الفتوح) ولم تكن شيئاً سوى صياغة هكذا شخصيات أمثالكم، في الحقيقة كان هو الفاتح لـ(فتح الفتوح) هذا، وهو الذي عمل على تبديل وصياغة هؤلاء، وهو الذي كان قد هيأ هذه الأجواء وأوجد هذه المسيرة، وهو الذي أحيا القيم الإسلامية مرة أخرى بعد أن كانت خاملة هامدة ولم يكن لها ذكر يُذكر، فتراثه هذه القيم وهذه الجمهورية الإسلامية، وكل واحد منّا عليه أن يبلور ويجسّد حبه واحترامه الوافر لهذا الشخص الكريم والسيد العظيم، في أي منصب ومسؤولية كان، عن طريق صيانة واستمرار هذه القيم والحفاظ على نظام الجمهورية الإسلامية.[1]

(١) نقلاً عن كتاب (حديث الولاية) ج٢، ص ٨ و ٩.

إثبات مبدأ (لا شرقية ولا غربية) بصورة عملية، هو عاشر عمل عملاق قام به الإمام رحمه الله

كانت الخطوة العاشرة التي قام بها الإمام رحمه الله هي أنّه قد أثبت بأنّ أطروحة(لا شرقية ولا غربية) ممكنة وعملية، على أرض الواقع، في حين كان تصوّر الآخرين يرتكز على نظرية الإنتماء والإتكاء على الغير، إمّا على المعسكر الشرقي أو الغربي، فإنْ جلست على مائدة هذه القوة فلا بد لك من تقديم المدح والثناء والإمتثال لها وإن ارتزقت من تلك، فعليك بعرفان الجميل! لم يخطر على بال أحد أن يظهر شعب على الساحة ليقف على قدميه قائلاً للشرق والغرب: (لا)، ثم يصمد ويستمر في صموده ويقوم بتعميق تجذير وجوده الأمثل: لكن الإمام الخميني رحمه الله قد أثبت مصداقية هذه العملية الجريئة والإقدام الباسل.[1]

كان الإمام رحمه الله نقطة ارتكاز قوية للسمؤولين وللشعب في خضم الأزمات والمعضلات

لم يكن لنوع الحقد والعداء والخصام الذي كان ضدّنا، مثيل في تاريخ الأنظمة الثورية في العالم، فأين يمكن أن يتفّق معسكر الشرق والغرب معاً ويصمّمان على قرار واحد وهو عدم تقديم الدعم والمساعدة لدولة

(١) نفس المصدر، ص ٢٩٧.

وبالمقابل العمل على تجهيز وتقوية عدوه بكل الإمكانات والتجهيـزات؟! في حين أنّ المتعارف عليه في السياسة الدولية هـو إن مارسـت إحـدى القوّتين الضغط على دولة، تبادر القوة الأخرى ـ عادة ـ لإلغـاء وإحبـاط مخطط الضغط من جانب الدولة المنافسة وذلك عن طريـق المـساعدات والمعنويات التي تقدّمها، لكن بلادنا كانت تحـت ضـغوط شـديدة مـن الجانبين في تلك الفترة العصيبة، وأفضل مصداق وأبرز مثال على ذلـك، هي الضغوط التي مورست ضدنا من جانب المعـسكرين، أثنـاء سـنوات الحرب المفروضة الثمانية.

لقد كنّا جميعاً نلتجأ إليه ونحتمي بـه ـ فـي تلـك الظـروف الـصعبة والحرجة ـ أيام كانت إدارة البلاد بأيدينا، فكان هـذا العزيـز كـالمحيط العميق الهادي الذي لم يؤثر في شيء، لا هياج ولا إعـصار، وكنّـا ننظـر إليه، فيغشانا السكون والهدوء والطمأنينة وكنّا نستمد منـه القـوّة والأمـل لنواجه المعضلات الجسام، فنجدها حقيرة وصغيرة، ولا بـد مـن الإقـرار بهذه الحقيقة، بأنّ كل واحدة من تلك الخصال، كان بإمكانهـا أن تـصنع من الذي يمتلكها إنساناً كبيراً، في حين أنّ إمامنا العزيز كان يحمل جميع هذه الخصال الحميدة مرة واحدة.[1]

(١) نفس المصدر، ص ٣٠.

لم يكن سماحة الإمام﵀ قائداً سياسياً ومصدراً مسؤولاً في سلسلة المراتب الإدارية للبلاد فحسب، بل كان سنداً قوياً وظهراً قوياً للجميع، من الناحية المعنوية والروحية وكنّا نعلّق آمالنا عليه، لأنّه كان بالنسبة لنا الثقل الأكبر والقمّة الرفيعة التي ضلّت معطاءة وفيّاضة، تروي بكوثرها الصافي العطشى، كل حسب استيعابه واحتياجه[1].

تأليف القلوب وتعزيز روح الوحدة بين أفراد الشعب الإيراني المقدام

الفن الجميل والإجراء الجليل الذي قام به الإمام الخميني الكبير﵀ هو هدم وإزالة هذه الجدران العازلة والحيطان الفاصلة الموجودة بين شرائح الشعب؛ تلك الجدران التي غيّرت المحيط العظيم والوسيع المترامي إلى حفر صغيرة وأكواخ حقيرة، حيث أقدم الإمام الخميني بإبادة وإزالة هذه الجدران ليصنع على أنقاضها ساحة شاسعة، تتآلف فيها القلوب وتتكاتف فيها الجهود، فأوجد طاقة هائلة وقوّة عظيمة منها، حيث أنّ المعنى الحقيقي لآية ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ ظلّ يتبلور في كلام الإمام﵀ الشريف وأفعاله الخيرة.[2]

---

(١) نفس المصدر، ص ٤٣.

(٢) نفس المصدر، ص ٧١.

الفصل الرابع

ذكريات الإمام الخامنئي(حفظه الله)

بشأن: سماحة الإمام الخميني رحمه الله

لي ذكريات جميلة للغاية من أوّل يوم جاء فيه الإمام رحمه الله من باريس إلى طهران وإحدى ذكرياتي الجميلة والرائعة جداً، هي تلك الليلة التي وصل فيها الإمام رحمه الله طهران؛ أي اليوم الثاني عشر ـ ليلة الثالث عشر ـ من شهر بهمن، عام ١٣٥٧هـ.ش(٣١ كانون الثاني، عام ١٩٧٩م) ولعلّكم تعلمون بأنّ الإمام فور وصوله إلى طهران، ذهب إلى مقبرة (بهشت زهراء) وألقى كلمته المشهورة هناك، ثم ترك المكان بالمروحية وانصرف.

في حين لم يعلم أحد شيئاً عن المحل الذي ذهب إليه الإمام وأين هو الآن؟! واستغرقت هذه الحالة ساعات، والسبب في ذلك هو أنّ المروحية أخذت الإمام رحمه الله إلى محل بعيد عن صخب الجماهير المشاركة في مراسم الإستقبال، لأنّها لو أرادت أن تهبط في محل يتواجد فيه حشد كبير وملايين من أفراد الشعب، لتزاحمت جموع الجماهير على المحل،

ولكانت تمانع من ذهاب الإمام إلى أي مكان آخر، وكانت تحول دون راحته واستراحته، بل كانوا يجتمعون ويلتفون حول الإمام!

لهذا حلقت المروحية عالياً وهبطت بعد ذلك في نقطة من غرب طهران، ثم أتت سيارة استقلها الإمام رحمه الله وكان صاحبها الشيخ (علي أكبر ناطق نوري) وكان معه أيضاً المرحوم الحاج أحمد ـ نجل الإمام ـ الذي نقل عن الإمام الموقف عندما قال: خذوني إلى شارع(ولي عصر)، هناك منزل أحد الأقارب، وكان لا يعرف العنوان على وجه الدقّة، فذهبوا إلى هناك، وبدءوا بالتفتيش والسؤال من هذا وذاك حول العنوان وفي النهاية وجدوا المنزل ـ أي منزل أحد أقرباء الإمام ـ ومن دون سابق إنذار وبصورة مفاجئة تماماً، يدخل الإمام البيت!

كان الوقت ـ آنذاك ـ عصراً ولمّا يصلي الإمام الظهر والعصر، فمنذ أن أتى الإمام رحمه الله إلى طهران في حوالي الساعة التاسعة صباحاً، ذهب مباشرة إلى مقبرة (بهشت زهراء) حيث استغرقت الزيارة حتى العصر، حتى أنّه لم يتغدَّ ولم يؤدِّ فريضة الصلاة ولم تسنح له الفرصة لاستراحة قصيرة! لهذا ذهب إلى هذا المنزل ليصلّي فيه ويستريح قليلاً، لكنّه لم يتصل بأحد من هناك، وهذا بدوره قد أدّى إلى قلق مضاعف واضطراب شديد في نفوسنا ـ نحن أعضاء لجنة الإستقبال وقد كنتُ المسؤول عن

هذه اللجنة آنذاك! ـ مرت عدة ساعات ولم نحصل على أي خبر من الإمام ﷺ، ثم مرة مدة، حيث أخبرونا بأنّ الإمام في منزل فلان وسيأتي إلى هنا(مدرسة رفاه التي أقام فيها الإمام عند وروده إلى طهران) بنفسه ولا يحق لأحد أن يذهب إليه للمجيء إلى هنا!

لقد كنتُ أنا بالذات في مدرسة رفاه، حيث كانت غرفة العمليات المختصة بمراسم استقبال الإمام ﷺ هناك ـ أي في نفس المدرسة الإبتدائية للبنات الموجودة في شارع إيران(قرب بهارستان)، وأنتم تعرفون المحل والموضوع ـ ففي ذلك المكان، كنت أقوم أنا بواجبات محددة ووظائف خاصة كانت على عاتقي حيث كنت مسؤولاً عنها وكانت هناك غرفتان أو ثلاثة غرف، في ذلك القسم وكنا نصدّر فيها جريدة يومية، حيث أنّنا أصدرنا ثلاثة أو أربعة أعداد منها في فترة انتظار مجيئ الإمام إلى طهران، فكنّا جماعة نعمل مع بعض هناك ونقوم بواجباتنا الخاصة في آخر الليل ـ حوالي الساعة التاسعة والنصف أو العاشرة ـ كلّنا كنّا منهوكين من شدّة التعب والمشقّة، حيث كان يوماً صعباً للغاية فتفرّق الفريق المسؤول عن لجنة الإستقبال وبقيت أنا في غرفة عملي حيث كنتُ منشغلاً بأمر ما، في هذه اللحظة وعلى حين غرّة، لاحظتُ وكأنَّ صوتاً يأتي من صوب فناء البيت ـ من مقابل مبنى المدرسة، الذي كان فيه فناء صغير مهجور، لم يتردّد عليه أحد، لكنّه كان يفضي إلى الزقاق خارج

المنزل ـ طرق سمعي صوت كلام وحديث كان يجري في ذلك الفناء الصغير، يبدو أنّ شخصاً قد غادر المكان، لهذا قمت من مكاني لأرى ما الخبر وفجأة رأيت الإمام﵀ يأتي صوبنا من آخر الزقاق وحيداً!

لقد كان المنظر رائعاً ومهيجاً بالنسبة لي، خاصة وأنا أشاهد الإمام بعد ١٥ سنة ـ حيث لم أشاهده منذ أن تم نفيه وإبعاده إلى العراق حتى تلك اللحظة، وفجأة بدأ الصخب والضوضاء والحركة في البناية خاصة من الغرف المختلفة التي كانت هناك، فاجتمع ما يقارب العشرين أو الثلاثين شخصاً، من الذين كانوا متواجدين في هذا المكان، وما أن دخل الإمام البناية، اجتمع الجميع حوله وشرعوا يقبلون يده وكان البعض يردّد بأن لا تزعجوا الإمام، فهو متعب الآن.

لقد هيّأ الأخوة للإمام غرفة في الطابق العلوي ـ وأتصوّر أنّ الغرفة بقيت على حالتها الأولى حتى هذه السنوات الأخيرة وفي أيام عشرة الفجر من كل سنة (ذكرى ورود الإمام إلى طهران)، كانت الغرفة تُزار من قبل الناس ـ عرج الإمام نحو السلّم ليذهب إلى غرفته في الطابق الثاني، وفي الوقت الذي همّ الإمام بالصعود من منعطف السلّم، عاد والتفت إلينا ـ حيث كنّا واقفين في بداية السلّم، ننظر إليه بشوق جارف ـ فجلس على طرف السلّم، فتبّين من ذلك أنّ الإمام أيضاً، هو الآخر كان لا يحلوا له أن

يتركنا ويذهب للإستراحة من دون أن يتكلّم معنا! جلس الإمام على الدرج وتكلّم معنا لخمس دقائق تقريباً، والآن لم أتذكّر مضمون كلام الإمام رحمه الله، ولكن على أي حال أتصوّر بأنّه قال لنا: (الله يساعدكم) وشدّ على قلوبنا بالتفائل والخير حول المستقبل، ثم ذهب بعدها إلى غرفته ليستريح.

بطبيعة الحال، لقد تمّ انتقال محل استقرار الإمام رحمه الله من مدرسة الرفاه إلى مدرسة علوي رقم ٢ والتي كانت تشرف على شارع إيران، حيث كانت المراجعات والأعمال كلها هناك، فهذه الذكريات من تلك الأيام بقيت في ذاكرتي لحد الآن!

عودة الإمام رحمه الله إلى أرض الوطن، قدّم تفسيراً جديداً لكل شيء

يوم الثاني عشر من شهر بهمن لعام ١٣٥٧هـ.ش(١٩٧٩م)، يعتبر بالأحرى يوم ابتداء قدرة وقوة الإسلام، ولو أنّ نظام الطاغوت كان لم يزل حاكماً ومسيطراً على الأمور حتى ذلك اليوم، لكنّه في الواقع كان قد فقد السيطرة الحقيقية على الساحة، إذ مع دخول الإمام إلى أرض الوطن، أمسى النظام الملكي المتهرئ الفاسد ـ حيث كان نظاماً رجعياً ومفتعلاً ولا إنسانياً ومرفوضاً ـ أمسى أجوف، لا جدوى فيه ومبدّداً منهاراً، فتبخّر وذهب جفاء، في حين أنّ القائمين كانا يقومون بمحاولات مستميتة

لانتشاله وإنقاذه من السقوط في الهاوية وذلك ليستعيدوا له السيطرة والحكم لعدة أيام أخرى، لكنّهم لم يقدروا على ذلك، بل باءت مساعيهم بالفشل الذريع.

الدخول العزيز والقوي لسماحة الإمام﵀ إلى إيران، منح كل شيء معنى جديداً وخاصاً، دخل الإمام الوطن، فاستقبلته طهران، بل وكل إيران مرة واحدة، أي أنّ الشعب كله كان يشاهد ويترقب هذا الحدث المهم في جميع أرجاء إيران، فكان البعض منهم قد تحرك من بلدته ليأتي إلى طهران والبعض الآخر ظل في مدينته، لكنّه قام بأعمال، لو كان يسكن طهران لقام بها أيضاً.

في الحقيقة صدقت الآية﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾، فمع دخول سماحة الإمام﵀ إلى إيران، على غرار نفس الكلام الذي خاطب به الله عزوجل أصحاب سيدنا موسى عليه السلام، لقد تحقّق ذلك مرة أخرى بحق أصحاب الإمام﵀، حيث أنّ الله عزوجل قد قرّر النصر وانتهى الأمر ولا محيص عن ذلك أبداً.

كان يوماً هاماً وهائلاً للغاية، ولعل المؤامرات ودسائس الأعداء بدأت من هذا اليوم بالذات. بطبيعة الحال، إنّ تاريخ الثورة الإسلامية يحتاج إلى دراسة مستقلة أخرى، ولا بد أن يباشر بعض الأشخاص؛ أصحاب الخبرة

لكتابة وتدوين تاريخ الثورة الإسلامية وتاريخ الثورة الإسلامية ـ طبعاً ـ لا يقتصر على تاريخ انتصار الثورة الإسلامية فحسب، بل هو تاريخ بداية النهضة.

إنّ شعبنا ـ في الحقيقة ـ لم يطّلع على القضايا الطويلة والتفصيلية لهذه النهضة؛ من البداية حتى يوم الإنتصار الحاسم، والتي امتدت طوال ١٦ سنة وحتى بالنسبة إلى القضايا التي حدثت بعد انتصار الثورة الإسلامية، حيث أنّها ذكرت ـ من قبل بعض الأشخاص ـ بصورة مختصرة وموجزة، في حين أنّ الموضوع لم يُكتب ويسجّل بشكل كامل وشامل وبصورة تفصيلية، خاصة وأنّه لم يعرض عن طريق الفن ليبقى خالداً ومؤثّراً، أو أنّه قد كتب بشكل ضئيل وقليل، وأنا شخصياً أنتظر بجد من الذين بإمكانهم أن يقوموا بمثل هذه الأعمال، خاصة في المجالات الفنية، فلا بد من كتابة وتدوين تاريخ الثورة الإسلامية.[1]

(١) كلمة قائد الثورة الإسلامية المعظم في خطبتي صلاة الجمعة بطهران، ١٢/١١/١٣٧٥هـ ش(١٩٩٦م).

من صارع الإمام ﵀، كشف عن نواياه السوداء

إنّ الذين قاموا بمواجهة الإمام﵀، قد سوّدوا وجوههم بفعلتهم هذه، فهؤلاء أشقياء ومنبوذون (المنافقون)، لأنّهم أنكروا الحقيقة الناصعة ووقفوا أمام الإمام﵀، وذلك لإدخال البهجة والسرور في قلوب الصهاينة والأمريكيين وعملوا على ملأ جيوبهم من دولارات بيع النفط من الدول الرجعية. وهؤلاء الآثمون، هم الذين كان بإمكانهم أن يكونوا تحت جناح رحمة هذا الأب والأستاذ والمعلّم الشفيق، لينتفعوا من وجوده الشريف، لكنّهم ضيّعوا الفرصة ورفسوا حظّهم والتجأوا إلى أحضان أعداءه واليوم تراهم حيارى مشرّدين في أوروبا وأمريكا الوسطى والعراق وبعض الدول الأخرى في العالم.

وهؤلاء التعساء المنبوذون، لمّا كانوا داخل البلاد، لم يشكّلوا سوى قطرة واحدة أمام ذلك المحيط الواسع المترامي بالنسبة إلى الشعب الإيراني المقدام، لكنّهم لم يفهموا ولم يدركوا مدى ضالتهم وصغرهم، في حين أنّ مراسم رحيل الإمام﵀ قد أثبت للجميع بأنّ من هو الإمام وأين موقع الشعب منه وماذا يقول وكيف يفكّر وماذا يريد وكذلك من هم المعارضون وأين هم؟! فنحن نأمل بأن يعينهم الله على دفع أوهامهم لئلا يظلّوا على نفس الأخطاء السابقة حتى لا يتصوّروا بأنّهم قد حازوا على مكانة وشخصية مرموقة.

لقد ظلموا أنفسهم حقاً بمعارضتهم، ومخالفتهم للإمام رحمه الله، فالمستقبل والعزّ سيكون من نصيب الذين ساروا خلف الإمام؛ أي جماهير الشعب الإيراني الحاشدة وكل أفراد هذه الأمّة، وأنتم ـ أيّها الشعب النبيل ـ قد أثبتم بأنّكم الأصحاب الأوفياء المخلصون للإمام وأنّكم راسخون حقاً في صحبتكم ووفاءكم وإخلاصكم.[1]

كان يعمل الإمام رحمه الله كالشباب في سنين الشيخوخة

قائد هذه الثورة وزعيم هذا الشعب، كان رجلاً في الثمانين من عمره، حيث حمل على عاتقه أصعب مهام العالم، في اليوم الذي دخل فيه الإمام إيران، كان سماحته يناهز الثمانين، لكنّه لم يقل لنفسه بأنّي شيخ متعب، بل أنّه لم يشكوا من كبر السنّ وما يرافقه من أمراض وأوجاع.

في أحد أيام عام ١٣٥٩هـ.ش(١٩٨٠م)، عندما كنت عائداً من مدينة أهواز إلى طهران (أبّان الحرب المفروضة)، ذهبت فور وصولي إليه وطرحتُ بعض المعاتبات بصدد موضوع خاص، فطلب مني رحمه الله أن أخبر بعض الأشخاص المعنيين من قبله، فانعقد الإجتماع وسط النهار ومن دون سابق إنذار، فقام هذا الشيخ الشاب بإدارة ومداولة الجلسة وتسيير

(١) نقلاً عن كتاب (حديث الولاية)، ج١، ص ٣١٥.

الإجتماع بنشاط وقوّة ومن دون أن يعرب عن تعبه وتوعكه، فلمّا كان العمل لله وفي سبيل الله، فلا يشعر القائم به بالتعب ولا يحسّ بمرور الزمن وانقضاء الوقت.

وفي موقف آخر قال أحد هؤلاء التعساء والجبناء، من الذين اسودّت وجوههم ـ وكان قد تغلغل إلى صفوف أهل الإيمان ـ قال شيئاً للإمام وهو يحاول تبرير خوفه وخيانته، فقال له الإمام في جوابه:

ـ إن لا ترغب في تنفيذ وإجراء هذا العمل، بإمكانك أن تتنحّى عن مسؤوليتك؛ بالمقابل أنا سأقوم بجميع الأعمال مباشرة وسأتحمّل جميع المسؤوليات على عاتقي.

لم يكن أحد يصدّق بأنّ الإمام، هكذا ـ كالشباب الممتلئين بالنشاط والحيوية ـ بإمكانه أن يكون سيّد الموقف في كل موقع وموقف.[1]

كان دعائي هو أن أموت قبل رحيل الإمام رحمه الله!

إنّ الله عزوجل يعلم جيداً بأنّ مجرد تصوّر مثل ذلك اليوم المفجع ـ طوال هذه السنين العشرة ـ كان يحزّ في نفوسنا ويجرح قلوبنا، حيث كنّا لا نعلم، كيف يمكن أن نطيق الأيام ونتحمّل الدنيا من دون (الخميني)

(١) نقلاً عن صحيفة الجمهورية الإسلامية بتاريخ ١٣٧٢/٧/٦هـ ش(١٩٩٣/٩/٢٧م).

ومن هذا المنظور، قلت له في أكثر من مرّة: أول دعائي عند الله عزوجل هو أن أموت أنا قبلك ولم أشهد رحيلك من هذا العالم.

ففي نفس ذلك اليوم المرير الذي تدهورت فيه حالة الإمام الصحية، دعوتُ بعض الأخوة من أعضاء(مجلس إعادة النظر في الدستور) إلى اجتماع طارئ وقلتُ لهم فيه: بأنّ حالة الإمام الصحية ليست على ما يرام؛ والأفضل أن نُسرع في إتمام إعادة النظر في الدستور، حتى نبشّره بإكمال العمل في المستشفى، فيفرح الإمام من هذه البشرى، في الحقيقة كنتُ قلقاً ومضطرباً جداً لما كان قد يحدث للإمام آنذاك، فاختنق صوتي ولم أتمكّن من الإستمرار في كلامي، أتصوّر أنّه بعد ساعات قليلة، أخبرونا بأنّنا قد فقدنا هذه الأمانة الإلهية والدّرّة الثمينة[1].

تلك الأيام القاسية والمضنية!

قبل عشرة سنوات، عندما أصيب سماحة الإمام بنوبة قلبية، ذهبنا مع جماعة من الأصحاب ـ حيث استشهد الكثير منهم اليوم ورحلوا إلى رحمة الله ـ إلى مدينة قم، حيث كان الجو في تلك الأيام بارداً ومثلجاً، وجئنا بذلك الأب العزيز والقائد الأغر ـ الذي كان يمثّل حياة وبقاء الثورة ـ إلى طهران وذهبنا به إلى مستشفى القلب، فرقد سماحته ﷺ في

(١) عن كتاب (حديث الولاية) ج١، ص ٨.

المستشفى وكم كانت تلك الأيام التي قضيناها في تلك الظروف صعبة وكم كان اضطرابنا وقلقنا شديداً آنذاك.

فمن ذلك اليوم وحتى يوم رحيله، كنّا في عذاب شديد ولوعة طاغية على ما أصابنا جراء هذه المأساة المؤلمة والحدث الجلل المرير وكم كنّا ندعو الله ونتوسّل إليه ليستجيب دعاء هذه الأمّة وهذا الشعب المؤمن المخلص والمشتاق إلى حضرته بأن يرعى هذا القلب الكبير نابضاً ويلبسه ثوب السلامة والعافية، فتستجاب دعواتهم وتوسّلاتهم إلى الله تعالى.[1]

لقد امتلأ قلب الإمام بنور البهجة والسرور

كانت لي زيارة إلى محافظة كردستان وآذربيجان الغربية(غرب البلاد) والتقيتُ هناك مع المواطنين في مدينتي(سنندج) و(مهاآباد) وتحدّثت إلى الأخوة الأكراد وعلماء الدين والمثقفين في تلك المناطق، فكانوا يعربون عن حبهم ووفاءهم لسماحة الإمام والثورة الإسلامية، حيث كانت تعتبر ضربة عنيفة ورداً صارماً للأعداء وأصحاب الإدّعاءات الجوفاء ومروّجي الفرقة والتفرقة بين الشعب ولَمّا عدت إلى طهران، ذهبت لزيارة الإمام رحمه الله وشرحتُ له ما جرى في تلك اللقاءات والزيارات فرأيتُ آثار الفرح والإبتهاج قد فاضت من قلبه المنوّر إلى وجهه الكريم.[2]

---

(١) نفس المصدر، ج١، ص ٢٠.

(٢) نفس المصدر، ص ١٦٨.

لقد فرح الإمام بتقريري حول تقدّم البلاد كثيراً

لقد رفعتُ للإمام ، في يوم ما تقريراً عن السنوات الماضية وقلتُ له:

عندما كانت إحدى قطع المعدات الحربية ـ في زمن الطاغوت ـ تعطّل وتعطب وكانوا يحاولون تصليحها، لم يكن سبيل آخر سوى أن يرسلوا تلك القطعة المعطّلة المعطوبة بالطائرة إلى البلد المنتج (أمريكا وأوروبا) وبعد التصليح كانت تعاد إلى إيران، في حين أن القطع ذاتها الآن تُصنّع وتُصلّح في داخل البلاد، في هذه اللحظة فرح وتأثّر الإمام بهذا التقرير كثيراً وقد ذكره في وصيته السياسية الإلهية قائلاً: (تقوم القوات المسلحة اليوم بإنتاج بعض القطع بأسعار أرخص..) ثم أنّ التقرير الذي قدّمته أنا لسماحة الإمام كان على أساس الحقائق الموجودة والوقائع الميدانية والمعلومات الصحيحة التي كنتُ قد حصلت عليها من القوات المسلحة وعن طريق مجاري الأحداث ولم يكن عن طريق الإشاعات أو الأوهام.[1]

(١) نفس المصدر، ص ٣٧.

فهرس الكتاب

المقدّمة ٢

الفصل الأول: الشخصية الممتازة والراقية لسماحة ٦

الإمام الخميني قدس سره ومواصفاته الفذّة ٦

الشخصية المثالية والفريدة الساطعة للإمام الخميني رحمه الله ٦

اجتماع الصفات الممتازة والخصوصيات السامية ١٠

دعائه وبكائه في منتصف الليالي ١٤

الأمير والحاكم على أهوائه ورغباته ١٥

الجامع للخصائص المتميزة ١٦

اللبيب، الحازم، الحكيم، العارف بأمور الناس، صاحب الرؤية الثاقبة، الحليم، الصابر، الوقور والمتطلع إلى المستقبل ١٧

صلته بالله وإخلاصه وتهذيبه للنفس ١٨

التقدم والتطور والكمال الدائم في شخصيته العملاقة ٢١

تضرّعه واستغاثته وبكائه وتوسلاته ٢٢

عبوديته وإخلاصه واستعانته بالله ٢٤

وفاءه وتوكله وحسن ظنّه بالله ٢٥

معرفة الأصدقاء والأعداء ٢٧

حساسيّته للثناء على الأئمّة الأطهار عليهم السلام ٢٨

القيام بالواجب والإرادة الصلبة ٢٩
جمال الروح والعزم الراسخ..... ٣٢
التواضع حيال الناس ٣٣
الإتّكاء على الشعب الإيراني والشعوب الإسلامية ٣٥
حكمة الإمام قدس سره وعرفانه..... ٣٦
رؤية الإمام قدس سره نافذة تخرق الجدران والحُجُب ٣٩
التوكّل والقيام بالتكليف الإلهي..... ٤١
نهضة الإمام قدس سره في سبيل الله ٤٤
الإمام قدس سره سنداً قوياً للمسؤولين..... ٤٦
إخلاصه والقيام بواجبه في مسار الثورة الإسلامية ٤٧
القوة والصلابة أمام الأعداء والرأفة والرحمة أمام الأصدقاء..... ٤٨
رقيق القلب أمام التضحيات..... ٥٠
إحياء القيم والمعنويات ٥١
الإلتزام بالمناجاة مع ربّه ٥٢
خصائص سماحة الإمام الخميني قدس سره ٥٣
أُستاذ حاذق في الفقه الإسلامي ومعلم كبير في الأخلاق..... ٥٦
ذكاء حادّ ورؤية ثاقبة ٥٨
الصلابة القيادية والشجاعة السياسية..... ٦١

التصميم الفكري واجتذاب قلوب الشعب ٦٣
تركيبة قيادية مواكبة للزهد والعرفان في شخصية الأمام رحمه الله ٦٨
إجتماع الخصال الحميدة في شخصيته ٧٠
ثقته بالشعب واعتماده عليهم ٧١
إجتنابه من زخارف الدنيا المادية ٧٤
إطاعته وطاعته لأوامر الله عزوجل ٧٨
المواصفات المتميزة لشخصية الإمام الخميني قدس سره ٧٩
العقلانية والحكمة ٧٩
الإلتزام بالدّين والإيمان الواعي ٨٠
الشجاعة والتضحية والفداء ٨١
ذروة الإيمان والإرادة الفولاذية والذكاء الخارق والنشاط الدائم للإمام ٨٤
الفصل الثاني: مواصفات منهج ٨٩
سماحة الإمام الخميني رحمه الله ٨٩
المسؤولية الرئيسية هي: معرفة العناصر الأساسية لحركة الإمام الخميني رحمه الله ٨٩
محاكاة الإمام في الأهداف والطموحات السامية ٩٠
الخط الذي رسمه الإمام رحمه الله للأجيال القادمة ٩١
الآمال والطموحات الكبيرة للإمام الخميني قدس سره ٩٢

خصائص خط الإمام الخميني قدس سره ٩٣
المواصفات المهمّة لنهج الإمام الخميني قدس سره ٩٧
الفصل الثالث: نتائج وإنجازات حركة سماحة الإمام الخميني رحمه الله ١٠٧
ماذا فعل الإمام رحمه الله في إيران؟ ١٠٧
شخصية الإمام الخميني قدس سره ١١٤
الإعلان عن الحداد العام ١١٨
كلام الإمام الخميني رحمه الله وهبَ الحياة للجميع ١٢٢
الإمام رحمه الله وبُعد النظر والرؤية المستقبلية ١٣٢
وصفة الإمام الخميني رحمه الله للشعوب الإسلامية ١٣٤
كيف كانت إيران قبل انتصار الثورة الإسلامية، حيال الإمام ١٤١
سياسة التبعيّة والذيلية في إيران ١٤٤
شعب مستهلك وفقير ١٤٤
حصار اللا أخلاقيات كان يطوق إيران في عهد الشاه ١٤٦
الحكومات الرجعية في إيران قبل الثورة الإسلامية ١٤٨
ماذا فعل الإمام الخميني لإنشاء هذا المجتمع؟ ١٥٠
١ـ إحياء الروح العصامية بين أفراد الشعب ١٥١
٢ـ إحياء الروح الدينية في المجتمع الإيراني ١٥٣

الإمام الخميني رحمه الله يعرض النظرية الإسلامية أمام أطروحة الشرق والغرب في بناء المجتمع المثالي ١٥٧
العناصر الرئيسية الأربعة في بناء الصرح الشامخ للنظام الإسلامي في إيران ١٦٢
١ـ عنصر الإسلام في النظام الجديد ١٦٤
٢ـ عنصر شعبية النظام الجديد ١٧٠
٣ـ عنصر النظم والقانون في النظام الإسلامي ١٧٨
٤ـ عنصر مكافحة التيار السلطوي في النظام الإسلامي ١٨٢
خصائص المدرسة السياسية للإمام الخميني قدس سره ١٨٤
الخصّيصة الأولى، ١٨٦
الخصيصة الثانية، ١٩٠
الخصيصة الثالثة، ١٩٥
الخصيصة الرابعة ١٩٨
الخصيصة الخامسة، ٢٠٢
إنشاء نظام يرتكز على الدّين والقيم الروحية السامية ٢٠٣
تحطيم الأوثان وزعزعة العروش الفرعونية ومنح العزّة للمسلمين في العالم ٢٠٤

العمل على إثمار الجهود وقيادة الثورة الإسلامية عن طريق نداءات وبيانات الإمام الخميني رحمه الله وقيادته الإلهية الرشيدة.....٢٠٦
إحياء الإسلام والقيم الدينية، أوّل عمل عملاق قام به الإمام رحمه الله.....٢٢٣
إستعادة روح العزّة إلى المسلمين؛ هو ثاني عمل عملاق قام به الإمام رحمه الله ٢٢٧
إيجاد الوعي والإدراك في الأمّة الإسلامية، هو ثالث عمل عملاق قام به الإمام رحمه الله.....٢٣١
إنهيار وتحطُّم معقل الإستكبار في إيران، هو رابع عمل عملاق قام به الإمام رحمه الله.....٢٣٢
إنشاء وتأسيس الحكومة الإسلامية في إيران، هو خامس عمل عملاق قام به الإمام رحمه الله.....٢٣٢
إيجاد وترويج الحركة الإسلامية الفاعلة في العالم، هو سادس عمل عملاق قام به الإمام رحمه الله ٢٣٣
تطوير فقه الشيعة وتنشيط الحوزات العلمية، هو سابع عمل عملاق قام به الإمام رحمه الله.....٢٣٤
إلغاء الأفكار الخاطئة بشأن الأخلاق القيادية، هو ثامن عمل عملاق قام به الإمام.....٢٣٥
الخصيصة الأخرى،.....٢٣٧

تبديل الشعب الإيراني من الضعف إلى حالة القوة، هو تاسع عمل عملاق قام به الإمام رحمه الله..... ٢٣٨
إثبات مبدأ (لا شرقية ولا غربية) بصورة عملية، هو عاشر عمل عملاق قام به الإمام رحمه الله..... ٢٤٥
كان الإمام رحمه الله نقطة ارتكاز قوية للسمؤولين وللشعب في خضم الأزمات والمعضلات ٢٤٥
تأليف القلوب وتعزيز روح الوحدة بين أفراد الشعب الإيراني المقدام ٢٤٧
الفصل الرابع..... ٢٤٨
ذكريات الإمام الخامنئي(حفظه الله) ٢٤٨
بشأن: سماحة الإمام الخميني رحمه الله..... ٢٤٨
عودة الإمام رحمه الله إلى أرض الوطن، قدّم تفسيراً جديداً لكل شيء ٢٥٢
من صارع الإمام رحمه الله، كشف عن نواياه السوداء ٢٥٥
كان يعمل الإمام رحمه الله كالشباب في سنين الشيخوخة..... ٢٥٦
كان دعائي هو أن أموت قبل رحيل الإمام رحمه الله! ٢٥٧
تلك الأيام القاسية والمضنية!..... ٢٥٨
لقد امتلأ قلب الإمام بنور البهجة والسرور..... ٢٥٩
لقد فرح الإمام رحمه الله بتقريري حول تقدّم البلاد كثيراً..... ٢٦٠
فهرس الكتاب..... ٢٦١